صفحات مضيئة

في حياة الصالحين

تأليف

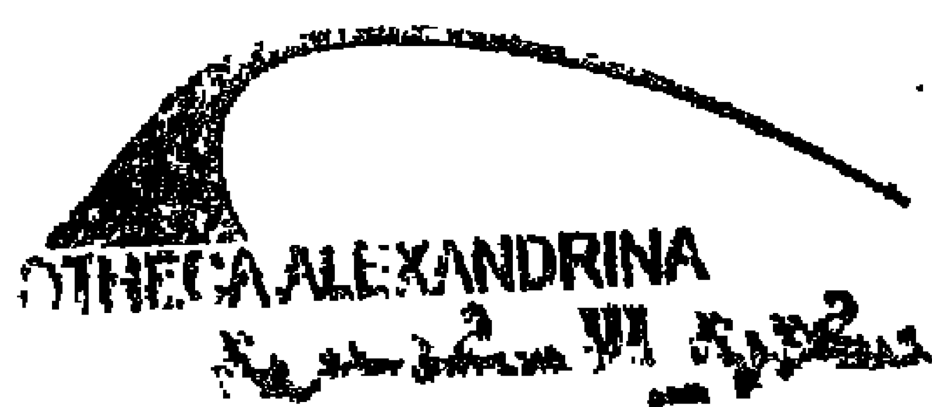
السيد الجميلي

المكتبة التوفيقية

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

صفحات مضيئة
فى حياة الصالحين

تأليف
السيد الجميلى





أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 - 5922410
Fax : 6847957

إشراف
توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[1].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2].

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

صدق الله العظيم

---

(١) العنكبوت: ٩.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الجاثية: ١٩.

إهــــداء

إلى أخى المفضــال صديق الصبا والــشبابا، وورفيق البــحث والدراسة، الذى لم أعـرف عنه شيــئًا منذ زهاء ســبع وعــشرين سنة... فــهو الغـائب الحاضر، والبعيد القريب... أرجو أن يكون بخير وسعادة.

إن وفاءه وولاءه وصورته لا تزايل خالجـتى ولا تبرح أطواء نفسى برهة من زمان... وهو صــاحب أدوم العهود وأحكم العقــود، على أقوم منهج، وأوضح مدرج، وأحــسن مربع، وأخصب مرتع، صليب المعــجم والمكاسر، سليم الموارد والمصادر.

أذكرك يا أخى مــا ذر شارق، ومــالاح نجم، وما أورق عــود فهل أنت كذلك؟!! أرجــو أن أعرف أين أنت وكيف حــالك؟ ومرجوى ومــأمولى أن تكون فى أحسن حال وأهنأ بال.

إلى الدكتور محمود عبدالله كثير.

السيد الجميلى

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

فإنَّ الصفوة المختارة، والكوكبة النقية من الأئمة الأعلام، الأصفياء الأتقياء البررة، هى جماعة المؤمنين الذين عرفوا الله تعالى حق المعرفة، وعبدوه حق العبادة بإخلاص وتجرد عن شهوات الدنيا اللافتة، وانصراف عن اللهو، وإعراض عن سفاسف الأمور.

إن موعود الله تعالى الجنة، وهى ذات النعيم الأبدى الذى لا يحول ولا يزول، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر... من ثم كانت جديرة بكل اهتمام، وقميئة بكل حرص عليها، وسعى إليها وتوجه كامل نحوها...

هؤلاء التقاة الصادقون عرفوا قدرها، فسلكوا السبيل إليها مُشِيحين عن غيرها، مستدبرين ما سواها، ولذلك فقد شمروا عن ساعد الجد، وجمعوا أذيالهم وقاموا على سوقهم، وأرهفوا لها غرار عزمهم، وتجهزوا بجازها، جامعين الأهبة وقد أرصدوا إليها الأهب، محشدين كل طاقاتهم وإمكاناتهم، موطئين بذلك سبيل الهدى والرشاد والتقى والفلاح.

لما كان ذلك، كان أولئك المؤمنون منفوحين برضوان الله تعالى وكلائته وعنايته ورعايته، وطوبى لمن كان أمره كذلك، فإن من عرف حق ربه، واتبع سبيل المؤمنين كان مغبوطًا مشمولاً بلطف الله ورضوانه.

من هذه المثابة كانت وجداناتهم وخوالجهم حافلة بالحكم الغوالى، والدر المنثور، ولاسيما من اشتُهِرَ منهم بقوة الحافظة، ورهافة الحس، ورقة الشعور.

إن إمامًا كالحسن البصرى مثلاً قد رضع أخلاف الفصاحة ونهل من أفاويق الحكمة، مع رصيده الثرى من الإيمان، واليقين وقوة البيان ونصاعة الحجة، من ثم كانت مأثوراته من أروع المواعظ وأبلغ المقولات.

إن اللطائف والنصائح التى تحرزت وتحلبت من أفواه أعلام الأئمة الأعلام تنطوى على الكثير المثير من الروائع الجليلة والفوائد القيمة والتنبيهات النافعة فى أسلوب ممتع وسياق رائع، وتناغم متناسق ينساب انسياب النسيم فيُذهِب الهموم، ويَفُضُّ جيش الكروب، ويُسَرِّى عن الخواطر، ويجلو رَيْن الصدور، وهو شَرَكُ العقول، وترياق الهموم وإكسير السلوان، لا تمله القلوب، ولا تجتويه الأسماع.

إن ما يصدر عن القلب لابد أن ينفذ إلى القلب، لأن عنصر القوة فيه معزو إلى كونه صادراً عن القلب، من ثم فلا شىء يعوقه عن الاستقرار فى القلب.

لذلك ومن هذا المنطلق عمدنا إلى تقديم هذه المأثورات واللطائف من المسموعات المعزوة إلى قائليها وأصحابها، فى مجالات شتى ومناسبات عديدة متباينة، وهى مطوية على خير جزيل، وفضل عميم.

كانت النية أن نخرج هذا العمل إلى النور منذ نيف وعشرين عامًا لكن انصرفت الهمة عن تحقيق هذا المرجو إلى هموم أخرى أجبرتنا على إرجاء إنجازه، لكن هذا كله بتقدير الله تعالى، وكل شيء مقرر مقدر مرهون بوقته وموعده.

لقد استمتعنا بقراءة هذه القطوف من الرياض الفيحاء فى مناسبات عديدة، ولما كان الإيثار من أكرم وأطيب المألوفات، فقد كان هو الدافع لنا والمحرض على حتمية تقديم هذه المائدة الشهية إلى قرائنا الكرام، بما تحمل فى أطوائها من الرحيق المختوم، والسحر الحلال... وهى تمتزج بالنفس، وتأخذ بمجامع الأفئدة.

إنها هدية لك أيها القارئ الكريم، قيامًا بواجب شكرك، وعرفانًا بحقك علينا، لما أوليتنا من متابعاتك لما نقدمه وننشره فطوقت أعناقنا بقلائد الإحسان، من ثم كانت لك الأيادى السالفة التى لا يؤدى حقها، ولا ينقضى شكرها، ولا يضطلع بأعبائها شكر وامتنان.

فنأمل القبول والله سبحانه وتعالى خير مسئول وأكرم مأمول أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السيد الجميلى

المعادى - القاهرة

مارس ٢٠٠٠م / ذو الحجة ١٤٢١هـ

١- أبــو بكــر الصديــق (١)
(ت ٥١ ق هـ / ١٣ هـ)

اسمه ولقبـه:

خليفة رسول الله ﷺ، الصديق الصدوق، ثانى اثنين إذ هما فى الغار.

اسمه عبدالله، وقيل عتيق(٢)، عثمان بن عامـر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ القرشى التميمى، ابن أبى قحافة.

صفـاتـه:

ولقب عتيق كذلك لأن وجهه كان عتـيقًا أى جميلاً، وبهذا قال الليث ابن سعد(٣). وكان ﷺ نسَّابة، عالمًا بالأنساب.

كان أبو بكر أبيض نحـيفًا، خفـيف العارضين، معروق الـوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، يخضب شيبه بالحناء والكتم(٤).

أول من أسلم:

ولا خلاف بين العلماء، والمؤرخين وكـتاب السيرة على أن أبا بكر كان أول من أسلم من الرجال.

---

(١) المصادر والمراجع: الطبقات الكبرى ٣/ ١٧٠، وتاريخ اليعقوبى ٢/١٠٦، وتاريخ الطبرى ٤٦/٤، والرياض النضرة فى مناقب العشرة ٤٤-١٨٧، وصـفة الصفوة ٨٨/١، وحلية الأوليـاء لأبى نعيم ٢٨/١، وأسـد الغابـة لابن الأثير ٢/ ١٦٠، والمنتظم لابن الجـوزى ٤/ ٥٠-١٣٠.

(٢) وقيل: إنما كـان عتـيق لقبًا له. وهذا قـول ابن أبى مليكة وغيـره انظر الطبقـات الكبرى ٣/ ١٧٠، وقالت عائشة: اسمه الذى سمَّاه أهله به (عبدالله) لكن غلب عليه (عتيق).

(٣) على ماذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٤١ وكذلك ابن قتيبة فى المعارف ١٦٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام للذهبى.

السخاء والبذل:

لقد وضع أبو بكر ماله كله فى خدمة الإسلام، إذ لم يدخر وسعًا ولم يألُ جهدًا فى دفع كل ماليديه، لم يترك شيئًا لنفسه ولأهله، وليس أدل من ذلك على قوة اليقين بالله والثقة به سبحانه وتعالى ثم إن هذا متوقع من رجل كأبى بكر إيمانه يرجح ويزيد على إيمان الأمة، فهو أمة فى رجل.

حب النبى ﷺ له:

قال رسول الله ﷺ: (**ما نفعنى مالٌ ما نفعنى مال أبى بكر**)(١).

وقد ذكر الذهبى (٢) عن عروة بن الزبير: أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار(٣).

من ثمَّ فلا برح ولا ريب أن يكون أبو بكر محبوبًا من رسول الله ﷺ، فقد قال عمرو بن العاص: يا رسول الله، أىّ الرجال أحب إليك؟ قال: (**أبو بكر**)(٤).

ولو لم يكن لأبى بكر من فضل سوى حب رسول الله ﷺ له، وإكرامه، لكان هذا كافيًا له فخرًا وكرامة وشرفًا ونبلاً، وفى الحديث: (**إنَّ من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا أحدًا خليلاً،**

---

(١) أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح رقم ٣٧٤١، وابن ماجه فى المقدمة رقم ٩٤، والإمام أحمد فى المسند ٢/٢٥٣، وورد أيضًا فى المسند بزيادة «قط» أى «ما نفعنى مال قط...» ٢/٣٦٦، وانظر الفتح الربانى ٢٣/٦٥، وانظر الهيمثى ٩/٥١.

(٢) تاريخ الإسلام ٣/١٠٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٧٢، بتصرف، ولكن فى الطبقات ورد الإسناد، عن هشام بن عروة.

(٤) الطبقات الكبرى السابق.

لاتخذت أبـا بكر خليلاً، ولكن أخـوة الإسلام، لا تُبـقَيَنَّ خـوخة [لافظة] فى المسجد إلا خوخة أبى بـكـر)(١).

وفاتــه:

وعندما حضرت الوفاة أبا بكر رضي الله عنه أخذته غشـية، فتمثلت ابنته عائشة رضي الله عنها بقول الشاعر:

من لا يـزال دمــعــه مــقنّعًــا
لابـد يومًـــا أنـه يُـهْـــراقُ(٢)

وقيل: إن عـائشة عندمـا غشى على أبيـها فى مـرض موته رضى الله تعالى عنه، تمثلت بقول الشاعر:

لعـمـرك مـا يُغْنـى الثـراء عن الفتى
إذا حشرجت يومًا وضـاق بها الصدر(٣)

فقال: ليس كـذلـك يا بـنـية، ولكن قولى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٤).

---

(١) الترمـذى ٣٧٤٠، وقال أبو عيسى: هذا حـديث حسن صحيح، وقـد ورد هذا الحديث بنحوه، بلفظ: «ما لإحد عندنا يدٌ إلا كافأناه بها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامـة، وما نفعنى مالٌ قط ما نفعنى مال أبى بكر، ولو كنت مـتخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليـلاً، ألا وإنَّ صاحبكم خليل الله» وقـد ثبت مرويًا عن أبى هريرة، وقال أبو عيسى فى هذه الرواية: حديث حسن غريب. الجامع الصحيح ٣٧٤١.

(٢) كـذا ورد فى النهـاية لابن الأثيـر وهو الصحـيح والصـواب، ولكن ورد فى الأصـول المخطوطة لتاريخ الإسلام للذهبى، كذا فى الطبقات الكبرى لابن سعد:

مـن لا يـزال دمـعـه مـقـنعـا   فـإنـه لابـد مـرة مـدفـوق

والبيت هنا مكسور، وهو فى الأصل من بحر الكامل.

(٣) هذا البيت من بحر الطويل.

(٤) ق: ١٩.

وقد ذكرنا ذلك في كتابنا: «سكرات الموت»[١] مبسوطًا مفصلاً، وعلى الله قصد السبيل.

وصاياه ونصائحه ونبذ من أقواله:

من وصايا أبى بكر الجليلة ﷺ، وهى جديرة بكل اعتبار لكونها دليلاً قويًا على ورعه وتقـواه، واحترازه من الشبهات، أنه استـدرك على نفسه فى مرض الموت، بل فى اللحظات الأخيرة له من الدنيا، إذ قال لابنته عائشة:

إنى نحلتك[٢] حائطًا[٣]، وإن فى نفسى منه شيئًا؛ فرديه على الميراث، قـالت: نعم، قال: أمـا إنا منذ ولينا أمـر المسلمـين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهمًا، ولكنا أكـلنا من جريش[٤] طعامـهم فى بطوننا، ولبسنـا من خَشن ثيـابهم على ظهـورنا، وليس عندنا من فىء المسـلمين شىء إلا هـذا العبـد الحبشى، وهذا الـبعير الناضح وجَرْد هذه الـقطيفة[٥]، فإذا مِتُّ فابعثى بهن إلى عمر، ففعلت[٦].

وذكر ابن سعد وغيـره أن أبا بكر حين حضره الموت قال: إنى لا أعلم عند أبى بكر من هذا المال شيئًـا غير هذه اللقحة وغير هـذا الغلام الصيقل، كان يعمل سيوف المسلمين، ويخدمنا، فإذا مت فادفعيه إلى عمر، فلما دفعته إلى عمر قال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده[٧].

---

(١) من تأليف السيد الجميلى.

(٢) نحلتك: وهبتك وأعطيتـك، من غير مطالبة، عن طيب نفس، وقال اللغـويون: من غير أن يأخذ عوِضًا.

(٣) الحائط: البستان.

(٤) الجريش: الخشن.

(٥) أى التى خَلُقتْ والجرد حملها، وخَلُقَ الثوب: بَلِيَ وبابه سَهُلَ.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبى ٤/ ١١٩، وفى الطبقات الكبرى ٣/ ١٩٦: «فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن».

(٧) الطبقات الكبرى ٣/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ١١٩.

ولما أحس وشعر بـدنو الأجل، وأن ساعة الرحيل صـارت وشيكة دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تَعهدَ أبو بكر بن أبى قـحافـة فى آخر عهـده بالدنيـا خارجًا منـها، وعند أول عـهده بالآخرةً داخلاً فيها، حـيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت عليكم بعـدى عمر بن الخطاب، فاستمـعوا له وأطيعوا، وإنى لم آلُ[١] الله ورسوله ودينه ونفـسى وإياكم خيرًا، فإن عـدل، فذلك ظنى به وعلمى فيه، وإن بَدَّل فلكل امرئ ما اكـتسب [من الإثم][٢] والخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣].

قال بعض العلمـاء: لما أن كتب عثـمان الكتاب أغـمى على أبى بكر، فكتب عثـمان من عنده اسم عمر، فلمـا أفاق أبو بكر قال: اقرأ مـا كتبت، فقـرأ، فلما ذكر «عـمر» كبَّـر أبو بكر، وقال: أراك خفت إن أفـتلتت نفسى الاختلاف، فجزاك الله عن الإسلام خيراً، والله إن كنت لها أهلاً[٤].

ثلاث فعلهن وثلاث لم يفعلهن:

ومن وصاياه الجميلة، ومأثوراته الجلـيلة قوله فى مرض موته: «أما إنى لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن، وثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنهن: وددت أنى لم أكن كـشفت بيت فـاطمة، وتركته وأن أُغلق علىَّ الحربَ، وَدِدْتُ أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق عـمر أو أبى عـبيدة [فكـان أميرًا للمـؤمنين وكنت وزيرًا][٥].

---

(١) لم آلُ: لم أقصر.

(٢) زيادة فى الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠٠، وهى ساقطة من تاريخ الإسلام ٣/١١٧.

(٣) الشعراء: ٢٢٧. راجع البحر المحيط ٧/ ٥٠، وتفسير الطبري ١٩/ ٣٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٢، والطبقات الكبرى ٣/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) ما بين المعـقوفين عند الطبرانى والذى فـى تاريخ الطبرى: «فكان أحدهما أمـيراً، وكنت وزيراً».

وَوَدِدْتُ [لو] أني كنت وجـهت خالد بن الوليد إلى أهـل الردة، وأقمت بذى القَصَّة، فإن ظَفِرَ المسلمون وإلا كنت لهم مددًا ورِدْءًا، وَوَدِدْتُ أني يوم أتيت بالأشعث أسيـرًا ضربت عنقه، فإنه يُخَيَّلُ إلـيَّ أنه لا يكون شرٌّ إلا طار إليه، ووددت أن يوم أتيت بالفـجاءة السُّـلَمِيّ لم أكن حَرَّقـته وقـتلتـه أو أطلقتـه [نجيحًا][(١)]، ووددت أنيّ حيث وجـهت خالد بن الوليد إلى الشـام، وجهت عمـر بن الخطاب إلى العراق، فأكـون قد بسطت يمـينى وشمالى فى سـبيل الله، ووددت أنى سألت رسول الله ﷺ فى من هذا الأمر، ولا ينازعه أهله، وأنى سألتـه هل للأنصار فى هذا الأمر شـىء، وأنىَّ سألته عن العـمة وبنت الأخ، فإن فى نفسى منها حاجة[(٢)].

من أبـرز أقـوالـه:

١- إن أكيس الكيس التقوى، وإن أحمق الحمق الفجور.

٢ - إن أقواكم عنـدى الضعيف حـتى آخذ له بحـقه، وإن أضـعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق.

٣ - إنما أنا مُتَّـبِعٌ ولست مبتدعًـا، فإن أحسنت فـأعينونى، وإن زغت فقومونى.

٤ - أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشـترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى وهـذا كتاب الله تعالى فيكم لا تفنى عـجائبه، ولا يطفـأ نوره، فصدقوا قـوله، وانتصحوا كـتابه، واستضيئوا منه ليوم الظلمة.

٥ - ذكر أبو الـسفر ﷺ مـرض أبى بكر فعـاده الناس، فقـالوا: ألا

(١) زيادة من تاريخ الطبرى.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٢٩-٤٣١ بنحوه من تقديم وتأخير.

ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني، قالوا: فأى شيء قال لك؟ قال: قال: إنى فعَّالٌ لما أريد.

٦- قال ابن سابط: لما حضر الصديق الموت دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً.

وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان أن يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا.

٧- إن الله تعالى ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئه(١)، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأخاف ألاَّ ألحق بهم، وأن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله، ولايقنط من رحمته.

٨- إن أنت حفظت وصيتى، فلايك غائب أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيَّعت وصيتى، فلايك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه.

أجل كما ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده تعبًا شديداً.

---

(١) فى حلية الأولياء: «سيئاتهم».

٢- عمر بن الخطاب (١)
(ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ هـ)

اسمه ولقبه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى، أبو حفص، أول من لُقِّبَ أمير المؤمنين، ثانى الخلفاء الراشدين، وأمه حنتمة بنت هشام المخزومية، أخت أبى جهل.

إسلامه:

أسلم عمر بن الخطاب بعد سنوات ست من النبوة، وكان له وقتذاك سبع وعشرون سنة، وقصة إسلامه مبسوطة فى كتب السيرة والتاريخ، وقد عرضناها مفصلة فى كتابنا «العشرة المبشرون بالجنة» وكتابنا «صحابة النبى ﷺ».

صفاته:

كان عمر بن الخطاب أمهق «خالص البياض» طُوَالاً، آدِم، أعسر يسر(٢)، يستعمل كلتا يديه، ومن أدق ما وُصِفَ به عمر على لسان ابنه عبدالله بن عمر، أنه كان أبيض تلعوه حمرة، طُوَالاً أصلع أشيب(٣).

وذكر ابن عبدالبر أنه كان طويلاً جسيمًا شديد الصلع، شديد الحمرة (أى شديد البياض والمرأة الحمراء هى البيضاء، كذا كانت تقول العرب) فى

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ١٨٧-٢١٧، وأسد الغابة ٤/ ٥٢، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ١١٧، والإصابة لابن حجر ٤/ ٢٧٩/ ٧٥٣١، وصفة الصفوة ١/ ١٠١، وحلية الأولياء ١/ ٣٨، وتاريخ الخميس ١/ ٢٥٩، ونسب قريش ٣٤٧، والاستيعاب ٢/ ٤٥٨، والرياض النضرة فى مناقب العشرة ١/ ١٨٨، والمنتظم ٢/ ٢٥٧، ٣٤٥.

(٢) يخطئ البعض فيقول: «أعسر أيسر» وهذا خطأ لغوى، والصواب ما ذكرنا.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٢٤.

عارضيه خفة، وسَبَلته[١] كبيرة، وفى أطرافها صهبة[٢]، إذا حزبه أمرٌ فتلها. كان يخضب بالحناء[٣]، كما كان يسرع فى مشيته.

مناقب عمر وفضائله:

حسب عمر أن يذكره القرآن بأنه من صالح المؤمنين وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى بسنده أن ابن مسعود قال: مازلنا أعزةً منذ أسلم عمر[٥].

وقال عكرمة بن أبى جهل ﷺ: لم يزل الإسلام فى خفاء «أو اختفاء» حتى أسلم عمر[٦].

كان صدر رسول الله ﷺ ينشرح لرؤية أبى بكر وعمر ﷺ، فقد طلع الاثنان يومًا، فقال ﷺ: **(هذان السمع والبصر)**[٧].

قال ﷺ: **(إن الشيطان ليفرق من عمر)**[٨].

وأخرج الترمذى فى جامعه الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **(إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر)**[٩]. وقد أخرجه أبو عيسى بإسناده عن عائشة ﷺ.

---

(١) السَّبَلة: طرف الشارب، وقيل: الشارب، والجمع سِبَال.
(٢) الصُّهبة: سواد فى حمرة.
(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٢٧.
(٤) التحريم: ٤.
(٥) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٧٠.
(٦) تاريخ الإسلام ٣/ ٢٥٥.
(٧) الترمذى فى الجامع الصحيح ٣٧٥٣، وهو حديث مرسل.
(٨) الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٣٥٣.
(٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه حديث رقم ٣٧٧٤.

وروى جماعة عن نافع، وروى عن جماعة من الصحابة عن ابن عمر بنحوه قال رسول الله ﷺ: **(إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه)**(١).

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **(قد كان فى الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن فى أمتى أحد، فعمر بن الخطاب)**(٢). أوصى رسول الله ﷺ بالاقتداء بعده بأبى بكر وعمر ﷺ فإن اتباعهما لذلك سنة مأثورة، يجب الحرص عليها والتمسك بها. ورد عن حذيفة بسنده، أن رسول الله ﷺ قال: **(اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر)**(٣).

وقال ابن عبدالبر: قال الزهرى: أول من حيًّا عمر بأمير المؤمنين المغيرة ابن شعبة(٤).

ثم إن عمر كان مضروبًا به المثل فى الجد والجود، فقد ذكر الزهرى وغيره: أن عمر دوَّن الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسَّم على الناس فيئهم(٥).

قال ابن عمر: ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض أجدّ(٦) ولا أجود من عمر(٧).

---

(١) الترمذى ٣٧٦٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة رقم ١٠٨، والحاكم فى مستدركه ٣/ ٨٧، وأحمد فى المسند ٥/ ١٦٥، ٥/ ١٧٧.

(٢) مسلم حديث رقم ٢٣٩٨، والبخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عنه بنحوه ٤/ ٢٠٠، فتح وابن الأثير فى أسد الغابة ٤/ ٦٤، وأحمد فى المسند ٦/ ٥٥.

(٣) الترمذى ٣٧٤٢، وقال: هذا حديث حسن وابن ماجه فى المقدمة ٩٧.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٤٦٥.

(٥) تاريخ الإسلام بتصرف ٣/ ٢٦٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ١٢١.

(٦) كذا «أجدَّ» فى صحيح البخارى ٤/ ٢٠٠، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٩٢، وورد «أحدَّ» بالحاء المهملة، من الحدة فى إحدى نسخ تاريخ الإسلام للذهبى.

(٧) حديث صحيح.

وذكر السيوطى[(١)] عن إبراهيم النخعى قوله: كان عمر يتجر وهو خليفة.

مقتل عمر رضي الله عنه:

كان أبو لؤلؤة المجوسى[(٢)] سبيًا مُحتلمًا، وكان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم بدخول المدينة، لكن المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه فى دخول أبى لؤلؤة المدينة، وكان مما قاله لعمر: إن هذا الفتى عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس: فهو حدّاد نقّاش، نجّار، فأذن له أن يرسل به، وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر.

جاء أبو لؤلؤة يشتكى لعمر رضي الله عنه شدة الخراج. فقال عمر: ماخراجك بكثير، فانصرف ساخطًا يتذمّر، فلبث عمر ليالى، ثم دعاه، فقال: ألم أُخبَر بأنك تقول: لو شئت لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابسًا، وقال: لأصنعنَّ لك رحى يتحدث الناس بها. فلما ولّى قال عمر لأصحابه: أوعدنى العبد آنفًا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه، فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس.

طعن أبو لؤلؤة[(٣)] -قبّحه الله- عمر بخنجر له رأسان، وطعن معه اثنى عشر رجلاً، مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبًا، فلما اغتم فيه قتل نفسه[(٤)].

---

(١) تاريخ الخلفاء ١٣٠، ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى.

(٢) وقد أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا لؤلؤة كان مجوسيًا. الكبير ١/ ٧١/ ٧٧.

(٣) تاريخ الخلفاء ١٣٤، والطبقات الكبرى ٣/ ٣٤٠.

(٤) قال عمرو بن ميمون الأودى ذلك بإسناده فى تاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٢٧٧، وفيه ذكر عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه أنه قال: جئت من السوق، وعمر يتوكأ علىّ، فمر بنا أبو لؤلؤة؛ فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكانى لبطش به، فجئت بعد ذلك إلى =

وكان أبو لؤلؤة عبدالمغيرة المخزومى يصنع الأرحاء «جمع رحى» وكان المغيرة يستعمله[١]، كل يوم أربعة دراهم، فلقى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل علىّ فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه، فغضب وقال: وسع الناس كُلَّهم عدله غيرى، وأضمر قتله، واتخذ لذلك خنجرًا وشحذه وسمَّه، وكان عمر يقول: «أقيموا صفوفكم» قبل أن يكبر، فجاء، فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه، وفى خاصرته، فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه، فمات منهم ستة، وحُمِلَ عمر إلى أهله، وكادت الشمس أن تطلع، فصلى عبدالرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين، وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه، فلم يتبين، فسقوه لبنا فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت[٢].

وكان عمر قد قتل وهو ابن إحدى وستين سنة[٣].

وصايا عمر رضي الله عنه ودرر من أقواله:

١ - من أجل وأعظم وأروع وصايا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تلك الدرر الغوالى التى تنطوى على جليل الفوائد وعظيم اللطائف والتنبيهات،

= المسجد الفجر فإنى لبين النائم واليقظان، إذ سمعت عمر يقول: قتلنى الكلب، فماج الناس ساعة، ثم إذا قراءة عبدالرحمن بن عوف. اهـ. بتصرف.

(١) كذا عند الحاكم فى المستدرك ٣/ ٩٢، وفى المصادر الأخرى يستغله.

(٢) المستدرك ٣/ ٩١، وابن الأثير ٤/ ٧٥، والطبقات الكبرى ٣/ ٣٥٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ١٩٨، وهذا القول معزو إلى قتادة على ما ورد فى تاريخ الإسلام ٣/ ٢٨٤، والمعجم الكبير للطبرانى ١/ ٦٩/ ٦٧، لكن عورض هذا بقول معاوية الذى أخرجه ابن سعد: «مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأبو بكر وعمر وهما ابنا ثلاث وستين» الطبقات الكبرى ٣/ ٣٦٥. ووافق الشعبى قول معاوية على ما ورد عن الطبرانى ١/ ٦٨/ ٦٥ الكبير. بيد أن أكثر ما أُثِرَ فى هذا الصدد عن ابن عباس هو ست وستون سنة. الطبرانى فى الكبير ١/ ٦٨/ ٦٤.

وهى من أجل وأجمع المسموعات عنه ﷺ ألا وهى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء، وهو جملة صالحة من الوصايا والنصائح الفقهية والأصولية والشرعية، وهذا هو منطوقه[(١)]:

«أما بعد. . . فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على المدعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّمَ حلالاً، ومن ادعى حقًا غائبًا أو بينة، فاضرب له أمرًا ينتهى إليه، فإن بينه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك أبلغ فى العذر، وأجلى للعماء، ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يُبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، والمسلمون عدولٌ بعضهم على بعض، إلا مجربًا عليه شهادة زور، أو مجلودًا فى حد، أو ظننًا فى ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من عباده السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والإيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذى بالناس، والتنكر [للخصوم] عند الخصومة أو الخصوم -شك أبو عبيدة- فإن القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن أخلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه

---

(١) راجع أعلام الموقعين عن رب العالمين، للعلامة ابن قيم الجوزية: ١/ ٨٥، ٨٦.

«أمره» إلى الله، فإن الله تـعالى لا يقبل من العبـاد إلا ما كان خالصًـا، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام عليكم ورحمة الله»[١].

٢ - حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا، وزينوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

٣ - من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استُخِفَّ به، ومن أكثر من شىء عُرِفَ به، ومن كثر كلامه كثر سقَطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعه[٢]، ومن قل ورعه مات قلبه.

٤ - لا تكلم فيما لا يـعنيك، واعتزل عدوك[٣]، واحذر صديقك[٤]، إلا الأمين[٥]، ولا أمين إلا من يخشى الله[٦].

٥ - لا تمشى مع الفاجر، فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاوره فى أمرك إلا الذين يخشوْن الله تعالى.

---

(١) هذا الخطاب الجامع المانع يعتبـر دستوراً ومنهجًا قويمًا رشيـدًا للقضاء وأصول الحكم بين الناس للعمل بموجبه فى كل عصر ومصـر، فى كل مكان وزمان، وقد تلقاه علماء الأمة بالرضى والقبول.

(٢) قال رسول الله ﷺ: (والحياء شعبة من الإيمان) فمن افتقد الحياء كان إيمانه ناقصًا.

(٣) لأن العدو مصدر الـشر والفساد، والاقتراب منه يعـاونه وييسر له مهمة الفـساد والإفساد والتخريب.

(٤) لقول الشاعر:

فـلربمـا انـقـلـب الصـديـق فـكـان أعـلـم بالمـضـرة

(٥) لأن الأمين المأمون موثوق بسلامة جانبه.

(٦) ولا يمكن أن تجد خشية الله مع غير الصدق والأمانة.

٣- عثمان بن عفـــان (١)
(ت ٣٥ هـ / ٦٥٦م)

اسمه ولقبـه وكنيته:

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمـية بن عبدشمس ثالث الخلفاء الراشدين، أبو عمرو، وأبو عبدالله، القرشى الأموى.

وهو أحـد السـابقـين الأوليـن إلى الإسـلام، وذو النورين، صـاحب الهجرتين، وزوج الابنتين (رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ).

أمه هى أروى بنت كُرَيْزِ بن ربيعة بن حبيب(٢) بن عبدشمس.

صفاتـــه:

لم يكن عثـمان ﷺ بالطويل ولا بالقصـير، أى أنه كان وسطًا قـسيم الوجه، كثَّ اللحيـة، أسمر اللون، عظيم الكراديس، بعيـد مابين المنكبين، يخضب بالصفرة، أسنانه مشدودة بالذهب(٣).

وأخرج الطبـرانى بإسناده أنه كان ضَرِبَ اللحم، طويلْ اللحـية، حسن الوجه(٤).

---

(١) حلية الأوليـاء لأبى نعيم ١/ ٥٥ وتاريخ اليـعقوبى ٢/ ١٣٩، وتـاريخ الطبرى ٥/ ١٤٥، وصحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ٥٣، والرياض النضرة فى مناقب العشرة ٢/ ٨٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٢٥٤، والمنتظم لابن الجوزى ٤/ ٣٣٤-٣٦٧.

(٢) كذا ورد فى الطبـقات الكبرى ٣/ ٥٣، وابـن عساكـر فى تاريخ دمشق ص٤، وجمـهرة أنســاب العرب ٧٤، ولكن وردت «أروى بـنت حبـيب» فى بعض نسخ تاريخ الإسـلام للذهبى.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٣٠.

وكان عثمان يصفر لحيته، فما رؤى شيخ أجمل منه[١].

مناقب عثمان:

قال رسول الله ﷺ: (**إنا نشبه عثمان بأبينا أبراهيم عليه السلام**)[٢].

وذكر ابن ماجه فى المقدمة[٣] عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى عثمان عند باب المسجد، فقال: (**ياعثمان، هذا جبريل يخبرنى أن الله زوَّجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها**).

وفى تاريخ دمشق عن الحسن قال: إنما سُمِّيَ عثمان «ذا النورين» لأنا لا نعلم أحدًا أغلق بابه على ابنتى نبى غيره[٤].

وثبت عن الحسن أنه قال: جهز عثمان جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب[٥]، وقد ورد فى الحديث الصحيح عن على قال: قال رسول الله ﷺ: (**رَحِمَ الله عثمان تستحييه الملائكة**)[٦]، وقال: (**أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان**)[٧].

وفى عزوة تبوك جهَّز عثمان جيش المسلمين بسبعمائة وخمسين ناقة، وخمسين فرسًا على ما ذكر ابن عساكر[٨].

---

(١) ورد هذا الوصف عن السائب على ما ذكر ابن عساكر ص ١٩.
(٢) ابن عساكر ص ٢٤.
(٣) رقم ١١٠ وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥ وتاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٤٧٠.
(٤) ابن عساكر ص ٤٥.
(٥) تاريخ دمشق ص ٦١.
(٦) تاريخ دمشق ص ٧٦، وفى صحيح مسلم عن عائشة ورد بإسناده بلفظ: (... ألا أستحى من رجل تستحيى منه الملائكة) المسند ٦/ ٦٢.
(٧) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٨١.
(٨) تاريخ دمشق ص ٦٦.

وقد ثبت فى حديث القُفّ[١]: . . . ثم جاء عثمان، فقال النبى ﷺ: (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تُصيبه)[٢].

ولم يجمع القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ذلك توفيقًا كبيرًا بإلهام من الله تعالى.

يذكر لنا الذهبى فى تاريخ الإسلام[٣] أنه صح من وجوه أن عثمان قرأ القرآن كله فى ركعة!!.

ولا ريب أن رجلاً مثل عثمان كان صوَّامًا قوَّامًا، وقيل إنه كان يصوم الدهر يعسر عليه قراءة القرآن فى ركعة. . .

وأورد الذهبى فى تاريخ الإسلام بإسناده عن على رضي الله عنه أنه قال: إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٤].

الفتنة واستشهاد عثمان:

وقعت الفتنة الكبرى التى استشرفت بلواها وأطلت على شيخ الأئمة عثمان رضي الله عنه، وقد بسطنا الكلام عليها فى كتابنا: «صحابة النبى ﷺ» فليراجعها ثَمَّ من أراد الإحاطة بدقائق هذا الموضوع[٥].

---

(١) ما استشرق وعلا من سطح الأرض، والمراد به هنا جدار مرتفع «جدار مبنى» حول فم البئر يمكن الجلوس عليه.

(٢) أخرجه البخارى عن أبى موسى الأشعرى ٥/٧٣/٣٦٧٤، ٩/٩٩/٧٠٩٧، ومسلم ١٨٦٨، ١٨٦٩، والترمذى ٣٧١١، وابن الأثير فى جامع الأصول فى أحاديث الرسول ٨/٥٦٢/٦٣٧٢، وحلية الأولياء ١/٥٧، ٥٨.

(٣) ج٣/٤٧٦، بتحقيق الدكتور عمر عبدالسلام التدمرى والحلية ١/٥٧.

(٤) الحجر: ٤٧.

(٥) صفحة ٥٨ وما بعدها.

قصارى الأمر أن عثمان راح ضحية فتنة آثمة وثوار أجرموا فى حق أمير المؤمنين الصابر المحتسب الذى دفع روحه ونفسه راضيًا مرضيًا ورفض جازمًا أن يتصدى للدفاع عن نفسه حتى لا يهريق دماء الأبرياء ورفض أن يسفك الدم الطهور تحت أى مسمى مهما كان الداعى إلى ذلك ولو كان دفاعًا مشروعًا.

ثم إن المقطوع به والمجزوم بصحته وسلامته أن عثمان لأول وهلة أدرك تمامًا بأنه مقضى عليه، وأن الشهادة ساعية إليه وأن ساعة الرحيل وشيكة، فكان قعوده عن المقاومة ماهو إلا تسليمًا مطلقًا للنهاية المحتومة.

ولئن كان المؤمن مغبوطًا بلقاء ربه، فما بالنا بعثمان وهو من هو إيمانًا وشغوفًا بلقاء ربه.

قيل: قتل عثمان لثمانى عشرة[1] خلت من ذى الحجة، يوم الجمعة [بعد العصر][2] ودفن بالبقيع بين العشاءين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقال الطبرى: وقيل عاش ستًا وثمانين سنة.

دُفِنَ عثمان فى ثيابه بدمائه، ولم يُغَسَّل[3] وقد صلى عليه جُبَيْر بن مُطْعَم فى ستة عشر رجلاً.

من درر أقواله ولطائفه ومأثوراته وما ورد عنه:

١- كان عثمان يُطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته يأكل الخل والزيت، فهل بعد هذا من إيثار.

---

(١) وفى إحدى الروايات: «لثمان خلت» وهو خطأ لغوى، والصحيح «خلون».
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من بعض الروايات. راجع تاريخ الطبرى ٤/٤١٦، ٤١٧.
(٣) تاريخ الطبرى ٤/٤١٥.

٢- كان يقيل فى المسجد وهو خليفة يومئذ، ويقوم وأثر الحصى فى جانبه [بجنبه].

٣ - قال عثمان: لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى لاخترت أن أكون رمادًا، قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

٤ - والله «وفى رواية: وايم الله» ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام، وما ازددت للإسلام إلا حياءً.

٥ - ما أخذته بيمينى منذ أسلمت - يعنى ذكره-.

٦ - كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلَّ لحيته.

٤- على بن أبى طالب [١]
(ت ٤٠ هـ / ٦٦١م)

اسمه وكنيته ونسبه:

هو على بن أبى طالب بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى، أبو الحسن، وهو أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، ابن عم رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه فاطمة بنت أسد[٢].

إسلامه:

أسلم على مبكرًا منذ فجر الدعوة وله أربع عشرة سنة بل كان أول من أسلم من الصبيان، وتربى فى حجره ﷺ فهو من السابقين الأولين للإسلام.

تولى الخلافة:

تولى على -كرم الله وجهه- الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ست وثلاثين للهجرة المشرفة.

شجاعته وبطولته مضرب الأمثال:

كانت فروسية على بن أبى طالب وشجاعته مضربًا للأمثال، وقد أعمل سيفه فى رقاب المشركين والكفار، وقد نصر الله به الدين.

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٣، وصفة الصفوة ١/ ١١٨، وحلية الأولياء ١/ ٦١، تاريخ اليعقوبى ٢/ ١٥٤، وتاريخ الخميس ١/ ٢٥٩، وشرح نهج البلاغة ٢/ ٥٧٩، ومروج الذهب للمسعودى ٢/ ٢، والإصابة ٤/ ٢٦٩/ ٥٦٨٢.

(٢) هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف الهاشمية، بنت عم أبى طالب، هاجرت، وتوفيت فى حياة رسول الله ﷺ، ووقف على قبرها وقال: اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ووسع مدخلها. . .إلخ. راجع كتابنا : «نساء صحابيات حول الرسول».

زهده وورعه وتقواه وعبادته:

كان على آية من آيات الله فى الزهد والورع والتقوى والخشية من الله والإخبات له جل شأنه، فكان عمله كله مبرورًا متوجهًا للآخرة.

كان شاغله الأول والأخير هو الآخرة، وما يقرب إليها من قول وعمل... ولم يكن ولا يمكن أن يكون مثل على من ينطوى على أية علائق لشهوات الدنيا ولذائذها، وهو من هو من أشاح بوجهه عنها، وولاَّها قفاه، واستدبرها كلية.

وقد تكلمنا على الكثير من الجوانب المضيئة المشرقة فى حياة الإمام على ابن أبى طالب فى كتابنا: «العشرة المبشرون بالجنة» و «صحابة النبى ﷺ».

صفاته:

كان على ضخم البطن، أبيض الرأس واللحية[(١)]، وكان آدَمَ شديد الأدمة وذكر الشعبى عليًّا فقال: رأيت عليًّا أبيض اللحية، ما رأيت أعظم لحيةً منه، وفى رأسه زغبات[(٢)].

وذكر البلاذرى أن عليًّا كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر، وفى كل مشهد[(٣)].

فضائل على ومناقبه:

قال رسول ﷺ لعلى: **(أنت منى كهارون من موسى، غير أنك لست بنبى)**[(٤)].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٥.
(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٥، والمعجم الكبير للطبرانى ١/ ٩٤/ ١٥٧.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٩٤/ رقم ١٤.
(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٤، ٢٥، وأخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح ٣٨٠٨، بزيادة فيه وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب اهـ.

قال العلماء: لما نزلت الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[١]. دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: (اللهم هؤلاء أهلى)[٢].

حب النبي ﷺ لعلي:

وقد دعا له النبى ﷺ فقال: (من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه، اللهم وآل من والاه، وعادِ من عاداه)[٣].

وقد وصف رسول الله ﷺ عليًّا أجمع وصف وأجل نعت ينطوى على تقدير، عندما قال لفاطمة: (قد زوَّجتك أعظمهم حلمًا، وأقدمهم سلمًا، وأكثرهم علمًا)[٤].

وقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شاس الأسلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أذى عليًّا فقد آذانى)[٥].

وقال ﷺ : (لا يحب عليًّا إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق)[٦].

ثبت عن عائشة ﵂ أنها قالت لما سُئِلَتْ: أىُّ الناس أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال، فقالت: زوجها، إن كان ما علمت صوامًا قوامًا[٧].

---

(١) آل عمران: ١٦. راجع تفسير الطبرى ٦/ ٧٤، ومجاز القرآن لأبى عبيد ٩٦.
(٢) مسلم ٢٤٠٤، والترمذى ٣٨٠٨، وأحمد فى المسند ١/ ١٨٥.
(٣) ابن ماجه فى المقدمة ١١٦، وأحمد فى المسند ١/ ١١٨، ٤/ ٢٨١، ٥/ ٣٧٠ بأسانيد مختلفة، والترمذى ٣٧١٣، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ٥٤٢/ ٩٠٠٠.
(٤) أنساب الأشراف ١٠٤/ ٣٩، وأحمد فى المسند ٥/ ٢٦.
(٥) المسند ٣/ ٤٨٣.
(٦) أخرجه مسلم ٧٨، والترمذى ٣٧٣٧، والمسند ١/ ٨٤، ٩٥، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٩٧/ ٢٠.
(٧) أخرجه الترمذى ٣٩٦٥، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

على أقضى الناس:

ذكر أبو نعيم بإسناده عن على قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، وإن ربى وهب لى قلبًا عقولاً ولسانًا ناطقًا(١).

وذكر ابن عبد البر بإسناده عن سعيد بن المسيب: لم يكن أحدٌ من الصحابة يقول: «سلونى» إلا على(٢).

كان الصحابة يتحدثون فيما بيهم أن عليًّا أقضى أهل المدينة(٣).

وثبت أن الإمام أحمد بن حنبل قال: ماورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلى(٤).

لطائفه وإشاراته ودرر أقواله:

١ - كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل(٥).

٢ - ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ١٣٥، ونهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٢٠/ ٥، والإمام أحمد فى المسند ١/ ٨٨.

(٢) الاستيعاب ٣/ ٤٠، ٤١، وتاريخ الخلفاء ص ١٧١.

(٣) نهاية الأرب فى فنون الأدب ٢٠/ ٦، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٥، وقال ابن عباس: إذا حدثنا ثقة بفتيا عن على لم نتجاوزها راجع الاستيعاب ٣/ ٤٠، وفى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٣٨: «لا نعدوها».

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٠٧.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٧٥.

٣ - احفظوا عنى خمسًا، فلو ركبتم الإبل فى طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن لا يرجو عبدٌ إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحى عالم إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

٤ - إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنْسى الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

٥ - طوبى لكل عبد نؤمة، عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان. أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله فى رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين.

٦- إن الفقيه كل الفقيه هو الذى لا يُقْنِطُ الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم فى معاصى الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير فى عبادة لا علم فيها، ولا خير فى علم لافهم فيه، ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها.

٧- كونوا ينابيع العلم، مصابيح الليل، خلق الثياب، جدد القلوب، تعرفوا به فى السماء، وتذكروا به فى الأرض.

٨- أيها الناس، إنكم والله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم دعاء الحمام، وجأرتم جؤار متبتلى الرهبان، ثم خرجتم إلى الله من الأموال، والأولاد التماس القربة إليه، فى ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصاها كتبته، لكان قليلاً فيما أرجوه لكم من جزيل ثوابه، وأتخوف عليكم من أليم

عقابه، فيالله يالله، لو سالت عيـونكم رهبة منه، ورغبة إليه، ثم عمرتم فى الدنيا، مـا الدنيا باقيـة، ولو لم تبقـوا شيئًـا من جهدكم لأنعـمه العظام عليكم بهـدايته إياكم للإسلام؛ مـاكنتم تستحـقون به، الدهر مـا الدهر قائم بأعمالكم جنتـه، ولكن برحمته ترحمون، وإلى جنته يصـير منكم المقسطون جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين.

٩- كن فى الفتنة كـابن اللبون[١]: لا ظهر له فيُـرْكب، ولا ضرع له فيُحلَبْ.

١٠- أزرى بنفســه من استـشعر الطمع، ورضى بالـذل من كشف عن ضُرِّه، وهانت عليه نفسه من أمَّر عليها لسانه.

١١- البخل عار، والجبن منقصة، والفقر يُخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب فى بلدته، والعجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جُنَّة.

١٢- صدر العاقل صندوق سره، والبشاشةُ حِبَالةُ المودة.

١٣- خالطوا الناس مخالطةً إن مُتُّم معها بكواْ عليكم، وإن عشتم حَنُّوا إليكم.

١٤- إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفوَ عنه شكرًا للقدرة عليه[٢].

---

(١) ابن اللَّبُـون: بفتح اللام وضم البـاء: هو ابن الناقة الذى بلغ سنتـين اثنتين، لا ظـهر له ليصير مركوبًا، ولا ضرع له ليكون محلوبًا؛ أى معدوم الجدوى والنفع، وهنا يريد الإمام عند اشتـداد الفتن وعند ما تطل برأسها أن يـكون الإنسان كابن اللبون لمثيرى هذه الفتن حتى لا ينتفعوا منه فى إثارتها.

(٢) لأن القدرة عليـه من فضل الله تعـالى، وهذا الفضل يسـتوجب الشكر عليـه وما أنسب لذلك الشكر إلا العفو عنه، ففى هذا العفو يتم تحصيل منفعتين: الأولىٰ شكر الله تعالى الذى مكَّن من هذا العدو وحسم شره، ثم إن الإحسان بالعفو فيه إشاعة للخير، وتذكرة بليغة للعدو بأن الفضل قد يطول المرء من خصمه فلا يكون هناك موجب للجاجة واللدد فى الخصام.

١٥- أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

١٦- إذا وصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر.

١٧- من ضيَّعه الأقرب، أتيح له الأبعد.

١٨- ما كل مفتون[1] يُعَاتب.

١٩- من جرى فى عِنَانِ أمله، عثر بأجله[2].

٢٠- «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم»[3]. فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده يرفعه.

٢١- من أبطأ به عمله لم يُسْرِع به نسبُه.

٢٢- يا ابن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك النعم، وأنت تعصيه فاحذره.

٢٣- امشى بدائك مامشى بك.

٢٤- فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشر شرٌّ منه.

---

(١) أى ليس كل مفتوم ملومًا فى كل الأحوال، فربما يكون تعرضه للفتنة قد حدث بمحض المصادفة دون سعى منه أو إقبال عليها، من ثم يكون أوْلى به العذر من التثريب والإنحاء والنعى.

(٢) هذا مفاد قوله ﷺ: (إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل لها به حاجة) أخرجه الترمذى فى جامعه والطبرانى، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٦٦، وأحمد فى المسند، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٣٣/ ٤٠٤، وكشف الخفاء للعجلونى ١/ ٧٩/ ١٩٤.

(٣) مقتبس من حديث شريف: (اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا فى الحدود) أخرجه أبو داود ٤/ ٥٤٠/ ٤٣٧٥، ومسند أحمد ٦/ ١٨١، وكشف الخفاء ١/ ١٦١/ ٤٨٨، والمقاصد الحسنة للسخاوى ص ١٣٦ حديث رقم ١٤٣ وحلية الأولياء ٩/ ٤٣.

٢٥- كن سمحًا ولا تكن مبذرًا، وكن مقدرًا ولا تكن مقترًا.

٢٦- أشرف الغنى ترك المنى.

٢٧- من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

٢٨- من أطال الأمل أساء العمل.

٢٩- لا قربة بالنوافل إذا أضرَّت بالفرائض[1].

٣٠- لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

٣١- سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك.

٣٢- قدْر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدْر غيرته.

٣٣- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأى، والرأى بتحصين الأسرار.

٣٤- احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شَبِع.

٣٥- قلوب الرجال وحشية، فمن تألفها أقبلت عليه.

٣٦- عيبك مستورٌ ما أسعدك جدُّك[2].

٣٧- أوْلى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة[3].

٣٨- السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم.

---

(١) وهذا مؤدى عدم قبول النافلة إلا بعد الفريضة (ولا يقبل الله نافلة حتى تؤدى الفريضة).

(٢) الجدُّ: الحظ والبخت، والجمع «الجُدُود» تقول منه: جُددْتُ يا فلان «على ما لم يسم فاعله» أى صرت ذا جد، فأنت «جديد» حظيظ، ومجدود: محظوظ.

(٣) حثٌ وتحريضٌ على العفو للقادر على العقوبة ليكون ذلك سبيلاً إلى إفشاء وإشاعة الخير بين جماعة المؤمنين، ومن كان عاجزًا غير قادر لا يقدر على العفو، فالأولى به القادر على العقوبة.

٣٩- لا غِنَى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة.

٤٠- الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب[١].

٤١- الغنى فى الغربة وطن، والفقر فى الوطن غربة[٢].

٤٢- القناعة مالٌ لا ينفد[٣].

٤٣- المال مادة الشهوات.

٤٤- من حذَّرك كمن بشَّرك[٤].

٤٥- اللسان سَبُعٌ إن خُلِّيَ عنه عقر.

٤٦- المرأة عقرب حلوة اللِّبسة.

٤٧- الشفيع جناح الطالب.

٤٨- أهل الدنيا كَرَكْبٍ يُسارُ بهم وهم نيام[٥].

---

(١) صبر على ما تكره أى على تحمل وإساغة نزول ما تكره بك وحلوله بعقوتك، وصبر على ما تحب: أى صبرٌ على بُعْدَ ما تحب.

(٢) وهناك رواية: «الغنى فى الغربة أهل، والفقر فى الأهل غربة».

(٣) قال الشاعر:

ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... فإذا قنعت فأى شىء كافى

(٤) لكون التحذير من الشر، فإنه يكون مقتضيًا صلاح الأحوال التى يترتب عليها الإثابة والجزاء الطيب، من ثم فإنه بموجب النتيجة المنتهى إليها وعلى سبيل الاقتضاء يكون التحذير مؤديًا إلى البشرى بالنتيجة وهى البشرى بالخير.

(٥) هذا معنى قوله ﷺ: «الناس نيام حتى إذا ماتوا انتبهوا» لكن عزاه الشعرانى فى طبقاته لسهل التسترى بلفظ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا ماتوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم» راجع كشف الخفاء للعجلونى ٢/ ٣١٢/ ٢٧٩٥، والمقاصد الحسنة للسخاوى ٦٩١/ رقم ١٢٤٠.

٤٩- فقد الأحبة غربة(١).

٥٠- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.

٥١- لا تستح من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه.

٥٢- العفاف زينة الفقر(٢).

٥٣- لا ترى الجاهل إلا مُفْرِطًا أو مُفَرِّطًا(٣).

٥٤- إذا تم العقل نقص الكلام.

٥٥- الدهر يُخْلِقُ الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب الآجال، ويعجل المنيَّة، ويباعد الأمنيَّة، من ظفر به نصب، ومن فاته تعب.

٥٦- نَفَسُ المرء خطاه إلى أجله.

٥٧- كل معدود منقض، وكل متوقع آت.

٥٨- إن الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها.

٥٩- «الحكمة ضالة المؤمن»(٤) فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

٦٠- قيمة كل امرئ ما يُحسِنُه.

٦١- قال علي -كرم الله وجهه- لرجل أفرط فى الثناء عليه، وكان له متهمًا: أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك.

---

(١) لأن استيحاش الأحبة يعمق الشعور بالغربة. قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهمو … وخُلِّفتَ فى قرن فأنت غريب

(٢) لأن الفقر عادة موصوم بالابتذال وإذالة النفس، من ثم كان العفاف معه زينة.

(٣) المُفْرِط: من أفرط أى غالى وأسرف، والمُفَرِّط: المقصر.

(٤) أخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح ٣/ ٣٨٢ رقم ٢٦٨٧ وكشف الخفاء للعجلونى ١/ ٣٦٣/ ١١٥٩ والمقاصد الحسنة للسخاوى ٣١٠/ ٤١٥.

٦٢- من ترك قول لا أدرى أصيبت مقاتله(١).

٦٣- عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار.

٦٤- من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظٌ، كان عليه من الله حافظ.

٦٥- الفقيه كل الفقيه من لم يُقَنِّطُ الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رَوْح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله(٢).

٦٦- إن هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم(٣).

٦٧- أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر فى الجوارح والأركان.

٦٨- إن أوْلى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به(٤).

٦٩- ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهِي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير فى الدنيا إلا لرجلين: رجلٌ أذنب ذنوبًا فهو يتداركها بالتوبة(٥)، ورجل يسارع فى الخيرات.

---

(١) إذا قال المرء قولاً يدرك أنه على غير الصواب والحق، حياءً واستنكافًا من قول: «لا أدرى» فقد خان أمانة العلم، والأبعد من ذلك كان خائنًا لله ورسوله ولجماعة المؤمنين، فالمأثور عن السلف الصالح المأمون على دينه أن ذلك لا يقدح فى علم العالم بحال.

(٢) لذلك يجب على الفقيه أن يكون واسع الصدر، بعيد الإناة.

(٣) إن طرائف الحكم تحمل فى مطاويها وثناياها تسرية للنفس وتفريجًا للهموم والكروب.

(٤) لأن أعلم الناس بما جاء به الأنبياء محجوجون بما علموه عنهم وعن رسالاتهم.

(٥) فى الحديث الصحيح: «الإسلام يَجُبُّ ماقبله، والتوبة تهدم ماقبلها».

٧٠- إن ولى محمد من أطاع الله وإن بعدت لُحْمـتُهُ، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته(١).

٧١- نومٌ على يقين خيرٌ من صلاة فى شك(٢).

٧٢- اعقلوا الخـبر إذا سمعـتموه عقل رعـاية، لا عقل رواية(٣)، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل.

٧٣- اللهم إنك أعلم بى من نفسى، وأنا أعلم بنفسى منهم -وهم قوم امتدحوه فى وجهه- اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، واغفر لنا مالا يعلمون.

٧٤- لا يسـتقيم قـضاء الحـوائج إلا بثلاث: باسـتصـغارها لتـعظم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.

٧٥- إن الله افـترض عليكم الفـرائض فلا تضـيعـوها(٤)، وحَدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها.

٧٦- رُبَّ عالم قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه(٥).

٧٧- لا مال أعود من العقل: ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقـوى، ولا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كـالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، ولا ورع

---

(١) وهذا معنى قولـه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٣١.
(٢) لأن الشك والاسترابة يجعل الصلاة مردودة، وكأنها لم تكن، فالعبرة باليقين.
(٣) الرعاية تمثل العمل، كما أن الرواية تمثل القول.
(٤) إن أصل الشر ومصدره تضييع الفرائض، والتى يجب الحرص عليها.
(٥) إذا لم ينتفع العالم بعلمـه كان هو والجاهل سواءً، وهذا تمامًا أشبه مـا يكون بالبخيل الموسر، فإنه والفقير سواءً لكون المال عنده معطلاً لا فائدة له منه ولا عائدة. قال الشاعر العربى:

إذا كنـت ذا مـال ولـم تـك ذا نـدى ... فـأنـت إذاً والمـقـتـرون سـواء

كالوقوف عن الشبهة، ولا زهد كالزهد فى الحرام، ولا علم كالتفكر، ولا عبادة كأداء الفرائض، ولا إيمان كالحياء والصبر، ولا حسب كالتواضع، ولا شرف كالعلم، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة.

٧٨- قيل له: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال رضي الله عنه: كيف يكون من يفنى ببقائه، ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه، وكم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتُلِىَ أحدٌ بمثل الإملاء له.

٧٩- هَلَكَ فِىَّ رجلان: محبٌ غالٍ[١]، ومبغضٌ قالٍ[٢].

٨٠- إضاعة الفرصة غُصَّةٌ[٣].

٨١- شتان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره.

٨٢- غيرة المرأة كفرٌ، وغيرة الرجل إيمان[٤].

٨٣- الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح.

٨٤- عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب، ويفوته الغنى الذى أيَّاه طلب، فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء[٥]، وعجبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة ويكون غداً

---

(١) غال: مسرف. (٢) قالٍ: كاره.

(٣) قال الشاعر:

بادر الفرصة واحذر فوتها فبلوغ العز فى نيل الفرص

(٤) غَيْرة المرأة كفرٌ لأنها تحرم على الرجل ما أحلَّ الله تعالى له من الزواج من متعددات أخريات، فهى بذلك طريق إلى الكفر لمخالفتها أمر الله تعالى. وغَيْرة الرجل إيمان، فهى تحريم لما حرَّمه الله من الزنا فكانت لذلك سبيلاً إلى الإيمان.

(٥) يعيش عيش الفقراء لحرمانه نفسه مما أنعم الله عليه به فكان والفقير سواءً، إذ يحتمل ما=

جيفة، وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله، وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى الموتى، وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت لعامر دار الفناء، وتارك دار البقاء.

٨٥- من قصَّر فى العمل ابتُلِىَ بالهمِّ، ولا حاجة لله فيمن ليس لله فى ماله ونفسه نصيب.

٨٦- عظم الخالق عندك يُصْغِرُ المخلوق فى عينك.

٨٧- إن لله مَلَكًا ينادى فى كل يوم: لِدُوا للموت[١]، وابنوا للخراب واجمعوا للفناء.

٨٨- الدنيا دار مَمَرٍّ إلى دار مقر، والناس فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فيها فأوبقها[٢]، ورجلٌ ابتاع نفسه فأعتقها.

٨٩- لا يكون الصديق صديقًا إلا أن «حتى» يحفظ أخاه فى ثلاث[٣]: فى نكبته وغيبته ووفاته.

٩٠- من أُعْطِىَ أربعًا لم يُحْرم أربعًا: من أُعْطِىَ الدعاء لم يحرم الإجابة ومن أُعْطِىَ التوبة لم يُحْرم القبول، ومن أُعْطِىَ الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أُعْطِىَ الشكرَ لم يحرم الزيادة[٤].

=يحتمله الفقراء وبين يديه المال، من ثم يكون استعجل الفقر وهو يهرب منه بجمع المال والحرص عليه. وهو بذلك اجتمع عليه شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، شقاء الدنيا لكونه محرومًا معذبًا بالفقر وهو غنى وفى الآخرة محاسب على ذلك.

(١) أى أن ما تلدونه صيرورته إلى الموت محتومة.

(٢) أوبقها: أهلكها.

(٣) أى فى ثلاث خصال أو فى ثلاث حالات.

(٤) وهذا مستمد من قوله تعالى:

أ - فى الاستجابة للدعاء: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. راجع أقوال العلماء فى معنى الدعاء هل هو العبادة؟ فى اختيار ابن كثير فى المختصر ٣/ ٢٥٠، وانظر القرطبى ١٥/ ٣٢٠.

٩١- استنزلوا الرزق بالصدقة.

٩٢- من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

٩٣- تنزل المعونة على قدر المؤونة.

٩٤- ما أعال من اقتصد.

٩٥- الهمُّ نصفُ الهَرَم.

٩٦- المرء مخبوء تحت لسانه.

٩٧- هلك امرؤ لم يعرف قدره.

٩٨- لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمان.

٩٩- عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته.

١٠٠- من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاورها فى عقولها.

١٠١- عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه.

١٠٢- من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء الظن.

١٠٣- من ملك استأثر(١).

١٠٤- من قضى حق من لا يقضى حقه فقد عبده.

١٠٥- لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق(٢).

ب- فى الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

ج- فى الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

د - في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]. راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٩/ ٢٣٥، والقرطبى ٥/ ٩٣، ومختصر ابن كثير ١/ ٣٦٧.

(١) أى من ملك استبد.

(٢) حديث عن رسول الله ﷺ، وقد رواه عنه الإمام على. انظر الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٢٦، ٤٢٧، عن عمران والحكم بن عمرو الغفارى، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ٦٤٦/ ٩٩٠٣، كذا عن على أخرجه أبو داود ٣/ ٩٣/ ٢٦٢٥، والنسائى

١٠٦- لا يعاب المرء بتأخير حقه، إنما يُعَابُ من أخذ ما ليس له(١).

١٠٧- الإعجاب يمنع الازدياد.

١٠٨- الأمر قريب، والاصطحاب قليل.

١٠٩- قد أضاء الصبح لذى العينين.

١١٠- ترك الذنب أهون من طلب التوبة.

١١١- كم من أكلة منعت أكلات.

١١٢- الناس أعداء ما جهلوا(٢).

١١٣- من استقبل وجوه الآراء(٣)، عرف مواقع الخطأ.

١١٤- إذا هبت أمرًا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه.

١١٥- آلة الرياسة سعة الصدر(٤).

١١٦- ازجر المسيئ بثواب المحسن.

١١٧- اللجاجة تسُلُّ الرأى.

١١٨- الطمع رِقٌّ مؤبد(٥).

١١٩- ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

٢/ ١٨٧، وكشف الخفاء ٢/ ٢٦٥/ ٣٠٧٦، وأخرجه أحمد بلفظ: «لا طاعة لمن لم يطع الله» عن أنس. المسند ٣/ ٢١٣. وعن على أيضًا أخرجه البخارى ٩/ ٧٨، ومسلم ١٨٤٠، وأحمد ١/ ٤٠٩، ٥/ ٦٦.

(١) تأخير الحق من الفضل، لكن أخذ ما ليس من حقه فهو غصب محرم.

(٢) انظر كتاب جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ٢/ ٢٤٠/ ١٩٧٨.

(٣) لأن تقليب الآراء ظهرًا لبطن جدير بإظهار مواضع الخطأ والخطل.

(٤) لأن سعة الصدر موجب لتقبل كل المشارب والهُوِيَّات والمنازع.

(٥) الطامع مأسور فيما يطمع فيه، فهو مأسور له يدور حوله ولا يزايله.

١٢٠- من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

١٢١- لم يذهب من مالك ما وعظك.

١٢٢- إن هذه القلوب تَملُّ كما تَمَلُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

١٢٣- كل إناء «وعاء» يضيق بما وضع «جُعِلَ» فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.

١٢٤- أوَّلُ عِوَضِ الحليم عن حلمه، أن الناس أنصاره على الجاهل.

١٢٥- من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خَسِرَ، ومن خاف أمِنَ، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فَهِمَ، ومن فَهِمَ علم.

١٢٦- من لان عوده كثفت أغصانه(١).

١٢٧- الخلاف يهدم الرأى(٢).

١٢٨- أكثر مصارع القوم تحت بروق المطامع.

١٢٩- بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنصفة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤَن يجب السؤدد، وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ، وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه(٣).

---

(١) هذا ينطوى على دعوة إلى المرونة والاتساع؛ إذ إن صلابة العود وتصلب الرأى فى كل الأحوال ليس سديداً، إذ إن كثيراً من المشكلات يتوقف حلها على المرونة.

(٢) الخلاف لمجرد الاختلاف معول هدَّام، لكونه صارفًا عن الوصول إلى الرأى السديد، والقول الفصل المحكم.

(٣) الحلم عن السفيه هو العلاج الحاسم لأنه لابديل له من حيث الصبر عليه، ثم إنه حافز للتناصر عليه من الآخرين.

١٣٠- قال على لابنه الحسن: لا تَدْعُوَنَّ إلى مبارزة، وإن دُعِيتَ إليها فأجب، فإن الدَّاعى باغٍ، والباغى مصروع(١).

١٣١- خير خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة، حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة، فرقت من كل شيء يعرض لها.

١٣٢- المرأة شرٌّ كلها(٢)، وشر ما فيها أنه لابد منها.

١٣٣- الحجر الغصيب فى الدار رهنٌ على خرابها.

١٣٤- إذا ازدحم الجواب خفى الصواب.

١٣٥- إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة.

١٣٦- احذروا نفار النعم، فما كل شارد بمردود.

١٣٧- الكرم أعطف من الرحم.

١٣٨- أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه.

١٣٩- مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

١٤٠- الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

١٤١- أحسنوا فى عقب غيركم تُحْفَظُوا فى عقبكم.

١٤٢- لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكًا، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

---

(١) هذه من أجل وأجمل الوصايا، وهى أن لايبدأ الإنسان بالعدوان، فالباغى مصروع، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

(٢) لقوله ﷺ: (فإنى رأيتكن أكثر أهل النار لكثرة اللعن وكفر العشير) المسند ٣/ ٦٧. وعند الترمذى فى كتاب الإيمان: (لكثرة لعنكن وكفركن العشير).

١٤٣- إن الطمع مورد غير مُصْدِر[١]، وحنا من غير وفى، وربما شرق شارب الماء قبل ريه، وكلما عظم قدر الشىء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده، والأمانى تُعْمِى أعين البصائر[٢]، والحظ يأتى من لا يأتيه.

١٤٤- اللهم إنى أعوذ بك أن تُحسِنَ فى لامعة العيون علانيتى وتقبح فيما أُبطِنَ لك سريرتى، محافظًا على رئاءِ الناسِ من نفسى بجميع ما أنت مُطلَّعٌ عليه منىِّ، فأبدى للناسِ حسنَ ظاهِرِى، وأفضى إليك بسوءِ عملى تقربًا إلى عبادك، وتباعدًا من مرضاتك.

١٤٥- قليل تدوم عليه خير من كثير مملول.

١٤٦- إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها[٣].

١٤٧- جاهلكم مزدادٌ وعالمكم مُسَوِّف.

١٤٨- كل معاجل يسأل الإنظار، وكل مؤجَّلٍ يتعلل بالتسويف.

١٤٩- إذا أرذل الله عبدًا حظر عليه العلم[٤].

١٥٠- ما أكثر العبر، وما أقلَّ الاعتبار[٥].

هذا جملة من أبلغ المواعظ، وألطف الرقائق، وأخلص النصائح

---

(١) أى له إيراد الأمر دون إصدارها، يقال: صدر عن الماء وعن البلاد «من باب نصر ودخل» وأصدره فصدر: أى رَجَعَه فرجع.

(٢) البصائر: جمع بصيرة.

(٣) ترك النوافل لا يضر بالإيمان، لكن على النقيض من ذلك فإن إهدار الفرائض وتركها إخلال بالإيمان وزحزحة عن أصول الدين.

(٤) إن خير الإنسان فى العلم وبالعلم غير محصور لانتظامه سعادة الدارين، الدنيا والآخرة، فمن حُرِمَ من العلم فقد حرم كل شىء.

(٥) إن الاعتبار هو وجه الانتفاع والاستفادة من العبر، من ثم فإن عدم الاعتبار هو تفعيل هذه العبر، وإلا فقدت العبر موجبات وجودها.

والوصايا الممحوضة التى تنطوى على جـميل الخصال وجليل الإرشادات التى تصلح أحوال الإنسان فى الدنيا والآخرة فتجعله مقبولاً مرضيًا.

وصية على لكميل بن زياد:

ذكر أبو نعيـم فى كتابه[1]، وغيره بإسناد عن كـميلٍ بن زيادٍ، أن عليا أخذ بيده، فأخـرجه إلى ناحية الجبان، قال كمـيل: فلما أصحرنا، جلس ثم تنفس، ثم قال:

يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخـيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربانى، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيـئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

المال تنقصه النفـقة، ومحبة العالم دين يـدان بها. العلم يكسب العالم الطاعة فى حيـاته، وجميل الأحدوثة بعد مـوته، وصنيعة المال تزول بزواله. مات خـزان الأموال وهم أحـياء، والعلمـاء باقون مـا بقى الدهر، أعيـانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة.

هاه إن هاهنا -وأشـار بيده إلى صدره- علـمًا لو أصبت له حـمله، بل أصبته لقنا غير مأمون عليه. يـستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه، يقتدح الشك فى قلبـه بأول عارض من شـبـهة، لاذا ولا ذاك، أو منهـوم باللذات، سلس القيـاد للشهوات، أو مغـرى بجمع الأموال والادخـار، وليس من دعاة الدين، أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة. كذلك يموت العلم بموت حامليه.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٧٩.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون.

صبحوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله فى بلاده، ودعاته إلى دينه. هاه هاه شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لى ولك، إذا شئت فقم.

وصف على فى مجلس معاوية:

وذكر أبو نعيم بإسناده[1] عن أبى صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكنانى على معاوية، فقال له: صف لى عليًا. فقال ضرار بن ضمرة: أو تعفينى يا أمير المؤمنين، قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لابد، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له؛ فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل فى محرابه قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم[2]، ويبكى بكاء

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٤ وما بعدها.

(٢) السليم: اللديغ أى الملدوغ وهو الملسوع، وكانت العرب تقول السليم على اللديغ تفاؤلاً له بالسلامة، كما كانوا يطلقون اسم القافلة على الركب تفاؤلاً لها بالرجوع.

الحزين، فكأنى أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، ياربنا -يتضرع إليه- ثم يقول للدنيا: إلىَّ تغررت، إلىَّ تشوفت، هيهات هيهات، غُرِّى غيرى، قد بتتك[1] ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير... آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، فجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن -رحمه الله- كيف وجدك عليه ياضرار؟

قال: وجد من ذبح واحدها فى حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج.

---

(١) كذا فى الحلية بتتك، وفى بعض النسخ: باينتك.

٥- طلحة بن عبيد الله [١]
(ت ٣٦ هـ / ٦٥٦م)

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمى القرشى المدنى، أبو محمد، من الصحابة الأجلاء، كان فارسًا شجاعًا، سمحًا جوادًا، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، واختير واحدًا من الستة أصحاب الشورى.

سبقه إلى الإسلام:

قال العلماء: كان طلحة من السابقين الأولين إلى الإسلام، أحد الثمانية السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد أطلق عليه «طلحة الخير» و «طلحة الجود».

حضوره المشاهد:

حضر طلحة بن عبيدالله المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد استبسل وتألق نجمه فى غزوة أحد والخندق وغيرها.

انضمامه إلى صف عائشة فى موقعة الجمل:

قاتل طلحة إلى جانب أم المؤمنين عائشة يوم الجمل، وقتل فيها سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة رضي الله عنه.

روايته:

روى لطلحة فى الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثًا متفقًا عليها.

---

(١) مصادر الترجمة ومراجعها: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٥٢، وحلية الأولياء ١/ ٨٧، وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٧١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٠، وصفة الصفوة ١/ ١٣٠، والمنتظم فى تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزى ٣/ ٧٤، ١٣٤، ٣٦٩، ٥/ ١١١-١١٤.

فضائل طلحة ومناقبه:

كان طلحة رضي الله عنه مثلاً مضروبًا فى السخاء والجود والكرم، مع صدق الإخلاص لله تعالى[(١)].

وقد أبلى بلاءً حسنًا يوم أحد، فقد أصابه فيه بضعٌ وسبعون إصابة ما بين طعنة، وضربة ورمية، وقد قطعت إصبعه.

وحسبه من الفضل والكرامة أن قال فيه ﷺ: **(من سرَّه أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة بن عبدالله)**[(٢)].

لطائف من المواقف المثيرة لطلحة:

أخرج أبو نعيم فى الحلية بإسناده عن قتيبة قال: دخل علىَّ طلحة ورأيته مغمومًا. فقلت: مالى أراك كالح الوجه. وقلت: ما شأنك؟ أرابك منى شىء فأعينك، قالا: لا، ولنعم خليلة المرء المسلم أنت، قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذى عندى كثر وأكربنى. قلت: وما عليك اقسمه، قال: فقسمه حتى ما بقى منه درهم واحد. قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة، كم كان من المال؟ قال: أربعمائة ألف.

وقال الشعبى عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة بن عبيدالله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه.

---

(١) حسبه من تكريم أن نزل فيه قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] راجع حاشية الشيخ الصاوى على الجلالين ٣/ ٢٧٠، راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤/١٥٨، وما بعدها، وقد ذكر الواحدى أن هذه الآية نزلت فى طلحة بن عبيدالله، ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم أوجب لطلحة الجنة) أسباب النزول بتحقيق السيد الجميلى ص ٢٦٢.

(٢) حلية الأولياء ١/٨٨.

وقيل كانت غلة طلحة كل يوم ألفًا وافيًا. وكان يسمى طلحة الفياض ذكرت سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيدالله أنه تصدق يومًا بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفى ثوبه.

وذكر أبو نعيم بإسناده عن الحسن قال: باع طلحة أرضًا له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقًا من مخافة المال، حتى أصبح ففرقه.

رضى الله عن طلحة بن عبيدالله وأرضاه، وسلام عليه فى الصالحين.

٦- عبدالرحمن بن عوف [١]
(ت ٣٢ هـ / ٦٥٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث، أبو محمد الزهرى القرشى، من أكابر الصحابة وأعلامهم[٢].

منزلته وسبقه إلى الإسلام:

كان أبو محمد عبدالرحمن بن عوف أحد الستة أصحاب الشورى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، فقد أسلم مبكرًا، وقد شهد بدرًا وأحدًا وجميع المشاهد الأخرى.

من تجار الرحمن:

كان عبدالرحمن بن عوف من تجار الرحمن، إذ إنه كان ذا تجارة عريضة واسعة، بورك له فيها، وحصلت له منها ثروة عظيمة هائلة، وقد تصدق فى يوم واحد بقافلة كاملة تحتوى على سبعمائة راحلة.

شجاعته وبطولته:

كان عبدالرحمن بن عوف شجاعًا مغوارًا، فقد ثبت يوم أحد، وقيل إنه جُرِحَ يومها إحدى وعشرين جراحة.

---

(١) حلية الأولياء ١/٩٨ وصفة الصفوة ١/١٣٥ والإصابة لابن حجر ٥١٧١، وتاريخ الخميس ٢/٢٥٧، وصحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ١٢٥، والمنتظم ٥/٣٣-٣٥.

(٢) قالت بعض المصادر: كان اسمه فى الجاهلية (عبدالكعبة) أو (عبد عمرو) فسمَّاه رسول الله ﷺ (عبدالرحمن).

روايتــه:

ورد له فى الصحيحين (البخارى ومسلم) خمـسة وستون حديثًا، متفقًا على صحتها.

وفاتــه:

توفى فى المدينة سنة ٣٢هـ اثنتين وثلاثين للهجرة المشرفة ودفن بالبقيع. فرضى الله عنه وأرضاه، وقيل كانت سنه عند وفاته اثنتين وسبعين سنة.

مناقب وفضائل عبدالرحمن بن عوف:

قال رسول الله ﷺ: **(يا ابن عوف، إنـك من الأغنياء، وإنك سـتدخل الجنة حبوًا، فأقرض الله يطلق لك قدميك)**(١).

وقال أيضًا: **(اللهم اسق عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة)**(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(خيركم خيركم لأهلى من بعدى)(٣) قال: فباع عبدالرحمن بن عوف حديقة بأربعمائة ألف، فقسمها فى أزواج النبى ﷺ.

من مواقفه المشهودة:

مما ذكره عنه أبو نعيم عن جعفر بن برقان، بإسناده قال: بلغنى أن عبدالرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بنت.

وفيه أيضًـا بإسناده عن نوفل بن إياس الهذلى، قال: كان عـبدالرحمن

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٩٩.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٦/ ٢٩٩، ٣٠٢.

(١) العشرة المبشرون بالجنة للسيد الجميلى.

ابن عوف لنا جليسًا، وكان نعم الجليس، وأنه انقلب بنا يومًا حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصفحة فيها خبز ولحم، فلما وضعت، بكى عبدالرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد، ما يُبكيك؟

قال: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لها لما هو خيرٌ منها.

وقرأ رجل عند رسول الله ﷺ، وكان ليِّن الصوت (أوليِّن القراءة) فما بقى أحدٌ من القوم إلا فاضت عينه غير عبدالرحمن بن عوف، فقال رسول الله ﷺ:

(إن لم يكن عبدالرحمن بن عوف فاضت عينه، فقد فاض قلبه)(١).

وفى الحلية بإسناده عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جده أنه قال: سمعت عليًّا يقول يوم مات عبدالرحمن بن عوف: اذهب ابن عوف، فقد أدركت صفوها، وسبقت رنقها.

---

(١) لأن رسول الله ﷺ من مشكاة النبوة يعرف ما قد جُبِلَ وفُطِرَ عليه عبدالرحمن بن عوف من براءة فى النفس وطهارة فى الفطرة ونقاء فى الطوية، ورقة فى الشعور، وقوة فى الإيمان واليقين.

٧- أبو ذر الغفارى (١)
(ت ٣٢ هـ / ٦٥٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، أبو ذر، من بنى غفار من كنانة بن خزيمة.

إسلامه:

كان رابع من أسلم، وقيل: بل خامس من أسلموا من السابقين الأولين وهو صحابى من أكابر الصحابة، ومن النساك والزهاد الأوائل.

هجرته إلى الشام:

هاجر أبو ذر إلى الشام، فأقام فى البادية، إلى أن توفى أبو بكر الصديق، وكذلك بقى ثمَّ حتى توفى عمر ﵁، وقيل ألقى عصاه فى دمشق فى عهد عثمان، وقد حمل على الأغنياء حملة شعواء ليبرُّوا الفقراء ويحسنوا إليهم، ويؤدوا إليهم حقوقهم التى جعلها الله لهم، فما جاع فقير إلا بمقدار ما شبع غنى موسر.

صفاته وشمائله:

كان أبو ذر ﵁ مثلاً مضروبًا فى السخاء والكرم والجود، وكان زاهدًا فى الدنيا، ملتفتًا عنها، متوجهًا بكليته إلى الآخرة.

حتى إنه لم يكن لديه من حطام الدنيا شىء يذكر، وقد قيل إنه مات ولم يوجد فى بيته ما يكفن به.

---

(١) مصادر الترجمة ومراجعها: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٧١، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٢٣٨، حلية الأولياء ١/ ١٥٦، والمنتظم ٤/ ٣٤٦، ٣٤٧.

لقد كان حقا تقيًا فاضلاً رشيدًا، من خيرة صحابة رسول الله ﷺ.

روايتــه:

روى أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مائتين وواحدًا وثمانين حديثًا.

وفاتــه:

توفى إلى رحمة ربه ورضوانه سنة ٣٢هـ اثنتين وثلاثين للهجرة.

مناقبه وفضائله:

حسبــه من الفضل والكرامة ما وصــفه به النبى ﷺ بقوله: **(ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر)**.

وورد أيضًا بلفظ: **(ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبى ذر)**[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(يرحم الله أبا ذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده)**.

وفى لسانه كان يحمل باترًا صارمًا، يحمل على الأغنياء ويُبكّتهم وكان قوله الدائم: «لا حاجة لى فى دنياكم».

لطائف ومواقــف:

١ - من اللطائف الجليلة ما ذكره أبو نعيم بإسناده عن أبى ذر أنه قال: انتهيت إلى النبى ﷺ حين قضى صلاته، فقلت: السلام عليك، فقال: (وعليك السلام)[2] فكنت أوّلَ من حيَّاه بتحية الإسلام.

---

(١) أحمد فى المسند ٢/ ١٧٥، ٢٢٣، والترمذى ٣٨٠٢ وابن ماجه رقم ١٥٦، والحاكم ٣/ ٣٤٢ عن ابن عمرو، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ٤٧٩/ ٧٨٢٥.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٥٩.

٢ - عن أبى أسماء الرحبى أنه دخل على أبى ذر رضى الله تعالى عنه وهو بالربذة، وعنده امرأة له سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق، قال: فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرنى به هذه السوداء؟ تأمرنى أن أتى العراق، فإذا أتيت العراق مالوا علىَّ بدنياهم، وأن خليلى عهد إلىَّ أن دون جسر جهنم طريقًا ذا دحض ومزلة، وأنا إن نأتى عليه وفى أحمالنا اقتدار، أحرى أن ننجُوَ من أن نأتى عليه ونحن مواقير[1].

٣ - وورد فى الحلية عن أبى ذر قال: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ، فقال لى: **(يا أبا ذر، أنت رجلٌ صالح، وسيصيبك بلاءٌ بعدى)**[2] قلت: مرحبًا بأمر الله.

٤ - وورد أن أبا ذر قال: يولدونَ للموت، ويبنون للخراب[3]، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان: الموت والفقر.

٥ - ذو الدرهمين أشد حسابًا من ذى الدرهم.

٦- ورد عنه قوله: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عز وجل خلقنى يوم خلقنى شجرة تعضد ويؤكل ثمرها.

ومن غرر أقواله:

٧- من أراد الجنة فليصمد صمدها.

---

(١) السابق ١/ ١٦١ بتصرف.

(٢) الحلية ١/ ١٦٢.

(٣) فى إحدى نسخ الحلية (ويعمرون).

٨ - يكفى من الدعاء مع البر، ما يكفى الملح مع الطعام.

٩ - هل ترى الناس ما أكثرهم، ما فيهم خيرٌ إلا تقىٌ أو تائب.

١٠- نفسى هذه مطيتى، إن لم أرفق بها لم تبلغنى.

١١- أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا، أليس يتخذ له من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم.

١٢- يا أيها الناس، إنى لكم ناصح أمين: صلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور، صوموا فى الدنيا لحر يوم النشور، تصدقوا مخافة يوم عسير.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يا أبا ذر، إنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم) ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**[1] فما زال يقولها ويُعيدها على.

رضى الله عن أبى ذر.

---

(١) الطلاق: ٣-٤.

٨- سعد بن أبى وقّاص[١] (ت ٥٥ هـ / ٦٧٥م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو سعد بن أبى وقاص، مالك بن أهيب بن عبدمناف، القرشى الزهرى، أبو إسحاق، وجده أهيب هو عم السيدة آمنة بنت وهب.

إسلامه:

أسلم سعد وهو فى عنفوان شبابه لم يكن تجاوز العشرين[٢] عامًا من عمره، فكان من السابقين الأولين إلى الإسلام فكان ثالث ثلاثة.

وهو صحابى جليل، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وقد شهد بدرًا وغيرها.

بطولاته:

كان سعد بن أبى وقاص بطلاً مغوارًا، اشتُهِرَ بفروسيته وشجاعته، فهو فاتح مدائن كسرى، وفتح العراق، وقد سمى (فارس الإسلام) لما كان مشتهرًا به من الفروسية وقوة الشباب وصلابة المغاوير.

فاتح القادسية:

سعد هو فاتح القادسية، وهو أول من نزل بأرض الكوفة، وقد بنى فيها دارًا، ثم تبعه خلق كثير بنوْا دورهم بعده فيها.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٤٨٣، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٣٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ٩٣، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ٩٢، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ١١، والمنتظم لابن الجوزى ٤/ ١٦٠-١٨٣.

(٢) قيل كان ابن سبع عشرة سنة عند إسلامه. انظر ابن الجوزى فى صفة الصفوة ١/ ١٣٦.

وقد ولاَّه عمر بن الخطاب ﵁ الكوفة، ثم أمَّرَه عليها عثمان فترة من الزمن، ثم عزله.

بعد عزله:

بعد أن عزله عثمان، استقر سعد فى المدينة المنورة قليلاً من الوقت ثم مالبث أن فقد بصره.

وفاته:

روى أن سعداً مات فى قصر له بالعقيق، بالقرب من المدينة التى حُمِلَ إليها ودُفِنَ فيها، وكان ذلك سنة خمس وخمسين للهجرة أو أربع وخمسين وله وقتذاك ثمانون سنة.

روايته:

روى سعد بن أبى وقاص إحدى وسبعين ومائتى حديث متفق عليها.

فضائل سعد ومناقبه وقرابته من النبى ﷺ:

كان رسول الله ﷺ يداعبه قائلاً: **(هذا خالى، فليُرنى أحدكم خاله)**.

ولكونه ثالث أول ثلاثة أسلموا فقد كان جديراً بالحب والتقدير.

وقد دعا إليه رسول الله ﷺ: **(اللهم سدد رميته، وأجب دعوته)**.

وفى غزوة أحد كان يقول له رسول الله ﷺ: **(ارم سعد فداك أبى وأمى)**[1].

---

(١) راجع صحابة النبى ﷺ السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، تأليف السيد الجميلى.

لطائف ومواقف ودرر من أقواله:

١ - قال سعد لابنه عمر: يابنى، أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأسًا؟؟ لا والله، حتى أُعْطَى سيفًا إن ضربت به مؤمنًا نبا عنه، وإن ضربت به كافرًا قتله.

٢ - من مأثور قوله فى الفتنة: ... أما أنا فأجلس فى بيتى ولا أدخل فيها.

٣ - قيل له: ألا تقاتل؟ فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تؤتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر.

٩- حذيفة بن اليمان [١]
(ت ٣٦ هـ / ٦٥٦م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو حذيفة بن حِسْل[٢] بن جابر العبسى، أبو عبدالله، واليمان هو لقب حسل، صحابى جليل.

كان أبوه أصاب دمًا فى قومه، فهرب لأجل ذلك إلى المدينة حيث حالف بنى عبد الأشهل، فسُمِّىَ لذلك اليمان لحلفه لليمانية، وقد استشهد يوم أحد[٣].

حضوره المشاهد:

أسلم حذيفة[٤]، وشهد أحدًا وجميع المشاهد بعدها.

شجاعته وصلابته وغزواته:

كان حذيفة بن اليمان شجاعًا صلبًا فى الحق، كان فاتحًا شجاعًا، وقد ولاَّه عمر على المدائن بفارس، وقد بعث كتابه لأهلها فى عهده «اسمعوا وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم».

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩/ ٤٠٥، وتاريخ دمشق ٤/ ٩٣، وحلية الأولياء ١/ ٢٧٠، وصفة الصفوة ١/ ٢٤٩، وأحاسن المحاسن ١٢٤، ١٢٥، وتاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٤٩١، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ١٦٣، والإصابة لابن حجر ١/ ٣٣٢، ٣٣٣/ ١٦٤٢، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٣٢، ٤٤.

(٢) كذا فى المصادر ماخلا بعض النسخ التى ورد فيها (حسبل) لكن لا عبرة بهذا التحريف إزاء إجماع المصادر الأخرى وفى البلاذرى ١/ ٣٢٢ «حسيل».

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٩٧، والاستيعاب لابن عبدالبر ١/ ٢٧٧، وانظر تاريخ بغداد ١/ ١٦١/ ١١.

(٤) أسلم معه أبوه وأخوه صفوان.

وهاجم نهاوند سنة اثنتين وعشرين للهجرة، كما غزا ماه سندان كذا غزا الدينور قهرًا واحتلهما عنوة، وغزا همدان والرى.

وفاته بالمدائن:

توفى حذيفة بالمدائن، بعد أن أعاده عمر بن الخطاب ﷺ إليها، وكانت وفاته[1] سنة ست وثلاثين للهجرة.

روايته:

روى له الشيخان مائتين وخمسة وعشرين حديثًا متفقًا عليها[2].

صفاته ومناقبه:

ورد عن زاذان بإسناده عن حذيفة، قالوا: يا رسول الله، لو استخلفت، قال: «**إن استخلفت عليكم فعصيتموه عُذِّبْتُمْ، ولكن ما حدَّثكم عبدالله فاقرأوه**»[3].

كان حذيفة مشهورًا بعدائه للنفاق، وحبه للصدق، كما كان ذا فراسة وقدرة على استقراء الوجوه، وقراءة غير المنظور على صفحة الوجه.

كما كان حذيفة أعلم الصحابة بالنفاق والمنافقين حتى إن عمر بن الخطاب كان إذا مات ميت سأل: هل سيصلى عليه حذيفة أم لا؟ فإن أجيب بنعم، صلى عليه عمر، وإلا فلا.

---

(١) قيل توفى بعد مقتل عثمان بأربعين يومًا.

(٢) انظر «صحابة النبى» للسيد الجميلى ص ٢٦٥.

(٣) أخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح برقم ٣٨١٢ عن حذيفة، كذا أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٩٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

لطائف ومواقف:

من روائع أقواله، ومنثور حكمه ومواعظه ووصاياه قوله:

١- إن الفتنة تعرض على القلوب، فأى قلب أنس بهـا نكتت فيه نكتة سوداء، فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيـضاء، فمن أحب أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر فإن كـان يرى حرامًا كان يراه حـلالاً، أو يرى حلالاً كان يراه حرامًا، فقد أصابته الفتنة.

٢- ليأتين على الناس زمان لا ينجو إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق.

٣ - مامن يوم أقر لعينى، ولا أحب لنفسى من يوم آتى أهلى فلا أجد عندهم طعامًا، ويقـولون: ما نقدر على قليل ولا كثيـر، وذلك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الله تعالى أشد حمية للمؤمن من الدنيا من المريض [من] أهله من الـطعـام، والله أشـد تعـاهدًا للمـؤمن بالبـلاء مـن الوالد لولده بالخير)**.

٤ - إن الرجل ليدخل المدخل الذى يجب عليـه أن يتكلم فيه لله، ولا يتكلم فلا يعود قلبه إلى ماكان أبدًا.

٥ - إياكم ومـواقف الفتن، قـيل: ومـا مـواقف الفتن؟ قـال: أبواب الأمراء، يدخل أحـدكم إلى الأمير فـيصدقـه بالكذب، ويقول ماليس فـيه، وورد أنه قـال فى مرضـه: لولا أنى أرى أن هذا اليـوم آخر يوم من الدنيـا، وأول يوم من الآخـرة لم أتكلم به. اللـهم إنك تعلم أنى أحب الفـقـر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحـب الموت على الحياة، حبـيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات[1].

---

(١) كان قوله هذا آخـر ما قاله فى الدنيا، وقد ورد فى بعـض المصادر بزيادة (... قد كنت قبل اليوم أخاف، فأنا اليوم أرجو).

٦- قيل إنه (أى حذيفة) كان أُغْـمِىَ عليه أول الليل ثم أفاق فقال: أىّ اللّيل هذا يا ابن مسعود؟ فـقال: السحر الأكبر الأعلى، فقـال حذيفة: عايذ الله من جـهنم -يقول ذلك مـرتين أو ثلاثًا- ابتـاعوا لى ثوبَيْن، ولا تغـالوا فيهـما، فإن صاحـبكم إن يُرض عنه يكن خيراً منهـما، وإلا يسلبهمـا سلبا سريعًا.

٧- كان الناس يسألونه ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشـر مخافة أن أقع فيه.

٨ - وورد عن سفيان بن عينية بإسناده قال: حدثنى هارون المدنى قال: لما حضر حذيفة قـال: غُطَّ ياموت غطك، وشُدَّ يا موتُ شدَّك، أبى قلبى إلا حبك، جـاء رخاء العيش بعدك، حـبيب جاء على فـاقة، لا أفلح من ندم، أليس وزائى ما أعلم، الحمد لله الذى سبق بى الفتنة قادتها وعلوجها.

رضى الله تعـالى عن حـذيفة وأسكـنه الفردوس الأعلى مـع الأنبيـاء والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

١٠- عتبة بن عزوان [١]
(ت ١٧ هـ / ٦٣٨م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو عتبة بن عزوان بن جابر بن وهيب الحارثى، المازنى، أبو عبدالله من الصحابة الأجلاء.

إسلامه:

أسلم عتبة بن عزوان مبكرًا[٢]، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقد شهد بدرًا، ثم القادسية مع سعد بن أبى وقاص.

بانى البصرة:

وعتبة بن عزوان هو الذى بنى مدينة البصرة. وقد ولاَّه عمر بن الخطاب ﷺ مدينة البصرة تلك التى بناها مكان (الأبلة) ثم سار إلى ميسان وأبز قياد، فافتتحهما.

شجاعته وبطولته:

كان عتبة من الرماة القناصين الأفذاذ، وقد اشتهر ببراعته وقوة شكيمته فى القنص.

وفاته:

قدم عتبة إلى المدينة لأمر خاطب به عمر بن الخطاب ﷺ، وعند

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٦٩، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ١٧١، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٥١، والمنتظم له ٤/ ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) كان عتبة سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام.

عودته مات فى الطـريق ﷺ، وكان ذلك سنة سبع عشرة لـلهجرة، الموافق سنة ثمان وثلاثين وستمائة للميلاد.

روايتـه:

روى عتبة عن رسول الله ﷺ أربعة أحاديث:

من لطائفه وروائع مأثوراتـه:

١- خطب عـتبة بن غـزوان فقـال: أما بعـد... فإن الدنيـا قد آذنت بصـرام، وولت حذاء، ولم يبق منـها إلا صـبابة كـصبـابة الإناء يتـصابهـا صـاحبـها، وإنكم منقلبـون منهـا إلى دار لا زوال لها، فـانتقلوا بخـير مـا بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شقة جهنم فيهوى فيها سبعين عامًـا ما يُدرك لها قـعرًا والله لتمـلأنه، أفعجـبتم والله لقد ذكـرنا أن ما بين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتنى وأنا سابع سـبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا أوراق الشجر حتى قـرحت أشداقنا، وإنى التقطت بردة فـشققتـها بينى وبين سعـد، فأتزر بنصفها وأتزرت بنصفها فما أصبح منا أحد اليوم حيًا إلا أصبح أمير مصر من الأمصار، وإنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيـمًا وعند الله صغيرًا، وإنها لم تكن نبـوة قط إلا تناسـخت حتى تكون عـاقـبتـها مـلكًا، وستـبلون أو ستجربون الأمراء بعدنا[١].

٢ - لقد رأيتـنا مع رسول الله ﷺ سابـع سبعـة مالنا طـعام إلا ورق الحبلة، حتى أحدنا ليصنع كما تصنع الشاة ما يخالطه شىء[٢].

---

(١) أخرجه مـسلم فى صحيحـه وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٧١، بإسناده عن خالد بن عـمير، وذكره.

(٢) السابق بإسناده عن قيس بن أبى حازم عن عتبة بن غزوان ١/ ١٧١، ١٧٢.

١١- مصعب بن عمير [١]
(ت ٣ هـ / ٦٢٥م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف القرشى، من بنى عبدالدار، كان يسمى بمصعب الخير.

إسلامه:

من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم مبكرًا بمكة، وكتم إسلامه خشية بغى أهله وأذاهم، لكنهم عرفوا بإسلامه، وأهانوه بسبب ذلك، وأوسعوه ضربًا وتعذيبًا وتنكيلاً، فأوثقوه وحبسوه.

هجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة:

هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وكان معروفًا بالقارئ، وهو أو من جمع الجمعة فى المدينة.

بطولاته وشجاعته:

كان مصعب بن عمير فتى فتيًا شديد الأسر، ممتلئًا قوة وحيوية ونضارة، على قسامة ووسامة وصباحة وجمال فى الصورة والهيئة، وحمل اللواء فى غزوة أحد التى استشهد فيها، وهو بدرى أيضًا كان شهد بدراً، وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٨٢، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٥٢، والإصابة ٦/ ١٠١/ ٧٩٩٦، وأسد الغابة ٤/ ٣٦٨، وحلية الأولياء ١/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٢١٧، ٢٢٠، والمنتظم ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦، ٣/ ١٦٣، ١٦٧.

فضائل ومناقب مصعب بن عمير:

ورد أن مصعب كان من الصادقين، وقد قرر ذلك القرآن الكريم إذ ذكر العلماء أن هذه الآية نزلت فى مصعب وأصحابه وهى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1].

لطائف ومواقف مثيرة عن مصعب بن عمير:

ذكر أبو نعيم فى الحلية، وابن سعد فى الطبقات الكبرى، بإسناده عن عبيد بن عمير، قال: لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مرَّ على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه، فقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية. ثم قال: (**أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة**).

---

(١) الأحزاب: ٢٣. راجع تفسير القرطبى ١٤/١٥٨، ١٥٩، وقد كان مصعب بن عمير ابتعثه رسول الله ﷺ إلى الأنصار يدعو الناس إلى كتاب الله، فإنه أدنى أن يتبع بناء على طلبهم من رسول الله ﷺ، فنزل بنى غنم على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقص عليهم القرآن، فلم يزل عند سعد بن معاذ يدعو ويهدى الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها نال لا محالة.

١٢- خبَّاب بن الأرت (١)
(ت ٣٧ هـ / ٦٥٧م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو خباب بن الأرت(٢) بن جندلة بن سعد التميمى، ويقال الخزاعى، أبو يحيى، أو أبو عبدالله.

إسلامه:

خباب بن الأرت من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد كان سادس الستة الأول، وهو أو من أظهر إسلامه.

عمله فى الجاهلية:

كان خباب قينًا يصنع السيوف فى الجاهلية بمكة، وقد اشتهر بدقة صنعه وإتقانه، ولما أن شرح الله صدره إلى الإسلام حورب وأوذى فى الله من مشركى قريش(٣) الذين استضعفوه، لكنه صبر وثابر وازداد مع ذلك تمكينًا وثباتًا على الحق، ولم يتحول عنه كما أرادوا له.

حضوره المشاهد:

حضر خباب المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

---

(١) صفة الصفوة ١/١٦٨، وحلية الأولياء ١/١٤٣، والإصابة ٢/١٠١,٢٢٠٦، وصحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ٢٨٥، والمغازى للواقدى ١٠٠، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/١١٦، ١٥٦، وتاريخ الطبرى ٣/٥٨٩، ٥/٦١، وأسد الغابة ٢/٩٨، ومابعدها وتقريب التهذيب لابن حجر ١/٢٢١/١٠٥.

(٢) فى الإصابة: (الأرت) بتشديد المثناة الفوقية ابن جندلة بن سعد بن خزيمة..

(٣) وشارك فى تعذيبه سيدته «أم أنمار» التى كان عبدًا لها قبل عتقه، وكان يمر عليه رسول الله ﷺ فيدعو له ويقول: «اللهم انصر خبَّابًا».

روايتــه:

روى له الشيخان فى الصحيحين اثنين وثلاثين حديثًا.

فضائلــه:

١ - قال عنه الإمـام على رضي الله عنه مرجعـه من صفـين عندما مر بقـبره: «رحِمَ الله خبَّابًا، أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدًا».

٢- كان خـباب مرجعًـا فى قراءة القرآن، وكـان يقوم بتحفـيظ إخوانه القرآن سرًا بادى الرأى، وممن تتلمذ له وعلى يديه عبدالله بن مسعود وفاطمة بنت الخطاب وبعلها سعيد بن يزيد.

وفاتــه:

توفى رضي الله عنه سنة سبع وثلاثيـن للهجرة بالكوفـة، وصلى عليه على بن أبى طالب -كرَّم الله وجهه-.

من مأثـوراته ومواقفــه:

١ - كان رضي الله عنه يُعذَّبُ بالنار ليصبأ، ويرجع عن دينه، فإذا به يزداد وثوقًا به وتمكينًا منه، ويبكى ويقول: إن إخواننا مضوا ولم يـأخذوا من أجرهم شيئًا، ولم تنقصهم الدنيا، وإنا بقينا بعدهم وأعطينا من المال مالم نجد له موضعًا إلا التراب، ولولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعُوَ بالموت لدعونا به.

٢ - قال عمر رضي الله عنه: ماذا قلت للمشركين؟ فقال: أوقدوا لى نارًا، فما أطفأها إلا ودك ظهرى.

٣ - من مأثـوراته: إن المسلم يؤجر فى كل شىء ينفـقه إلا ما ينفق فى التراب[1].

رحم الله خبابًا ورضى عنه.

---

(١) قوله: «يؤجر فى كل شىء ينـفقه إلا ما ينفق فى التراب» حـديث مرفوع إلى النبى ﷺ، أخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح برقم ٢٤٨٥ وهو حديث صحيح.

١٣- عبدالله بن مسعود (١)
(ت ٣١ هـ / ٦٥٣م)

اسمه وكنيته ولقبه:

هو عبدالله بن مسعود بن غافل (بمعجمة وفاء) بن حبيب الهذلى، أبو عبدالرحمن من أكابر الصحابة وأعيانهم، بل من أعلمهم وأحلمهم ﷺ، كان أبوه حالف عبدالحرث بن زهرة، أمه أم عبدالله بنت عبدود بن سواءة.

إسلامه:

أسلم عبدالله بن مسعود مبكرًا(٢)، فكان من السابقين الأولين، قيل أسلم قبل دخوله ﷺ دار الأرقم، وقيل: كان سادسًا فى الإسلام. ثم انفرد بالشرف الرفيع لكونه أول من جهر بالقرآن الكريم، ثم كان خادم رسول الله ﷺ، كما كان موضع سره عليه الصلاة والسلام، ولم يكن يبرح أو يزايل مكانًا فيه حبيبه ﷺ لشدة حبه إياه وتعلقه به(٣).

حضوره المشاهد:

كان حريصًا على حضور الغزوات والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يكن رجل بمثل صفات ومناقب ومنزلة عبدالله بن مسعود ليتخلف عن رسول الله ﷺ فى سائر غزواته ومشاهده.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٢٤، وصفة الصفوة ١/ ١٥٤، والإصابة ٤/ ١٢٩/ ٤٩٤٥، والبدء والتاريخ ٥/ ٩٧، والمنتظم ٣/ ٧٣، ٧٥، ٥/ ٢٩-٣٢.

(٢) وكان فى الجاهلية غلامًا أجيرًا عند عقبة بن أبى معيط.

(٣) كان صاحب سره ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر، وكان يشبه به ﷺ فى هديه ودله وسمته، صفة الصفوة لابن الجوزى، وأحاسن المحاسن ٨٤.

بعد وفاة النبى ﷺ:

ولى بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فضائله ومناقبه:

عندما أتى عبدالله بن مسعود رسول الله ﷺ ورغب إليه أن يعلمه القرآن، قال ﷺ له: **(أنت غلامٌ معلم)**.

كذا كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، لم يأبه بمحذور.

وحسبه من الفضل والكرامة قول النبى ﷺ فيه موصيًا به: **(تمسكوا بعهد ابن أم عبد)**.

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع القرآن منه وهو الذى قال له: **(اقرأ علىَّ القرآن)** فقال: اقرأ عليك، وعليك أنزل يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **(إنى أحب أن أسمعه من غيرى)**(١).

لطائف ومواقف:

١ - من أجل وأجمل وأروع ماحدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقى ركبًا فى سفر له فيهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فأمر عمر رجلاً يناديهم: من أين أقبل القوم؟ أجاب عبدالله: أقبلنا من الفج العميق. قال: أين تريدون؟ قال عبدالله: البيت العتيق. فقال عمر رضي الله عنه: إن فيهم عالمًا، فأمر رجلاً فناداهم: أى القرآن أعظم؟ أجابه عبدالله بن مسعود: **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**(٢). أى القرآن أحكم؟ **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾**(٣). أى

---

(١) المسند ١/ ٣٨٠.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) النحل: ٩٠.

القرآن أجمع؟ قال عبدالله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1]. أى القرآن أخوف؟ ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ﴾. أى القرآن أرجى؟ قال عبدالله: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾[2]. فقال عمر رضي الله عنه: نادهم أفيكم عبدالله بن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم.

٢ - لو أعلم أن أحدًا أعلم منى بكتاب الله تعالى تناله المطى لأتيته.

٣ - من جليل دعواته: «اللهم إنك دعوتنى فأجبتك، وأمرتنى فأطعتك، وهذا سحر، فاغفر لى، فإن يعقوب لما قال لبنيه: سوف استغفر لكم ربى أخَّرهم إلى السحر.

٤ - خرج عبدالله ذات يوم فتبعه الناس، فقال: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشى معك، قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع.

٥ - من روائع مواعظه وكلامه قوله: «إنكم فى ممر الليل والنهار، فى آجال منقوصة، وأعمال محفوظة والموت يأتى بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً أوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطىء بحظه، ولا يدرك حريص مالم يقدر له، من أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شرًا، فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة، إنما هما اثنتان: الهدى والكلام، فأفضل الكلام كلام الله عز وجل، وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها. . . .».

وفاتــه:

فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فاضت روحه الشريفة الزكية بالمدينة المنورة، وله ستون عامًا، فرضى الله عنه وأرضاه، وسلام عليه فى الخالدين.

---

(١) الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) الزمر: ٥٣.

١٤- المقداد بن الأسود [١]
(ت ٣٣ هـ / ٦٥٣م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن مطرود البهرانى[٢]، ثم الكندى ثم الزهرى، حالف أبوه كندة، وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهرى، فنسب إليه، أبو معبد (أو أبو عمرو) الحضرمى وكان المقداد يكنى أبا الأسود.

إسلامه:

أسلم المقداد مبكرًا، وهو أحد السبعة المهاجرين[٣]، وأظهروا إسلامهم وأعلنوا به جهارًا، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ابنة عم النبى ﷺ.

شجاعة وبطولة نادرة:

كان المقداد أول من أمتطى جوادًا يقاتل عليه فى الإسلام يحامى عن الدين، وقد كان متبنىً للأسود بن عبد يغوث كما أسلفنا آنفًا، لكن لما حرَّم الإسلام التبنى فى قصة زيد بن حارثة، لقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾[٤]. فعادوا يسمونه المقداد بن عمرو.

---

(١) صفة الصفوة ١/ ١٦٧، والإصابة ٦/ ١٣٣/ ٨١٨٩، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، والمنتظم ٣/ ٧٦، ١٣٣، ٣٥٦.

(٢) فى الإصابة: (النهرانى) بالمعجمة الموحدة الفوقية.

(٣) هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد بعدها، وكان فارسًا يوم بدر حتى إن إحدًا لم يثبت على متن فرس غيره.

(٤) الأحزاب: ٥.

روايتـه:

روى عن رسول الله ﷺ ثمانية وأربعين حديثًا.

وفاتـه:

كان المقداد قطن المدينة، ولما حانت ساعة الرحيل، توفى بالقرب منها، وحمل جثمانه إليها ثم دُفِنَ فيها.

فضائلـه ومناقبـه:

قال رسول الله ﷺ: **(إن الله عـز وجل أمرنى بحب أربعـة، وأخبـرنى بحبهم: على والمقداد، وأبو ذر، وسلمان)**(١).

وورد فى حلية الأولياء(٢) بإسناده عن عبدالله بن مسـعود أنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهدًا، لأن أكون أنا صاحبه أحب إلىّ مما فى الأرض من شىء، وكان رجلاً فارسًا، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرَّت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلـك الحال، فقال: أبشر يا رسـول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسـرائيل لموسى عليه السلام: **﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**(٣) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا مـعكما مقاتلون، والله الذى بعثك بالحق نبيًّا لوسرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له.

من روائع لطائفه ومأثوراته:

١ - العجب من قوم مـررت بهم آنفًا يتمنَّون الفتنة، يزعمون ليـبتليهم

---

(١) أخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح عن بريدة برقم ٣٧١٨.

(٢) الحلية ١/١٧٢، ١٧٣.

(٣) المائدة: ٢٤.

الله فيهـا بما ابتلى به رسول الله ﷺ وأصحابه، وأيم الله لقـد سمعت رسول الله ﷺ يقـول: (**إن السعـيـد لمـن جُنِّبَ الفتن**)[١] يرددها ثلاثًا (**وإن ابتلى فصبر**) وأيم الله لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حـتى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: (**تقلب ابن آدم أسرع انقلابًا من القدر إذا استجمعت غليًا**)[٢].

٢ - طوبى لهاتـين العينين اللتـين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهـدنا ما شهدت، فاسـتمعت فجعلت أعـجب ما قال إلا خيرًا، ثم أقبل عليه فقال: ما يحمل أحـدكم على أن يتمنى محضرًا غيبه الله عز وجل عنه، لا يدرى لو شهده كيف يكون فيه.

---

(١) لذلك كان التورط فى الفتن من أخطر أبواب الشقاء والهلاك على بنى آدم.

(٢) المسند ٦/ ٤.

١٥- صهيب بن سنان [١]
(ت ٣٨ هـ / ٦٥٩م)

اسمه وكنيته ونسبه ولقبه:

هو صهيب بن سنان بن مالك من بنى النمر بن قاسط، صحابى، كان أنفذ وأمضى العرب سهمًا، كما كان ذا بأس شديد، وهو رومى الأصل.

نشأته:

نشأ صهيب فى أرض البصرة (جهة الموصل) حيث وُجِدَت ديار قومه على وادى الفرات مما يلى الموصل والجزيرة.

وقد سباه الروم صبيًا، فكان ألكن؛ ثم اشتراه منهم أحد رجال بنى كلب، ثم ابتاعه عبدالله بن جدعان التيمى ثم أعتقه، وكان يتاجر فى مكة.

كسرى يوليه على الأبلة:

وقد ولاَّه كسرى على الأبلة (البصرة فيما بعد).

إسلامه:

كان صهيب أحد السابقين إلى الإسلام، لم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلاً، وقد ترك كل ثرواته وممتلكاته وهاجر مع النبى ﷺ، فلما نما ذلك إلى رسول الله ﷺ قال: (ربح صهيب، ربح صهيب)[٢].

شهوده الغزوات والمشاهد:

شهد صهيب الرومى بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها.

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ١٦١، وحلية الأولياء ١/ ١٥١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ٤٤٦، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢/ ١٨٥، وصحابة النبى ﷺ ص ٢٩٧، والمنتظم لابن الجوزى ٣/ ٧٤، ٤/ ١٣٥.

(٢) أى ربح صهيب، وهل هناك ربح أجل وأنفس من الجنة!

روايته:

روى صهيب عنه ﷺ عديدًا من الأحاديث، منها ثلاث مائة وسبعة أحاديث متفقًا عليها.

وفاته:

توفى رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمانية وثلاثين للهجرة، وهو ابن سبعين سنة.

فضائل صهيب ومناقبه:

١ - قال رسول الله ﷺ: **(أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة)**[١].

٢ - نزلت هذه الآية فى صهيب: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**[٢]، وكان رسول الله ﷺ قال له: **(ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى)**[٣].

لطائف ومواقف:

١- ذكر أبو نعيم فى الحلية[٤] بإسناده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لصهيب: يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب وأنت رجل من الروم؟

فقال صهيب: يا أمير المؤمنين، أما قولك «اكتنيت وليس لك ولد» فإن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى، وأما قولك: «انتميت إلى العرب وأنت

---

(١) من صحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى.
(٢) البقرة: ٢٠٦.
(٣) تقدم بنحوه.
(٤) حلية الأولياء ١/١٥٣.

رجل من الروم» فإنى رجل من النمر بن قاسط، سُبيت من الموصل منذ أن كنت غلامًا، قد عرفت أهلى ونسبى[1].

٢ - كان صهيب يطعم الطعام الكثير، فقال له عمر: يا صهيب إنك تطعم الطعام الكثير، وذلك سرف فى المال، فقال صهيب: إن رسول الله ﷺ كان يقول: (**خيـاركم من أطعم الطعام، وردَّ السلام**)[2]. رضى الله عن صهيب، وأرضاه، وسلام عليه فى الخالدين.

---

(١) السابق ١/ ١٥٤.
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية.

١٦- بلال بن رباح [١]
(ت ٢٠ هـ / ٦٤١م)

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو بلال بن رباح المؤذن، وهو ابن حمامة، وهى أمه، أبو عبدالله مولى أبى بكر، من السابقين الأولين، أصله من الحبشة[٢].

صفاته البدنية والجسمية:

كان بلال حبشيًا أسحم اللون فاحمًا، عجيفًا نضوًا مهزولاً، ذو شعر كثيف، خفيف العارضين.

صاحب الصوت الشجى:

وهب الله بلالاً صوتًا شجيًا وترنيمًا رقيقًا، ونداء جميلاً، يشرح الصدر ويريح الفؤاد، وتتماثل به الأعضاء المكدودة، يشنف الآذان[٣].

كان بلال مؤذنًا لرسول الله ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٦٩، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ١٤٧، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٧١، وتاريخ الخميس ٢/ ٢٤٥، والإصابة لابن حجر ١/ ١٧٠ رقم ٧٣٢، وتاريخ الطبرى ٢/ ٢٧٩، ٣/ ١٤، وفى تقريب التهذيب ص ١٢٩ ترجمة رقم ٧٧٩: مات بالشام سنة سبعة عشر، أو ثمانية عشر، وقيل سنة عشرين وله بضعٌ وستون سنة.

(٢) كان بلال فى الجاهلية عبدًا مملوكًا لأمية بن خلف المشرك الذى كان يسومه سوء العذاب، فكان يقول: أحد أحد.. وقد ابتاعه منه أبو بكر الصديق الذى أطلقه حرًا طليقًا، وقد شفى الله صدر بلال بقتل أمية عدو الله فى غزوة بدر.

(٣) راجع أيضًا أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ١٨٤-١٩٣، والعقد الفريد ٣/ ٤٠٧، ٤/ ٢٥٦، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١٤١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ٣٥٣، وتهذيبه ٣/ ٣٠٤، وأسد الغابة ١/ ٢٠٦.

حضور بلال المشاهد:

شهد بلال المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

بعد رسول الله ﷺ:

بعد أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى رفض بلالٌ أن يؤذن بعده، وقد حاول أبو بكر معه فلم يرض(١)، وإنما رغب إلى أن يرابط فى سبيل الله حتى يموت.

وفاته:

فى ثرى بلاد الشام سنة عشرين (على الراجح) ثوى بلال بن رباح هادئًا مطمئنًا بعد أن جاهد فى الله حق جهاده، فسلام عليه فى الخالدين.

من مأثوراته الجليلة:

١ - لما ألحَّ عليه أبو بكر فى الاستبقاء معه مُؤَذِّنًا بعد رسول الله ﷺ، قال له قولته البليغة المثيرة المؤثرة: إن كنت أعتقتنى لأكون لك، فليكن ما تريد، وإن كنت أعتقتنى لله، فدعنى وما أعتقتنى له. قال أبو بكر: بل أعتقتك لله يا بلال.

---

(١) اختلف المؤرخون والرواة فى هذه الجزئية إذ قال بعضهم: إنه استماح أبا بكر عذرًا ثم أشخص إلى الشام حيث بقى ثمَّ مرابطًا فى سبيل الله تعالى مجاهدًا حتى مات، ومن قائل: إنه استجاب لتوسل أبى بكر ورجائه فعاش فى كنفه حتى آخر عمره.

١٧- عمار بن ياسر [١]
(ت ٣٧ هـ / ٦٥٧م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني أبو اليقظان، من صحابة النبي ﷺ الشجعان.

نشأته قبل الإسلام:

كان عمار ولد سنة سبع وخمسين قبل الهجرة، وكان أبوه ياسر بن عامر يمنيًا من أهل اليمن، وقد استقر في مكة وطاب له المقام بها وتزوج من (سمية بنت خياط) فرزقه الله منها عمارًا.

إسلام عمار:

أسلم عمار وأبوه وأمه، وسارعوا بتصديق رسول الله ﷺ، وآمنوا به وبما جاء به، وكان نصيبهم وجزاؤهم لذلك تجرع صنوف الهوان، وألوان العذاب والتنكيل من المشركين أعداء الله وأعداء رسول الله ﷺ، ولكن ذلك لم يفت في ساعد عمار وأباه وأمه سمية، إذ كلما زاد الإيذاء لهم كلما ازدادوا صلابةً وقوة واستمساكًا بالحق.

كان صمود هذه الأسرة المؤمنة مضربًا للأمثال، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢١، وصفة الصفوة ١/ ١٧٥، والإصابة لابن حجر ٤/ ٢٧٣/ ٥٦٩٩، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٦٢، وحلية الأولياء ١/ ١٣٩، وما بعدها - رقم ٢٢ وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٤٣، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ١٨٨، وتاريخ بغداد ١/ ١٥٠/ ٦٦، والاستيعاب لابن عبدالبر ٢/ ٤٧٦، والمنتظم ٢/ ٣٧٦، ٤/ ٣٠٨، ٥/ ١٤٦-١٤٨.

يهون عليهم الأمر، ويمسح عن جبينهم هذا العنت والعذاب بقوله ﷺ: (**صبراً أبا اليقظان، صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**)[١].

وتحت وطأة التعذيب المبرح، باح ياسر بكلمات ترضى الكفار المرجفين والمشركين المجرمين حتى يرفعوا عنه العذاب والتنكيل، لكنه مطمئن بالإيمان ثابت عليه كالجبال الرواسى.

فلما أن حكم عليه بعض الناس بالظاهر غلواً واعتسافًا صحح لهم ظنهم رسول الله ﷺ ذلك الاعتقاد الخاطئ وقال: (**إن عماراً ملئ إيمانًا من مفرقه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه**)[٢].

فضائله ومناقبه وشهادة النبى ﷺ له:

لما أن جاء عمار إلى رسول الله ﷺ وحكى له عن حقيقة ماحدث منه، قال له رسول الله ﷺ: (**كيف تجد قلبك؟**) قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: (**إن عادوا فعد**)[٣].

ثم يقول المعصوم ﷺ: (**من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله**)[٤].

وحسبه أن نزل فيه قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[٥].

وقد قال العلماء: نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر.

كذا ذكر العلماء أن عماراً أول من بنى لله مسجداً فى الإسلام وهو مسجد قباء[٦].

---

(١) راجع صحابة النبى للسيد الجميلى.

(٢) إن قوله ﷺ حقيقة ثابتة لأنه لا ينطق عن الهوى.

(٣) من التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٠/١٢١ بتصرف.

(٤) المسند ٤/٨٩.

(٥) سورة النحل: ١٠٦، راجع أسباب النزول للسيوطى ص ١٦٣.

(٦) وقد قال ﷺ: (من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا فى الجنة) المسند ١/٢٤١.

ومن أجل ماورد فى فضائل عمار قوله ﷺ فيما رواه عنه على بن أبى طالب عندما استأذن عمار عليه ﷺ فقال: (ائذنوا له مرحبًا بالطيب المطيب)(١)، وقال: (عمار ملئ إيمانًا إلى شاشه)(٢).

من لطائفه ومواقفه ومأثوراته:

١ - قال أبو سنان الدؤلى صاحب رسول الله ﷺ: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب، فأتى بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله، واليوم ألقى الأحبة محمدًا وصحبه، إن رسول الله ﷺ قال: (إن آخر شيء تزوده من الدنيا صيحة لبن)(٣).

٢ - من أجل ماورد عن عمار قوله ﷺ فيه: (إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: «على وعثمان وعمار»)(٤).

٣ - لما بنى عبدالله بن مسعود دارًا قال لعمار: هلم، انظر إلى ما بنيت، فانطلق عمار ونظر إليه، فقال: بنيت شديدًا وأملت بعيدًا، وتموت قريبًا.

وفاته:

قتل عمار بن ياسر سنة سبعة وثلاثين وعمره ثلاثة وتسعون سنة.

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية بإسناده عن على ﷺ، ورواه زهير وشريك وغيرهما عن أبى إسحاق. الحلية ١/ ١٤٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم بإسناده عن هانئ بن هانئ ١/ ١٣٩.

(٣) ذكره صاحب الحلية بإسناده عن أبى سنان الدؤلى ١/ ١٤٢.

(٤) كذا فى صفة الصفوة لابن الجوزى وانظر أحاسن المحاسن مختصره ص ٩٥، وورد فى الحلية بلفظ: «إن الجنة تشتاق إلى أربعة: عمار، وعلى، وسلمان والمقداد» وكلا الحديثين بإسنادهما عن أنس. انظر الحلية ١/ ١٤٢.

١٨- عثمان بن مظعون [١]
(ت ٢ هـ / ٦٢٤م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن هب الجمحى، أبو السائب، من الصحابة الأجلاء.

منزلته فى الجاهلية:

كان حصيفًا حكيمًا ذا حلم وفهم وأناة حتى رأى كثير من المؤرخين بأنه حكيم العرب فى الجاهلية واشتهر بالزهد والورع.

سبقه إلى الإسلام وهجرته:

كان عثمان بن مظعون من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً.

وهاجر إلى الحبشة مرتين، وقد كان محبًا للضرب فى الأرض لولا أن منعه رسول الله ﷺ من ذلك.

كان عثمان أميرًا على الفوج الأول من المهاجرين برفقة ابنه السائب مبتعدين عن أذى أبى جهل، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة مع الصفوة المختارة.

فضائله ومناقبه:

كان عثمان أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دُفِنَ بالبقيع من الصحابة.

كما كان من رهبان الحياة الذى انخرط فى شارع عصره ولم يكن منعزلاً عن الحياة ولا عن الأحياء ليقينه بأنه «لا رهبانية فى الإسلام»[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٣٨٦، وصفة الصفوة ١/١٧٨، وحلية الأولياء ١/١٠٢، والإصابة ٤/٢٢٥/٥٤٤٥، وتاريخ الخميس ١/٤١١، وصحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ٢٠١ ومابعدها والمنتظم لابن الجوزى ٢/٣٧٥، ٣٧٦.

(٢) وورد أيضًا بلفظ: «إن الرهبانية لم تكتب علينا» المسند ٦/٢٢٦.

من مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١ - كان عثمان بن مظعون فى أمان الوليد بن المغيرة يروح ويغدو لا يقربه أحد، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، فمشى إلى الوليد، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك، قال: لم يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى؟ قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال الوليد: فانطلق إلى المسجد، فاردد علىَّ جوارى علانية، كما أجرتك علانية.

قال: فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد، فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علىَّ جوارى، قال لهم: قد صدق، قد وجدته وفيًا كريم الجوار ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك[1] بن كلاب القيسى فى المسجد من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم: «ألا كل شىء ما خلا الله باطل». فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد: «وكل نعيم لا محالة ذائل»، فقال عثمان: كذبت، نعيم أهل الجنة لا يزول[2].

٢ - لما مات عثمان بن مظعون، دخل عليه النبى ﷺ فانكب عليه، فرفع رأسه، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق، فعرفوا أنه يبكى فبكى القوم، فقال: «أستغفر الله، أستغفر الله، اذهب عنها أبا السائب، فقد خرجت منها، ولم تلبس منها بشىء»[3].

وورد عن عبدربه بن سعيد المدنى أن رسول الله ﷺ دخل على عثمان ابن مظعون وهو فى الموت، فأكب عليه يقبله فقال: «رحمك الله ياعثمان، ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك»[4].

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك (ت نحو ٥٦٠م) من بنى مالك، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام من أصحاب المعلقات، بعد إسلامه انتقل إلى الكوفة، له ديوان مطبوع، واشتهرت معلقته التى أولها:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

(٢) أخرجه أبو نعيم بإسناده عن عثمان فى الحلية ١٠٣/١ بتصرف.

(٣) كذا ورد فى الحلية ١٠٥/١ بإسناده عن ابن عباس.

(٤) الحلية ١٠٥/١، وقد ورد فى صفة الصفوة لابن الجوزى عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، قالت: فرأيت دموع النبى ﷺ تسيل على خد عثمان.

١٩- سلمة بن الأكوع (١)
(ت ٤٧ هـ / ٦٩٣م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع، الأسلمى، من أجلاء الصحابة وأكابرهم.

صفاته وخصاله:

كان سلمة شجاعًا من الأبطال الكماة المغاوير، وكان راميًا من أدق وأصوب الرماة القناصة، كان ذا رصيد وفير من الفروسية والشجاعة والإقدام، وكم حصد العدد الكثير من أرواح الكفار.

حضوره الغزوات السبع مع رسول الله ﷺ:

انشرح صدر سلمة إلى الإسلام، وقد بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، فنزل فيه وفى صحبه المبايعين قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

وغزا سلمة مع رسول الله ﷺ سبع غزوات منها الحديبية وخيبر وحنين.

---

(١) تهذيب ابن عساكر وتاريخ دمشق له ٦/ ٢٣٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٣٨، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ٦٢، ٨/ ٣٨٨، ٣٩٠، المنتظم ٣/ ٢٥٢، ٦/ ١٤٥، ١٤٦.

(٢) سورة الفتح: ١٨. راجع تفاصيل هذه البيعة فى تفسير القرطبى ١٦/ ٢٧٤.

غزو إفريقيا:

كان سلمة بن الأكوع ممن غزوا إفريقيا فى عهد عثمان بن عفان.

روايتــه:

روى له سبعة وسبعون حديثًا متفـقًا عليها فى الصحيحين عن البخارى ومسلم.

يقول سلمــة: بايعت رسول الله ﷺ على الموت تحت الشجـرة، فلما خف الناس، قال: (**يا سلمــة، مالك لا تبـايع؟**) قلت: قد بايـعت يا رسول الله.

جهــاده:

ثم يقول سلمة بن الأكــوع: «عزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات».

وفاتــه:

ولقى ربه فى المدينـة سنة سـبع وأربعـين للهــجـرة، فـرضى الله عنه وأرضاه.

من مأثــوراتــه:

كان سلمــة لا يسأل أحدًا بوجــه الله تعالى إلا أعطاه، وكـان يكرهها، ويقول هى الإلحاف.

٢٠- أبـو هـريـرة
عبدالرحمن بن صخر [١]
(ت ٥٩ هـ / ٦٧٩م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو عبدالرحمن بن صخر الدوسى، أبو هريرة.

نشأته:

نشأ أبو هريرة يتيمًا مستضعفًا فى الجاهلية، وعاش حياته الأولى طفلاً صغيرًا وصبيًا دارجًا وفتى يافعًا فى قبيلة دوس، وكان أجيرًا لبسرة بنت غزوان بطعام بطنه، ثم تزوجها.

إسلامه:

قدم أبو هريرة، عبدالرحمن بن صخر المدينة، ورسول الله ﷺ فى خيبر فأسلم، وظل بعد إسلامه مجالسًا له ﷺ حريصًا على السماع منه.

صفاته ﷺ ومزيته:

كان أبو هريرة ﷺ، هينًا لينًا سمح المقادة طيب النفس مقبلاً على

(١) الإصابة ٧/١٩٩/١١٧٩، وتقريب التهذيب لابن حجر ٦٨٠/٨٤٢٦، وحلية الأولياء ١/٣٧٦، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٢٨٥ وفيه: «اختُلفَ فى اسمه واسم أبيه فى ثمانية عشر قولاً». اهـ وعند ابن حجر فى التقريب ٦٨٠/٨٤٢٦: «اختُلفَ فى اسمه واسم أبيه، قيل: عبدالرحمن بن صخر، وقيل: ابن غَنْم، وقيل: عبدالله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين بن ودمة بن هانئ، وقيل: ابن مل، وقيل: ابن صخر، .... إلخ» اهـ بتصرف. وانظر تاريخ اليعقوبى ٢/١٥٣، ١٥٧، وتاريخ الطبرى ١٠/ ٤٤٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ٣/ ٤، ٣٠١، وأسد الغابة ٥/ ٣١٥، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٦١، والاستيعاب لابن عبدالبر ٤/ ٢٠٢.

الدين بكل حبات كيانه، وكان يستمتع بذاكرة قوية وحافظة حديدية، واستدعاء رهيب للمحفوظ، فلم يكن يسمع شيئًا إلا حفظه، وما حفظ شيئًا ونسيه، وما عمد إلى استدعاء محفوظ إلا وكان ماثلاً حاضراً بين يديه.

كان الإسلام مرزوقًا بمثل أبى هريرة ﷺ إذ دوّن لنا من أحاديث رسول الله ﷺ مايعيا به جمعٌ غفير من الحفظة والكتاب.

ثبت أن مجموع مسموعاته عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا. وقد نقلها عنه جمع غفير، وجمهرة كبيرة من الصحابة والتابعين.

لولا آية فى كتاب الله:

نعى بعض الناس على أبى هريرة إكثاره الرواية والحديث عن رسول الله ﷺ، وكان هذا مطويًا على شبه اتهام له بما يقدر من أين أتى بتلك الروايات المنفردة التى كان وحده منفرداً بها دون غيره؟ وشعر أبو هريرة بالضيق لسوء الظن به أو لتسرب الشك وعدم الوثوق بمروياته، فأراد أن يدافع عن نفسه بحجة قوية وبرهان سديد، فقال: «وايم الله، لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكم بشىء أبدًا»، وهى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾(١).

ثم إنه كان من أهل الصفة، مرابطًا فى المسجد، منقطعًا لمجالس رسول الله ﷺ، فى حين كان بقية الصحابة أصحاب حرف وأعمال ينفقون كثيراً من الوقت والجهد فى أدائها ومباشرتها لكنه -أى أبا هريرة- لم يكن يشغله

---

(١) البقرة: ١٥٩. انظر تفسير القرطبى ٢/ ١٨٧، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ١/ ١٦٢، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٩٥، ٩٦.

شاغل أو يصرفه صارف عن التفرغ التام لمصاحبة رسول الله ﷺ طول وقته[١].

ولاية أبى هريرة المدينة ثم البحرين:

ولى أبو هريرة المدينة طرفًا من الزمان، ثم استعمله عمر ﷺ فى خلافته على البحرين، لكن لما لوحظ عليه انشغاله بالعبادة منصرفًا عن السلطان، عزله عمر بن الخطاب لكن سرعان ما عاود انتدابه مرة أخرى، فأبى.

مأثوراته وبعض لطائفه ومواقفه:

ذكر طرفًا من هذه المأثورات واللطائف والمواقف لأبى هريرة أبو نعيم فى حلية الأولياء، وابن الجوزى فى صفة الصفوة، وغيرهما.

١ - كان يسبح فى اليوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة، ويقول: أُسَبِّحُ بقدر ذنبى . . .

٢- أحب شىء إلىَّ الحمى، لأنها تعطى كل عضو قسطه من الوجع وأن الله عز وجل يعطى كل مفصل قسطًا من الأجر.

٣ - رفع أبو هريرة يومًا سوطه على جاريته، ثم قال: لولا خوف القصاص لأوسعتك (لأوجعتك) ضربًا، ولكن سأبيعك على من يوفينى حقك (أو ثمنك) اذهبى، فأنت حرة لوجه الله تعالى.

٤- المرض لا يدخله رياء أو سمعة، بل هو أجر محصن.

---

(١) تأمل قوله ﷺ: إنى كنت امرأ مسكينًا، أكثر مجالسة رسول الله ﷺ، فأحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا. اهـ. من صحابة النبى للسيد الجميلى.

٥ - وفى مرض موته عندما شعـر أبو هريرة أن لقاء ربه صار وشيكًا، وأن ساعة الرحيل أصبحت جد قريبة، قال مُوصِيًا أهله:

لا تضربوا علىَّ فسطاطًا، ولا تتبعونى بمجمر، وأسرعوا بى، وأسرعوا بى، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إذا وُضِعَ المؤمن على سريره يقول: «قـدِّمـونى» وإذا وُضِعَ الكـافـر على سـريره يقـول: «يا ويلـتـا، أين تذهبـون بى؟؟»)**.

وورد أنه لما اشتـد عليه المرض، وحـضرته الوفـاة بكى، فقـيل له: ما يُبْكيك يا أبا هريرة؟ قال: قلة الزاد، وبُعْـد المفازة، وعقبـة هبوطها: الجنة أو النار.

ولقى ربه رضي الله عنه سنة تسع وخمسين للهجرة.

٢١- عمرو بن العاص [(١)]
(ت ٤٣ هـ / ٦٦٤م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى، القرشى، أبو عبدالله وكان يكنى أيضًا أبا محمد، أمه النابغة من بنى عنزة (بفتح المهملة والنون).

صفاته وشخصيته:

كان فى الجاهلية صارمًا عنيفًا، اشتُهِرَ بالدهاء، وحصافة الرأى والحزم، ولا خلاف على أنه أحد عظماء العرب، وكان فصيحًا حصيفًا متكلمًا، ذا رأى جزل وفهم خصيب، وحجة دامغة.

إسلامه ومبايعته:

كان دائم الأسفار للحبشة، وكان النجاشى يسأله دائمًا: لماذا لا يدين بدين الإسلام، إلى أن نزل به الرضوان فى لحظة التجلى فانشرح صدره للإسلام وهدايته، فأسلم فى غزوة الحديبية[(٢)].

ولاياته:

وقد ولاَّه رسول الله ﷺ قيادة الجيش فى (ذات السلاسل) ثم استعمله على عُمان، وجعله عمر بن الخطاب ﷺ من أمراء الجيوش فى الشام[(٣)]، وهو فاتح مصر العظيم، وقد عزله عثمان بن عفان أمير المؤمنين.

---

(١) الإصابة ٥/٢/٥٨٧٧، وجمهرة أنساب العرب ١٥٤، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/٣١٢، ٣١٣، والمنتظم ٥/١٩٦-٢٠٠.

(٢) كانت غزوة الحديبية أواخر سنة ست للهجرة، وقيل أسلم متأخرًا مع خالد بن الوليد قبل فتح مكة بقليل، وعندما تقدم عمرو بن العاص ليبايع رسول الله ﷺ قال له: يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يغفر الله لى ما تقدم من ذنبى» فأجابه رسول الله ﷺ: (يا عمرو... بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله).

(٣) عمرو بن العاص فتح قنسرين، وصالح أهل حلب، ومنبج، وأنطاكية. وورد أن عمر ﷺ قال: «ما ينبغى لأبى عبدالله أن يمشى على الأرض إلا أميرًا».

مندوب معاوية فى التحكيم:

كان عمرو مندوب معاويـة وممثله فى التحكيم مع أبى موسى الأشعرى الذى كان ممثلاً لعلى بن أبى طالب فى قضية التـحكيم المعروفة المشتهرة والتى تجلى فيها دهاء وذكاء عمرو بن العاص.

وقد ولاَّه معاوية مصر سنة ثمان وثلاثين للهجرة.

روايته عن النبى ﷺ:

روى عمرو بن العاص عن النبى ﷺ تسعة وثلاثين حديثًا(١).

بينه وبين معاوية بن أبى سفيان:

ورد أن معـاوية بن أبى سـفيان سـأل عمـرو بن العاص: مـا بلغ من عقلك؟ قال: ما دخلت فى شىء قط إلا خرجت منه. قال معاوية: لكننى ما دخلت فى شىء قط وأردت الخروج منه.

وفاتـــه:

توفى عـمر بن العاص سـنة ثلاث وأربعين للهـجرة، وقـد عاش زهاء تسعين عامًـا، وقال العجلى: عاش تسعًا وتسعين سنة، لأنه عـاش بعد عمر ابن الخطاب عشرين عامًا(٢).

وصيتـة عند الموت:

١ - ورد عن يعقوب بن عبدالرحمن عن أبيه أن عمرو بن العاص حين حضـرته الوفاة ذرفت عـيناه فبكى، فـقال له ابنـه عبدالله: يا أبت، مـاكنت أخشى أن ينـزل بك أمر من أمر الله عـز وجل إلا صبـرت عليه، فـقال: يا بُنَىَّ، إنه نزل بأبيك خصـال ثلاثٌ: أما أولهن: فانقطاع عمله، وأمـا الثانية:

---

(١) وكانوا يقـولون: إن عمرو بن العاص للبـديهة، والمغيرة للمـعضلات، وزياد لكل كـبيرة وصغيرة، ومعاوية للرواية.

(٢) وكان عـمر عمـر بن الخطاب عند وفاته ثلاثًا وستـين سنةً. شذرات الذهـب لابن العـماد ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

فهول المَطْلع، وأما الثالثة: ففراق الأحبة، وهى أيسرهن، ثم قال: اللهم إنك أمرت فتوانيت، ونهيت فعصيت، اللهم ومن شيمتك العفو والتجاوز.

٢ - ويقول عمرو بن العاص لحظة احتضاره[١]، وهو فى سياقة الموت وقد حَوَّل وجهه إلى الحائط، وجعل يبكى طويلاً، فقال له ابنه: يا أَبَهْ[٢]، {أما بشَّرَك رسول الله ﷺ بكذا؟!}[٣].

فأقبل بوجهه علينا، فقال: «إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقد كنت على أطباق ثلاث، قد كنت وما أحدٌ أبغضَ إلىَّ من رسول الله ﷺ، ولا أحبَّ إلىَّ منْ أن أستمكن منه فأقتله، فلو مِتُّ على تلك الحال كنت من أهل النار.

فلما جعل الله عز وجل الإسلام فى قلبى، أتيت النبى ﷺ، فقلت: يا محمد، ابسط يمينك أبايعك، فبسط يده، فقبضت يدى، قال: مالك ياعمرو؟ فقلت: أريد أن أشترط، فقال: «اشترط، ماذا؟» قلت: يُغْفَرُ لى ما كان، قال: أما علمت أن الإسلام يمحو (فى صحيح مسلم: يَهْدِم) ما كان قبله، وأن الهجرة تمحو (فى الصحيح: تهدم) ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، قال: فباعيت رسول الله ﷺ، فما كان أحدٌ أحبَّ إلى من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ فى عينى منه {وما كنت أطيق أن أملأ عَيْنَىَّ إجلالاً له}، فلو متُّ على ذلك، لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا بعدُ أشياء لا أدرى ما حالى فيها، فإذا أنا متُّ فلا تُتْبعونى نائحة، ولا نارًا، فإذا دفنتمونى، فشُنُّوا علىَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا عند قبرى قدر ما تنحر جَزُور، ويقسم لحمها، كى أستأنس بكم، حتى أنظر ما أراجع به رسل ربى.

---

(١) بتصرف من كتاب «وصايا العلماء عند حضور الموت» للإمام الحافظ أبى سليمان محمد ابن عبدالله الربَّعى. ص ٦٩.

(٢) فى صحيح مسلم: «يا أبتاه» (الصحيح حديث رقم ١٢١-١٢٢، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج).

(٣) ما بين المعقوفين مكرر فى الصحيح.

٢٢- زيد بن ثابت (١)
(ت ٤٥ هـ / ٦٦٥م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى، الخزرجى أبو خارجة، النجارى المقرى، الفَرَضى(٢)، كاتب الوحى.

أسلم صبيا:

قدم رسول الله ﷺ المدينة، وزيد بن ثابت صبى ابن إحدى عشرة سنة، فأسلم، وتعلم الخط العربى والخط العبرانى.

ذكاؤه وفطنته:

كان ؓ ذكيًا فطنًا أحوذيًا، كان إمامًا فى القرآن، كما كان إمامًا فى الفرائض أيضًا.

روايته وعلمه:

روى زيد عن النبى ﷺ، وعرض عليه القرآن، كذا روى عن أبى بكر وعمر بن الخطاب، ؓما.

عن خارجة بن زيد، عن أبيه قال: قدم النبى ﷺ وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأمرنى أن أتعلم كتاب يهود، فكنت أقرأ إذا كتبوا إليه، ولما قدم إليه

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٢٩٤، والإصابة ١/ ٢٨٨، تاريخ اليعقوبى ٢/ ١٥٤، ١٦١، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٦٧، وجمهرة أنساب العرب ٣٤٨، ٣٤٩، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٧١، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٣٩٩/ ٧٣١، والاستيعاب لابن عبدالبر ٢/ ٥٥١-٥٥٤، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٥٤، ٦٢.

(٢) الفرضى: العالم بالفرائض.

فقالوا: هذا غلام من بنى النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك بضع عشرة سورة، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، وقال: «يازيد، تعلم لى كتاب يهود، فإنى والله ما آمنهم على كتابى»(١). قال: فتعلمته فحذقته فى نصف شهر.

كان زيد أحد أربعة جمعوا القرآن:

جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم كانوا من الأنصار: أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد الأنصارى(٢).

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **(أفرض أمتى زيد بن ثابت)**(٣).

أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى(٤) بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **(أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين (أمر) الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد، وأفتاهم أبى، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح)**(٥).

قال الشعبى: غلب زيد الناس على اثنتين: على الفرائض والقرآن(٦)،

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٦٠/ ٣٦٤٥، والترمذى فى جامعه الصحيح رقم ٢٧١٥، وقال زيد ابن ثابت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى بعث إلىَّ فكتبته. انظر مسند الإمام أحمد ٥/ ١٨٢، والطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) أخرجه البخارى فى فضائل القرآن ٩/ ٤٦.

(٣) أخرجه الحاكم عن أنس ٤/ ٣٣٥، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٧٨/ ١٢٢٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٥٩، والحاكم ٣/ ٤٢٢.

(٥) وفى إحدى الروايت: وأقضاهم على، والحديث أخرجه الترمذى أيضًا ٣٧٩٠، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وفيه (أى الترمذى ٣٧٩١) عن أنس، من طريق خالد الحذاء عن أبى قلابة، وقال أبو عيسى عن هذا الطريق: هذا حسن صحيح، كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٢٢ ووافقه الذهبى.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ٤٤٩.

وفى تهذيب تاريخ دمشق[١] وتاريخ ابن سعد[٢] بإسناده عن سليمان بن يسار قال: ما كان عمر وعثمان يقدمان أحدًا على زيد بن ثابت فى القضاء والفتوى والفرائض والقراءة.

وفاته:

توفى زيد بن ثابت رضي الله عنه سنة خمس وأربعين (وهو الأصح) وقيل: سنة أربع وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.

من لطائفه ومأثوراته:

١ - ذكر الذهبى فى تاريخ الإسلام بإسناده عن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا، فقيل له: فقال: إنه من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله.

٢ - قال يحيى بن سعيد: لما مات زيد بن ثابت، قال أبو هريرة: مات حبر الأمة، ولعل الله أن يجعل فى ابن عباس منه خلفًا.

---

(١) ابن عساكر ٥/ ٤٥٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٥.

٢٣- أنس بن مالك (١)
(ت ٩٣ هـ / ٧١٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار، أبو حمزة، الأنصارى النجارى الخزرجى.

أنس خادم النبى ﷺ:

كان أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله، وآخر الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا موتًا.

قال أنس: قدم النبى ﷺ، وأنا ابن عشر سنين، وكان أمهاتى يحثثنى على خدمته(٢)، وقد خدم أنس رسول الله ﷺ عشر سنين، وغزا معه ثمانى غزوات.

دعاء النبى ﷺ له:

أخرج الشيخان فى الصحيحين أن أم سُلَيْم قالت: يا رسول الله، أنس خادمك، ادعُ الله له، فقال: (**اللهم أكثر ماله وولده**)(٣)، فدفن من ولده وولد ولده أكثر من مائة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٠، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٢٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٣٩، والأنساب للبلاذرى ١/ ٦١٩، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٧٢، والاستيعاب لابن عبدالبر ١/ ١٠٨، ونهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٢١/ ٣١٩، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ١٠٠، وطبقات الفقهاء للشيرازى ٤٤، ٤٦، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٨٤/ ٦٤٤، وتهذيب التهذيب له ١/ ٣٧٦/ ٦٩٠.

(٢) أخرجه مسلم فى الصحيح ٢٠٢٩، وأحمد فى المسند ٣/ ١١٠، وابن سعد فى الطبقات الكبرى.

(٣) البخارى ١١/ ١٢٢ ومسلم ٢٤٨٠، كما ورد عن أنس من طريق الحسين بن واقد عن ثابت بإسناده أنه قال: دعا لى رسول الله ﷺ: (اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته) ابن عساكر ٣/ ٨٠.

صفاته وشمائله ومناقبه:

ما بالنا برجل خدم رسول الله ﷺ زهاء عشر سنين، منذ أن كان صبيًا صغيرًا، ودعا له رسول ﷺ بكثرة المال والولد . . وإطالة العمر.

وذكر أبو عيسى الترمذى فى كتابه[١] عن أبى خالدة قال: قلت لأبى العالية: سمع أنس من النبى ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجىء منه ريح المسك.

شهد أنس بدرًا مع رسول الله ﷺ يخدمه وهو آنئذ غلام.

وقال ابن سعد: بإسناده عن أبى هريرة ﷺ: ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُلَيْم، يعنى أنسًا[٢].

وذكر أنس بن سيرين: كان أنس أحسن الناس صلاة فى الحضر والسفر[٣].

وكتب أنس بن مالك إلى عبدالملك بن مروان: أنى خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين، والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه[٤].

---

(١) الجامع الصحيح ٣٨٣٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٣/ ٨٤، وتاريخ الإسلام للذهبى ٦/ ٢٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢١، وكان أنس يصلى بالناس حتى تقطر قدماه دمًا مما يُطيل القيام، وكان أنس أيضًا مستجاب الدعوة، فقد عطشت أرضه، فخرج إلى البرية، ثم صلى ودعا، فثارت سحابة وغشت أرضه ومطرت حتى ملأت صهريه (بمعنى الصهريج) وفى سير أعلام النبلاء للذهبى ٣/ ٤٠٠ (صهريجه). بتصرف من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٨٥.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٨٧ وتهذيبه ٣/ ١٥١، وقال ذلك عندما آذاه الحجاج.

أولاده وأحفاده:

استجاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ لأنس بأن أكثر ماله وولده وأطال عمره.

قال أبو اليقظان: مات لأنس فى طاعون الجارف ثمانون ابنًا ويقال: سبعون فى سنة تسع وستين(١).

من لطائفه ومواقفه الجليلة المشهودة:

١ - ذكر الذهبى فى كتابه (تاريخ الإسلام)(٢) بإسناده عن أيوب قال: ضَعُفَ أنسٌ عن الصوم، فصنع جفنة من ثريد، ودعا ثلاثين مسكينًا فأطعمهم.

٢ - قال أنس: يقولون لا يجتمع حب على وعثمان فى قلب مؤمن، وقد جمع الله حبهما فى قلوبنا.

وفاته:

توفى أنس سنة ثلاث وتسعين عن مائة وثلاث سنين(٣). فرضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى ٢/ ٢٩٥، وابن تغرى بردى ١/ ١٨٢.

(٢) راجعه ٦/ ٢٩٦، والمعجم الكبير للطبرانى ١/ ٢٤٤/ ٦٧٥.

(٣) اختُلِفَ فى تاريخ وفاة أنس، فذكر أحمد بن حنبل بإسناده أن أنسًا مات سنة إحدى وتسعين، وقال الواقدى: سنة اثنتين وتسعين، وقال غيرهم: ثلاث وتسعين وقال غيرهم غير ذلك، وذكر ابن بُكَيْر أن أنسًا توفى وهو ابن مائة وَسَنَة، ولعل الصحيح أنه مات عن مائة وثلاث سنين، فهو مولود قبل الهجرة بعشر سنين ثم توفى سنة ثلاث وتسعين، والله أعلم.

٢٤- عبدالله بن سلام [١]
(ت ٤٣ هـ / ٦٦٣م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو عبدالله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلى نسبًا حليف الأنصار، كان اسمه الحصين، فسمَّاه عبدالله وشهد له بالجنة[٢].

وقيل: إنه من ذرية يوسف بن يعقوب عليه السلام وكان من الأحبار[٣].

إسلامه:

أسلم عبدالله بن سلام عند قدوم النبى ﷺ المدينة وقصة إسلامه مبسوطة فى كتب التراجم والسيرة.

روايته:

روى عنه أنس بن مالك، وقاضى البصرة، وزرارة بن أوفى، وأبو سعيد المقرى، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وأبو بردة بن أبى موسى، وجماعة أخر.

شهادته فتح بيت المقدس:

شهد عبدالله بن سلام فتح بيت المقدس مع عمر رضي الله عنه.

---

(١) الإصابة ٢/ ٣٢٠/ ٤٧٢٥، والاستيعاب ٢/ ٣٨٢، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٠٠، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٦٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٦٤، وصفة الصفوة ١/ ٧١٨/ ١٠٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ٢٤٩/ ٤٣٧، وتقريب التهذيب ١/ ٤٢٢/ رقم ٣٧٠.

(٢) المستدرك للحاكم ٣/ ٤١٣.

(٣) وقد شهد اليهود أن عبدالله بن سلام هو عالمهم وابن عالمهم راجع نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٦/ ٣٦٣ تحت عنوان: ذكر إسلام عبدالله بن سلام ومخيريق، وفيه يقول النويرى: أما عبدالله بن سلام فكان عالمًا حبرًا من أحبار اليهود. اهـ بتصرف.

تبشيره بالجنة:

ثبت فى الصحيحين من حديث سعد قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد: (من أهل الجنة) إلا لعبدالله بن سلام[١].

وورد من طرق أن عبدالله رأى رؤيا، فقصها على النبى ﷺ، فقال له: (تموت وأنت مستمسك بالعروة الوثقى)[٢].

شاهد بن إسرائيل:

ورد أن هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾[٣] قد نزلت فى عبدالله بن سلام[٤].

من مأثوراته ووصاياه وما قيل عنه:

١- لما احتُضِرَ معاذ قيل: أوصنا، قال: أجلسونى، ثم قال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبى الدرداء، وعند سلمان الفارسى، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن سلام، الذى كان يهوديًا فأسلم، فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: (**إنه عاشر عشرة فى الجنة**)[٥].

٢- رأى عبدالله بن سلام رؤيا مفادها أنه رأى نفسه فى روضة ووسط الروضة عمود من حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء، فى أعلاه عروة، فقيل له: ارْقه، فقال: لا أستطيع، فجاءنى منصف (يعنى خادمًا) فقال: بثيابى من خلفى، فرقيت بالعروة، فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: (تلك الروضة: الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: العروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت، والرجل عبدالله بن سلام).

---

(١) البخارى ٧/ ٩٧، ومسلم ٢٤٨٣.
(٢) البخارى ١٢/ ٣٥٣ (فتح).
(٣) الأحقاف: ١٠. راجع تفسير الطبرى ٢٦/ ٥، والبحر المحيط ٨/ ٥٦، والقرطبى ١٦/ ١٨٣.
(٤) أسباب النزول للسيوطى ٢٨، والبحر المحيط ٨/ ٥٧، والكشاف للزمخشرى ٤/ ٢٣٦.
(٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب (الترمذى ٣٨٠٤).

٢٥- حكيم بن حزام (١)
(ت ٥٤ هـ / ٦٧٤م)

اسمه وكنيته ولقبه:

هو حكيم بن حزام بن خُوَيْلد الأسدى، بن أسد بن عبدالعُزّى بن قصى بن كلاب القرشى، أبو خالد.

عمته خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها.

إسلامه:

حضر بدرًا مع المشركين، لكن أسلم عام الفتح، وله ستون سنة أو يزيد، وكان فى كل أوقاته وأحواله متذكرًا فضل الله عليه أن هداه إلى الإيمان، حامدًا شاكرًا لله تعالى أنه لم يقتل فى بدر فكان دائمًا يقول إذا اجتهد فى يمينه: لا، والذى نجّانى يوم بدر من القتل(٢).

ومن المأثور عنه أنه عاش ستين سنة فى الجاهلية، وستين سنة فى الإسلام.

من المؤلفة قلوبهم:

كان حكيم بن حزام من المؤلفة قلوبهم، وقد أعطاه النبى ﷺ يوم حنين مائة من الإبل.

---

(١) جمهرة نسب قريش ١/٣٥٣، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٥، ٥٨، والاستيعاب لابن عبدالبر ١/ ٣٢٠، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٣٥، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٤٠، والإصابة لابن حجر ٢/ ٣٢/ ١٦٩٥، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٤٧/ ٧٧٥، وتقريب التهذيب رقم ٥١٢، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٧٧، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٦٠، والكامل لابن الأثير ١٣/ ١٠٥، والمنتظم ٥/ ٢٧٠.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٤١، ونسب قريش ٢٣١.

صفاته وخصاله ومناقبه:

كان حكيم بن حزام، سخيًا جوادًا، عالمًا بالأنساب، ذا فطنة ونهية وعقل راجح، ولب ناصح.

ومن جليل صفاته أنه لما ضيَّقت قريش على بنى هاشم بالشعب، كان حكيم تأتيه العير، تحمل الحنطة، فيقبلها الشَّعب، ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم. وقال فيه ﷺ: (**أسلمت على ما أسلفت من خير**)[1] وفى رواية: (**ما سلف لك من خير**).

من جليل مواقفه وحميد فعاله:

١ - أعتق حكيم بن حزام فى الجاهلية مائة رقبة، وفى الإسلام مائة رقبة.

٢ - باع دارًا لمعاوية بستين ألفًا، وتصدق بها.

٣ - لما توفى الزبير، وكان مدينًا، سأل حكيم بن حزام: كم على أخى من الدين؟ قال ابنه (ابن الزبير): ألف ألف درهم، قال حكيم: علىَّ منها خمسمائة ألف[2].

٤ - عندما حضرته المنية ووافته شعوب قال: لا إله إلا الله، قد كنت أخشاك، وأنا اليوم أرجوك[3].

وفاته:

توفى سنة أربع وخمسين للهجرة، فرضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) البخارى ٣/ ٢٣٩، ومسلم ١٢٣، وأحمد فى المسند ٣/ ٤٣٤.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤٢٤.

(٣) جمهرة نسب قريش ١/ ٣٧٧.

٢٦- تميم بن أوس الدارى [١]
(ت ٥٤ هـ / ٦٦٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة، أبو رقية اللخمى، الدارى. قيل نسبة إلى الدار بن هانئ أحد بنى لخم[٢].

إسلامه:

أسلم تميم الدارى عندما وفد سنة تسع، مع وفد الداريين.

روايته:

له أحاديث عديدة، روى عنه أنس وابن عباس وغيرهما، وهو صاحب حديث (الجسَّاسة) وهى الدابة التى كان رآها فى جزيرة بالبحر[٣] وهى الواردة فى أمر الدجال[٤].

إقامته بالمدنية:

ضرب تميم بجرانه، وألقى بعصاه فى المدينة لم يبرحها حتى قتل شيخ الشهداء الحنيف الطاهر عثمان، فاجتوى تميم العيش وآثر بعد قتل عثمان أن يشخص إلى بلاد الشام يحيا فيها ما بقى له من العمر، فكان له ما أراده.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٢٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٥١٠، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٣٠، والإصابة ١/ ١٨٣/ ٨٣٧، والاستيعاب ١/ ١٨٤، وأسد الغابة ١/ ٢١٥، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٢، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٧٣٧/ ١١٥، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ١١٣/ ٩، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٥٥، وأحاسن المحاسن ١٤٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والمنتظم ٣/ ٣٥٦.

(٢) ولَخْمُ: من يَعْرُب بن قحطان.

(٣) سميت بالجساسة لأنها تجس الأخبار للدجال.

(٤) حديث الجساسة صحيح، ثابت فى مسلم ٢٩٤٢، ومسند الإمام أحمد ٦/ ٣٧٣.

قال ابن عساكر[١] وغيره: إن وفد الداريِّين قدموا على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، وهم عشرة، كان فيهم تميم.

صفاته ومناقبه:

وردت مسموعات مثيرة عن تميم الدارى تكاد تقطع بنباهته وذكائه وعلو طبقته.

فقد ذكر ابن سعد فى طبقاته أن القرآن على عهد رسول الله ﷺ قد جُمِعَ على يد أبى بن كعب، وعثمان، وزيد بن ثابت، وتميم الدارى[٢].

وقيل: إن تميمًا كان يقرأ القرآن فى ركعة[٣].

من عنده علم الكتاب:

قال قتادة فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٤] قال: سلمان، وابن سلام، وتميم الدارى[٥].

وثبت عن قتادة أن تميمًا الدارى اشترى رداءًا بألف درهم يخرج فيه إلى الصلاة[٦].

مأثوراته ومسموعاته وما ورد عنه:

١ - خذ من نفسك لدينك، ومن دينك لنفسك، حتى يستقيم الأمر على عبادة تطيقها.

٢ - قال الواقدى: ليس لرسول الله ﷺ بالشام قطيعة غير حَبْرَى، وبيت عَيْنُون أقطعهما تميمًا الدارى وأخاه نُعَيْمًا.

٣ - كان تميم الدارى أول من أسرج المسجد.

وفاته:

توفى تميم الدارى سنة أربعين[٧].

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٤، كذا ابن سعد فى الطبقات.

(٢) الطبقات الكبرى.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٧٣٨، وأحاسن المحاسن له ١/ ١٤٢، وذكر ابن سعد، وابن الجوزى بإسناده عن أبى المهلب، قال: كان تميم الدارى يختم القرآن فى سبع. اهـ.

(٤) سورة الرعد: الآية ٤٣. راجع تفسير الطبرى ١٣/ ١٦٧.

(٥) تفسير الطبرى ١٣/ ١٧٧.

(٦) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٧٣٨.

(٧) تقريب التهذيب رقم ٧٩٩.

٢٧- الحسن البصرى [(١)]
(ت ١١٠ هـ / ٧٢٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو الحسن بن أبى الحسن البصرى (اسم أبيه يسار)[(٢)] بالتحتانية والمهملة، الأنصارى، مولاهم، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جميل بن قطبة، كانت أمه مولاة أم المؤمنين أم سلمة ﵂ وأصله من ميسان[(٣)] وكان أشبه بالصحابة[(٤)] وخاصة عمر[(٥)].

صفاته وخلاله وعلمه وفضله:

إنه إمام البصرة وشيخها، وعالمها الزاهد، العالم العامل المشهود له بالورع والتقوى.

لقد رضع أفاويق الحكمة من لبان الفصاحة والورع والفضيلة من أم سلمة، أم المؤمنين، من ثم كان محوطًا بالعناية الإلهية وبالنفحات والبركات للعلوية التى انطلقت على يده وعلى لسانه[(٦)].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٧١، وطبقات الحفاظ ٢٨، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٧٧، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ١٤٧/ ١٤٤، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣، والتقريب ٢/ ١٦٥/ ٢٦٣، وطبقات الشيرازى ٨٧، والعبر للذهبى ١/ ١٣٦، وميزان الاعتدال ١/ ٥٢٧، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١/ ٢٦٧، وحلية الأولياء ٢/ ١٣١، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ١٣٦.

(٢) كذا وفى التذهيب (سيار) نقلاً عن التهذيب ٢/ ٢٦٣، وكذلك ميزان الاعتدال ١/ ٥٤، وتقريب التهذيب رقم ١٢٢٧.

(٣) مِيسَان: قرية (كورة) عريضة بين البصرة وواسط (قصبة مَيْسان).

(٤) أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٠.

(٥) المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٧، وأخبار القضاء ٢/ ١٣.

(٦) قال ابن سعد فى طبقاته: كان الحسن جامعًا عاملاً رفيعًا، حجة ثقة عابدًا كثير العلم فصيحًا جميلاً وسيمًا، وما أرسله ليس بحجة.

إنه ليس إمامًا للبصرة وحدها فى عصره، ولكنه إمام أهل عصره، وقد ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين للهجرة فى خلافة عمر ﷺ، وقد نشأ بوادى القرى.

سماعه عثمانا وعليا وطلحة:

وقد رى الحسن البصرى عددًا من الصحابة مثل على وعثمان وطلحة وغيرهم، بيد أن أحدًا لم يشهد بسماعه من أبى هريرة.

أجمع وصفه عند الذهبى:

فى «تاريخ الإسلام» يقدم الذهبى صورة جامعة مجملة للحسن البصرى فيقول: «كان يدلس ويُرسِلُ ويحدث بالمعانى، ومناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة، كان رأسًا فى العلم والحديث إمامًا مجتهدًا كثير الإطلاع رأسًا فى القرآن وتفسيره، رأسًا فى الوعظ والتذكير، رأسًا فى الحلم والعبادة، رأسًا فى الزهد والصدق، رأسًا فى الفصاحة والبلاغة، رأسًا فى الأيد والشجاعة»(١).

وفيه أيضًا: من سَرَّه أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن(٢)، ذلك لأنه لم يُرَ شاب أحسن وجهًا منه.

من مأثوراته ومواعظه ونصائحه ووصاياه(٣):

١ - لا يستوحش مع الله تعالى إلا أحمق.

٢ - إننى من ذنوبى على يقين، ومن طاعتى وقبول عملى على وجل.

٣ - ما رأيت شيئًا من العبادة أشد من الصلاة فى جوف الليل.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى ٧/ ٤٩، ٥٠.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.
(٣) من كتاب «الحسن البصرى» من تأليف السيد الجميلى، بتصرف واختصار.

٤ – بئس الصديق صديق يحتاج إلى المداراة، ويُلجئكم إلى الاعتذار، أو يقول لك: اذكرنى فى دعائك.

٥ – توبوا إلى الله من كثرة النوم والطعام.

٦ – احذر الرياء، واحذر التصنع، فإن الله يمقت فاعلهما.

٧ – زَوِّج ابنتك للرجل التقى إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

٨ – لا يكن حظكم من خير سماعه.

٩ – إن الله لا يجمع على عبده أمْنَين ولا خَوْفَين، إذا خافه فى الدنيا أمنه فى الآخرة، وإن أمنه فى الدنيا أخافه فى الآخرة.

١٠– بعث الحسن إلى رجل –سمع أنه اغتابه– بطبق فيه رطب، وقال: أهديت إلى باغتيابك لى حسناتك، فكافأتك عليها، فاستحيا الرجل ولم يعد لذكره بسوء.

١١– سُئِلَ الحسن البصرى عن حسن الخلق، فقال: البذل، والعفو والاحتمال.

١٢– مروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله مؤونة إخوانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن جيرانه.

١٣– ما أنصفك من كلَّفك إجلاله، ومنعك ماله.

١٤– احذر من نقل إليك حديث غيرك، فإنه سينقل حديثك إلى غيرك.

١٥– يابنى آدم، عَمَلَك عَمَلَك، انظر على أى حال تحب أن تلقى ربك.

١٦– عِفَّ عن محارم الله، تكن عابدًا.

١٧- شهادة كل مسلم مقبولة غير مردودة، حتى تظهر عليه سقطة أو يجرحه المشهود عليه.

١٨- إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون.

١٩- من أُعْطِيَ درجة الرضى كُفِيَ المؤن، ومن كُفِيَ المؤن صبر على المحن، فمن كان مرضيًا كان مكفيًا.

٢٠- الصبر صبران صبرٌ على المصيبة، وصبرٌ على المعصية، وما جرعة أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة تجرعها صاحبها بحسن عزاء وصبر، أو جرعة غيظ تحملها بفضل عفو وحلم.

٢١- إنك لن تجمع إيمانًا وخيانة، كيف تكون مؤمنًا ولا يأمنك جارك؟ أو تكون مسلمًا، ولا يسلم الناس منك؟!

٢٢- لا تستحق حقيقة الإيمان، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، فأصلح عيب نفسك قبل نظرك في عيون الناس، فإنك لن تصلح من نفسك عيبًا، إلا وجدت عيبًا آخر أنت أوْلى بإصلاحه.

٢٣- أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة.

٢٤- إنه لا دين لمن لا مروءة له.

٢٥- ليس كفُّ الأذى، وإنما احتمال الأذى هو حسن الجوار.

٢٦- العلم منفسوح من روح الله، لأن العلم من أكرم وأشرف متطلع إليه، ومتوجه نحوه.

٢٧- لا تكن ممن يجمع علم العلماء، وحكم الحكماء، ويجرى في الحق مجرى السفهاء.

٢٨- الحسد يقوض دين المسلم.

٢٩- لا غيبة فى ثلاثة: فاسق مجاهر بالفسق، وإمام جائر، وصاحب بدعة لم يدع بدعته.

٣٠- من طلب العلم لله، لم يلبث أن يرى ذلك فى خشوعه وزهده وتواضعه.

٣١- دعا رجلٌ من الموسرين المشغولين يومًا الحسن البصرى فقال مناديًا: يا أبو سعيد (كذا)، فقال الحسن: شغلك بالدوانيق[1].

٣٢- تعلموا العلم للأديان، والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان.

٣٣- الفهم وعاء العلم، والعلم دليل العمل، والعمل قائد الخير، والهوى مركب المعاصى، والمال داء المتكبرين، والدنيا سوق الآخرة والويل كل الويل من قوى بنعم الله على معاصيه.

٣٤- خالطوا الناس وزايلوهم[2]، خالطوا الناس فى الأخلاق الكريمة، وزايلوهم فى الأفعال القبيحة.

٣٥- إن الغنى عن الشىء وليس الغنى بالشىء، وكذلك الغنى عن المال لابه.

٣٦- عز الشريف أدبه، وتقواه حسبه. ومن رمى أخاه بذنب تاب منه إلى الله عز وجل، لم يمت حتى يبتلى بمثل ذلك الذنب.

٣٧- العاقل لا يشترى عداوة رجل بمودة ألف رجل، إنه إن فعل ذلك خسِرَ.

---

(١) الدوانيق: الدراهم، جمع دانق. انظر العقد الفريد لابن عبدربه ٢/ ٤٨٠، والحسن البصرى للسيد الجميلى ص ١٠٥، تحت عنوان «النحو لتقويم اللسان».

(٢) انظر مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٢٤٣/ ١٢٩٣.

٣٨- قال الحسن: إنما يُعرفُ الحلم عند الغضب، فإذا لم تغضب لم تكن حليمًا[(١)].

٣٩- من أيقن بالخلف جاد بالعطية، فما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تباعة إلا ما كان من نعمته على سليمان بن داود عليهما السلام، فإن الله عز وجل يقول: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٢)].

٤٠- ما أطال الإنسان الأمل إلا أساء العمل، أنت أيها الإنسان عدد، فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك.

٤١- رحم الله ابن مسعود كأنه عاينكم حين قال: زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل.

٤٢- من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء.

٤٣- العافية لا يعرف قدرها إلا عند فقدها.

٤٤- المروءة أن لا تطمع فتذل، ولا تسأل فتقل.

٤٥- إذا لم تكن عالمًا فتعلم، وإذا لم تكن حليمًا فتحلم.

٤٦- قال الحسن: أصحب الناس بمكارم الأخلاق فإن الثواء بينهم قليل، وقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: آه من قلة الزاد وطول السفر، ووحشة الطريق. [حقًا إن العمر قصير، والسفر طويل، والرحلة شاقة، والزمان جديد، والقضاء عسر].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٢٨٢.

(٢) ص: ٣٩. معنى الآية أى فأعط أو أمسك، أى فأنت مختار بين الإعطاء وبين الإمساك حسبما يترائى لك من غير مضرة عليك، وهذا هو المستفاد كما قيل عند أكثر المفسرين على ما فى تفسير الطبرى ٢٣/ ١٠٥، والقرطبى ١٥/ ٢٠٦، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٩، والدر المنثور للسيوطى ٥/ ٣١٥، والله أعلم بمراده.

٤٧- اثنان لا يصطحبان أبدًا: القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان أبدًا: الحرص والحقد.

٤٨- يسود الرجل بعقله وسخائه وحلمه، فلا تأت إلا من تأمُلُ نائله، أو تخاف سطوته، أو ترجو بركة دعائه، أو تقتبس من علمه.

٤٩- التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم.

٥٠- رأينا من أُعْطِىَ الدنيا بعمل الآخرة، وما رأينا من أُعْطِىَ الآخرة بعمل الدنيا.

٥١- إن المؤمن لا يصفو له فى الدنيا عيش(١).

٥٢- ينجى الله المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، ويعذب الكافرين بالحجة والعدل.

٥٣- ياعجبًا لألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف!

٥٤- إن الدين قوى، وإن الحق ثقيل، والإنسان ضعيف، فلو أن الإنسان كلَّفَ نفسه من العمل فوق طاقتها خيف عليه السآمة والترك.

٥٥- احذروا العابد الجاهل، والعالم الفاسق، فإن فيهما فتنة كل مفتون.

٥٦- إن أشد الناس صراخًا يوم القيامة رجلٌ رُزِقَ نعمةً فاستعان بها على معصية الله.

---

(١) هذا مفاد الحديث الجليل الذى سبق إليه رسول الله ﷺ فى قوله: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) أخرجه مسلم ٨/ ٢١٠، والترمذى فى جامعه الصحيح ٢٣٢٤، وابن ماجة رقم ٤١١٣، وكشف الخفاء للعجلونى ١/ ٤١٠/١٣١٨، والمقاصد الحسنة للسخاوى ٣٥٠/ ٤٩٥، وصححه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٢٦٠/ ٤٢٧٥.

٥٧- للحسن البصرى حكمة مأثورة عندما سمع الحجاج بن يوسف الثقفى يخطب فوق منبر البصرة، فقال الحسن: عجبًا للحجاج!! كيف عرف ما عرف، ثم صرف عن الحق كما صرف؟!!

٥٨- من تزيَّن للناس بما لا يعلمه الله منه شانه ذلك.

٥٩- إن كان فى الجماعة فضلٌ، فإن فى العزلة سلامة.

٦٠- ويح ابن آدم! ماخلق الله خلقًا يكابد من العيش ما يكابد هو[1].

٦١- ابن آدم، أقلل الضحك فإن كثيره يميت القلب، ويزيل البهجة، ويسقط المروءة، ويزرى بذى الحال.

٦٢- رُوِىَ أن الله تعالى قال فى وحيه إلى عيسى بن مريم: يا عيسى ابن مريم، أكحل عينيك بالبكاء إذا رأيت الغافلين يضحكون.

٦٣- إن القرآن شفاءٌ للمؤمنين، وإمامٌ للمتقين، فمن اهتدى به هُدِىَ، ومن صُرِفَ عنه شقَى وابتُلِىَ.

٦٤- إن من شر الناس أقوامًا قرءوا هذا القرآن، لا يعلمون بسنته، ولا يتبعون طريقته، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

٦٥- يا ابن آدم، إنما أنت ضيفٌ، والضيف مرتحل، ومستعارٌ، والعارية مؤداة، مردودة، فما عسى مقام ضيف، وبقاء عارية؟.

٦٦- المتهجدون أحسن الناس وجوهًا؛ لأنهم خَلَوْا بالرحمن فأسفر نورهم من نوره.

---

(١) قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. راجع تفسير القرطبى ٢٠/ ٦٢، والطبرى ٣٠/ ١٢٦، والبحر المحيط لأبى حيان ٨/ ٤٧٣، ولسان العرب ٤/ ٣٧٩، وأصل الكبد: الشدة، وقيل: فى مشقة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه ومعاشه وحياته وموته. راجع تفسير الخازن ٤/ ٢٤٨، وأبو السعود ٥/ ٢٦٤.

٦٧- قال الحسن عندما ذُكِرَ عنده الملوك: أما إنهم وإن هملجت بهم البغال، وأطافت بهم الرجال، وتعاقبت لهم الأموال، إن ذل المعصية فى قلوبهم، أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه.

٦٨- ابن آدم، لست بسابق أجلك، ولا بالغًا أملك، ولا مغلوبًا على رزقك، ولا مرزوقًا ما ليس لك، فعلام تقتل نفسك.

٦٩- ابن آدم، أنت أسير فى الدنيا، رضيت من لذتها بما ينقضى، ومن نعيمها بما يمضى، ومن ملكها بما ينفذ، فلا تجمع الأوزار لنفسك، ولأهلك الأموال، فإذا متَّ حملت الأوزار إلى قبرك، وتركت الأموال إلى أهلك.

٧٠- إذا دخلتم على الرجل فى الموت فبشروه، ليلقى ربه وهو حسن الظن به، وإذا حيا فخوفوه.

٧١- كان الحسن إذا دخل المقبرة قال: اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة، التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة، أدخل عليها روْحًا منك وسلامًا منا(١).

٧٢- كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبدالعزيز يعزيه فى ابنه عبدالملك يقول الحسن:

وعُوِّضْتَ أجرًا من فقيد فلا يكن
فقيدك لا يأتى وأجرك يذهبُ(٢)

٧٣- بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل، فإن لكم ما أمضيتم، لا ما أبقيتم.

---

(١) الحسن البصرى للسيد الجميلى ص ٢٠١، والعقد الفريد لابن عبدربه ٣/ ٢٣٧.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٣٠٣، و٣/ ٣١١، والحسن البصرى للسيد الجميلى ص ٢٠٢.

٧٤- ثلاثة لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وإنكاح الكفء[١].

٧٥- رحم الله قومًا كان خشوعهم فى قلوبهم؛ فغضوا أبصارهم، وحفظوا فروجهم، وتجنبوا المحارم، فنالوا أعلى الدرجات.

وفاته:

توفى الحسن البصرى ﷺ بالبصرة فى رجب سنة عشر ومائة، على ما ورد فى طبقات الحفاظ للسيوطى، لكن ذكر الخزرجى فى التذهيب أنه توفى سنة عشرين ومائة.

رحم الله شيخ البصرة[٢] وإمامها وسلامٌ عليه فى الخالدين.

---

(١) العقد الفريد ٣/ ١٨٣، والحسن البصرى للجميلى ص ٣٠٣.

(٢) قال أنس بن مالك عندما سُئِلَ عن مسألة: سلوا مولانا الحسن، فقيل له فى ذلك فقال: إنه قد سمع وسمعنا، فحفظَ ونسينا.

٢٨- عبدالله بن عباس (١)
(ت ٦٨ هـ / ٦٨٧م)

اسمه وكنيته ولقبه:

هو عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب القرشى، الهاشمى من بنى هاشم، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وكان ابن عباس من أجمل الناس وأصبحهم وجهًا(٢)، وقد كفَّ بصره آخر عمره.

نشأته:

ولد ونشأ ودرج بمكة سنة ثلاث قبل الهجرة، وتربى طفلاً وصبيًا فى مدرسة النبوة، فهو من العبادلة الذين فتحوا عيونهم على فجر الإسلام وإشراق شمس التوحيد فى الأفق الرحيب.

روايته:

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ، وليس هناك غرابة فى هذا الأمر، إذ إنه كان ملازمًا له، لم يفارقه لحظة واحدة، وبلغ مجموع مرويات عبدالله عن رسول الله ﷺ ١٦٦٠ ألف وستمائة وستين حديثًا متفقًا عليها جميعًا.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٦٥، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٥٧، ٤٤٦، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ٤٨٣، ونسب قريش ٢٦، وحلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ٣١٤/ ٤٥، والاستيعاب لابن عبدالبر ٢/ ٣٥٠، وتاريخ بغداد ١/ ١٧٣/ ١٤، والكامل لابن الأثير ١٣/ ٢٠٤،وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٣١٤، وسير أعلام النبلاء للذهبى ٣/ ٣٣١/ ٥١، والعبر له ١/ ٧٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠/ ١٨، ونهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٦/ ١٦، والإصابة لابن حجر ٤/ ٩٠/ ٤٧٧٢، وصحابة النبى للسيد الجميلى ١٦٠.

(٢) ذكر البلاذرى بإسناده عن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، وإذا نطق قلت: أفصح الناس، وإذا تحدث قلت: أعلم الناس. الأنساب للبلاذرى ٣/ ٣٠ بتصرف.

فضله ومناقبه ودعاء النبى ﷺ له:

كان ابن عباس ﷺ بحراً لا يجارى ولا يبارى، ولا يستطاع غور بحره الزاخر من علوم الدين، منْ ثم فلا غرو ولا عجب أن لقبه النبى عليه الصلاة والسلام بـ «حبر الأمة»، ودعا له: (**اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل**)(١). وقد استجيب لدعائه ﷺ، فرزقه الله ذكاءً نادراً، وحافظة عميقة واعية مدركة.

كان ابن عباس يعمد إلى الاستيثاق من المرويات التى تتساقط إليه وتتنامى إليه، ويمحصها ويستقصى أصولها، حتى يطمئن إلى سلامتها، ويستوثق من صحتها، ولا يكون ذلك إلا بالتحقيق والتدقيق.

يتمثل هذا فى قوله: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ(٢).

ذلك لعلمه ويقينه أن الأمر دينٌ ولابد من التحرز والتحوط فى كل أمر إن الحديث عن فضائل ابن عباس أمر يطول الحديث عنه.

رجاحة عقله:

بلغ ابن عباس من رجاحة عقله أن كان عمر بن الخطاب يستشيره فى الأمر يهمه، ويقول: غص غواص(٣)، وكان يسمى البحر لكثرة علمه(٤).

---

(١) البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣/٢٨، وأحمد فى المسند ١/٢٦٦، والحاكم فى المستدرك ٣/٥٣٤، وصححه ووافقه الذهبى وكشف الخفاء للعجلونى ١/ ٢٢٠/٥٧٢.

(٢) صحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ١٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٤٦، ويقول البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣/٣٧: قال عمر لابن عباس: لقد علمت علمًا ما علمناه اهـ وقالت فيه السيدة عائشة: ابن عباس أعلم من بقى بالحج اهـ.

(٤) حلية الأولياء لأبى نعيم ١/٣١٦، وأنساب البلاذرى ٣/٣٣.

ذكر الذهبى أن الأعمش قال: وسمعتهم يتحدثون أن عبدالله قال: لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشىء[(١)].

وذكر الذهبى فى كتابه بإسناده عن عبدالله قال: ولنعم تَرْجُمَان القرآن ابن عباس[(٢)].

درر من أقواله ومأثوراته ووصاياه:

١- رأيت جبريل مرتين، ودعا لى رسول الله ﷺ مرتين.

٢- يا صاحب الذنب لا تأمنن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لا تدرى ما الله صانع بك أعظم من الذنب.

٣ - آخر شدة يلقاها المؤمن الموت.

٤- سقط فى عينى ابن عباس الماء؛ فذهب بصره، فقيل له: خلٍّ بيننا وبين عينيك نسيل ماءهما، ولكنك تمسك خمسة أيام لا تصلى، فقال: لا والله ولا ركعة واحدة، إنى حدثت: «أنه من ترك صلاة واحدة متعمدًا، لقى الله وهو عليه غضبان».

وفاته:

وافته المنية فى سنة ثمان وستين للهجرة بالطائف وله إحدى وسبعين سنة من عمره، ولما خرج بنعشه، جاء طائر عظيم أبيض حتى دخل فى أكفانه فلم يُدْرَ أين ذهب[(٣)].

---

(٤) تاريخ الإسلام ٥/١٥٦، بتحقيق الدكتور عمر بن عبدالسلام التدمرى.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣/٥٣٧، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.

(٣) وذكر شعيب بن يسار قال: لما أُدْرِجَ عبدالله بن عباس فى كفنه دخل فيه طائر أبيض، فما رؤى حتى الساعة. وقيل إن ابن الحنفية لما علم بموت ابن عباس قال: مات ربانىّ هذه الأمة. اهـ من حلية الأولياء وصفة الصفوة وأحاسن المحاسن.

٢٩- الحسن بن على (١)
(ت ٥٠ هـ / ٦٧٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو الحسن بن على بن أبى طالب بن عبدالمطلب، أبو محمد، الهاشمى السيد، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ولادته:

وُلِدَ الحسن رضي الله عنه فى شهر شعبان سنة ثلاث من الهجرة(٢).

صحبته وروايته:

كان الحسن ريحانة رسول الله ﷺ، وكان محتومًا أن تكون له صحبة ورواية عن أبيه علي وجده ﷺ.

صفاته وشمائله:

كان الحسن يشبه جده ﷺ، ولم يكن شبيهًا بأبيه على، وأخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**)(٣).

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ٢/ ٣٥/ ١٣٢، والاستيعاب لابن عبدالبر ١/ ٣٦٩، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٧٥٨/ ١٢٠، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١/ ١٣٨/ ٢، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٢٠٢، والإصابة لابن حجر ١/ ٣٢٨/ ١٧١٩، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٨٦، ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥/ ٤٧، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥/ ٥٢٨، والتقريب ١/ ١٦٨/ ٢٩٤، واستشهاد الحسين للإمام الطبرى بتحقيق السيد الجميلى.

(٢) هناك رواية تقول إنه ولد فى نصف رمضان من سنة ثلاث للهجرة، وهذا قال به الواقدى.

(٣) صحيح البخارى ٧/ ٧٤ (فتح) وأبو داود ٥/ ٤٨/ ٤٦٦٢، والترمذى فى جامعه الصحيح ٣٧٧٥، والنسائى فى السنن ٣/ ١٠٧ ومسند الإمام أحمد ٥/ ٤٤.

وذكر أبو جحيفة السوائى وأنس فيما صح عنهما أن أبا بكر الصديق رأى الحسن يلعب، فأخذه وحمله على عنقه وقال:

بأبى شبيـة بالنبى
ليس شبيهًا بعلى

وعلى يبتسم[١].

بشرى الجنة للحسن والحسين:

أخرج الترمذى فى جامعه الصحيح بإسناده عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**[٢].

من مناقبه أيضًا:

كان الحسن سيدًا حليمًا، ذا وقار وسكينة ومهابة، سخيًا جوادًا كان يكره الفتن والصراع، وقد أحبه رسول الله ﷺ وأخاه، وثبت فى كتاب الترمذى بإسناده عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعًا الحسن على عاتقه، وهو يقول: **(اللهم إنى أُحِبُّه فأحِبَّه)**[٣].

زواج الحسن:

ذكر العلماء أن الحسن تزوج سبعين امرأة، يطلقهن، وقلما كان يفارقه أربع ضرائر[٤].

---

(١) البخارى ٥/ ٣٣، والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٥٢٧، وقال أسامة بن زيد: كان النبى ﷺ يأخذنى والحسن فيقول: (اللهم أنى أحُبهما فأحِبَّهُما) البخارى ٧/ ٧٠، وابن سعد فى الطبقات الكبرى، وأحمد فى المسند ٢/ ٤٤٦، ٥/ ٢١٠، ٣٦٩.

(٢) الترمذى ٣٧٦٨، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الترمذى ٣٧٨٣، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصح أنه ﷺ أبصر الحسن والحسين فقال: **(اللهم إنى أُحِبُّهما فأحبَّهما)** الترمذى بنفس السند السابق رقم ٣٧٨٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) وردت «أربع حرائر» فى تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر.

وذكر أبو نعيم فى كتابه[1] أن الحسن تزوج امرأة فبعث إليها بمائة جارية، مع كل جارية ألف درهم.

كان الحسن ﷺ محبًا ومحبوبًا فى آن واحد.

سجاحته وسهولته مع معاوية ومبايعته له:

ورد فى كتاب تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبى[2] أن أبا موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: والله إنى لأرى كتائب لا تُوَلى أو تقتل أقرانها.

وقال معاوية -وكان خير الرجلين- أرأيت إن قتل هؤلاء هؤلاء من لى بذراريهم، من لى بأمورهم من لى بنسائهم؟

قال: فبعث عبدالرحمن بن سَمُرة، فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له، وبايعه بالخلافة على شروط ووثائق وحمل معاوية إليه مالاً، يقال خمسمائة ألف فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين[3].

حجه ماشياً:

حج الحسن خمس عشرة حجة ماشيًا، وقيل مشى عشرين مرة على رجليه قيل إنه قال: إنى لاستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته.

سقيه السم:

وثبت فى تاريخ الإسلام وحلية الأولياء عن عمير بن إسحاق قال:

---

(١) حلية الأولياء ٣٨/٢.　　(٢) ج ٣٨/٤ بإسناده.

(٣) قيل: قدِمَ الحسن فاجتمع بمعاوية بعدما سلم الأمر له وتنازل له عن الخلافة، وبايعه بها، فقال له معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدًا قبلك، ولا أجيز بها أحدًا بعدك، فأعطاه أربعمائة ألف، ثم إن الحسن رجع بآل بيته من الكوفة ونزل المدينة.

عدنا الحسن بن على قبل موته، فقام وخرج من الخلاء، فقال: إنى والله قد لفظت طائفة من كبدى قلبتها بعود، وإنى قد سُقِيتُ السم مراراً فلم أُسْقَ مثل هذا قط، فحرَّص به الحسين أن يخبره من سقاه فلم يخبره، وقال: الله أشد نقمة إن كان الذى أظن، وإلا فلا يقتل بى والله برىء(١).

مأثوراته وأروع مسموعاته ومواعظه:

١ - لما بايع الحسن بن على معاوية، قال له عمرو بن العاص، وأبو الأعور السلمى: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم عَيِىَ عن المنطق، فيزهدَ فيه الناس، فقال معاوية: لا تفعلوا، فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه وشفته، ولن يعيا لسانٌ مصه النبى ﷺ أو شفَة، قال: فأبَوْا على معاوية، فصعد معاوية المنبر، ثم أمر الحسن فصَعدَ، وأمره أن يخبر الناس: إنى قد بايعت معاوية. فصعد الحسن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنى قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم، وأن يوفر عليكم غنائمكم، وأن يقسم فيكم فيْأكم، ثم أقبل على معاوية، فقال: أكذاك؟ قال: نعم. ثم هبط من المنبر وهو يقول ويشير بإصبعه إلى معاوية: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(٢).

فاشتد ذلك على معاوية: فقالوا: لو دعوته، فاستنطقته يعنى استفهمته ماعنى بالآية، فقال: مهلاً، فأبَوْا عليه، فدعوه، فأجابهم، فأقبل عليه عمرو، فقال له الحسن: أما أنت، فقد اختلف فيك رجلان، رجل من قريش، ورجل من أهل المدينة، فادَّعياك، فلا أدرى أيّهما أبوك. وأقبل عليه أبو الأعور، فقال له الحسن: ألم يَلْعَن رسول الله ﷺ رعْلاً وذكوان وعمرو ابن سفيان «وهذا اسم أبى الأعور»!

---

(١) قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سَمَّ الحسن زوجته بنت الأشعث بن قيس، وقالت طائفة من العلماء: كان ذلك بتدسيس معاوية لها وبذل لها على ذلك، والله أعلم، وقد رفض الذهبى هذا القول جملة وتفصيلاً لافتقاره إلى الدليل القويم والبرهان القاطع.

(٢) الأنبياء: ١١١.

ثم أقبل على معاوية يُعينهما، فقال له الحسن: أما علمت أن رسول الله ﷺ لعن قائد الأحزاب وسائقهم[1]؟

٢- من أروع وأجمع وأجمل مأثورات الحسن رضي الله عنه، ما ذكره ابن عبدالبر[2] وغيره، أن الحسن رضي الله عنه لما احتضر قال:

يا أخى، إياك أن تستشرف لهذا الأمر، فإن أباك استشرف لهذا الأمر، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، ثم استشرف لها، فصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما مات عثمان بويع، ثم نوزع حتى جُرِّد السيف، فما صفت له، وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فلا أعرفنَّ ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك، وقد كنت طلبت إلى عائشة أن أدفن مع رسول الله ﷺ، فقالت: نعم، وإنى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياءً، فإذا مامت، فاطلب ذلك إليها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم.

وفاته:

لما مات الحسن[3]، أتى الحسين عائشة، فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى ردَّه أبو هريرة، ثم دفن الحسن إلى جنب أمه، وشهده سعيد بن العاص وهو الأمير، فقدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: هى السنة، وقيل: كان آخر قوله: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنى لم أصب بمثلها غير رسول الله ﷺ.

---

(١) وكان أحدهما أبو سفيان بن حرب أبو معاوية، والآخر أبو الأعور السلمى.

(٢) الاستيعاب ١/٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) توفى الحسن بن على سنة خمسين، فى ربيع الأول، فى أصح الأقوال عن نسَّابة قريش الزبير بن بكار، وهشام الكلبى، والمدائنى وغيرهم، لكن ذهب الواقدى إلى أن ذلك كان سنة تسع وأربعين، بالمدينة والأول هو الصحيح.

٣٠- الحسين بن على [١]
(ت ٦١ هـ / ٦٨٠م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو الحسين بن على بن أبى طالب، سيد الشهداء ابن فاطمة الزهراء ﵂ وأرضاها[٢]، أبو عبدالله، سبط رسول الله ﷺ.

نشأته فى بيت النبوة:

درج ونشأ وتربى الحسين فى بيت النبوة، فهو ابن رسول الله ﷺ، فإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسب رسول الله ﷺ وسببه وصهره، وقد ولد الحسين فى شعبان سنة أربع، وقيل سنة ست، وقيل سبع.

فضائله ومناقبه:

إن فضائل الحسين بن على لا تخفى على أحد، فقد وردت الأحاديث الصحيحة المتواترة متواطئة على ذلك، فإن بيته كله مبشر بالجنة، على وفاطمة والحسن والحسين كلهم مبشرون بالجنة.

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٤/ ٣١١، والكامل لابن الأثير ٤/ ١٩، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢١٦، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٣٢١، وحلية الأولياء ١/ ٥٧، ٢/ ٣٩، وخطط مبارك ٥/ ٩٣، وأحاسن المحاسن للرقى ص ١٤٩، وتاريخ الإسلام للذهبى ٥/ ٥ بتحقيق د. عمر عبدالسلام التدمرى، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٣٣٠، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء للذهبى ٣/ ٣١٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٢٧٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٥١، والإصابة لابن حجر ٢/ ١٤/ ١٧١٩، والعقد الفريد لابن عبدربه ٤/ ٣٨٠، واستشهاد الحسين للطبرى بتحقيق السيد الجميلى.

(٢) قال ﷺ: (فاطمة بضعة منى) أحمد ٤/ ٣٢٣ بلفظ (مضغة)، والحاكم فى المستدرك ٣/ ١٥٨، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ١١٢/ ١٨٣٢.

وحسبه من الفضل والكرامة قول جده ﷺ: (**حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا**)(١).

ورعه وتقواه وزهده:

كان الحسين بن على رضي الله عنه زاهدًا فى الدنيا، منصرفًا عن زيفها الخلوب، وما سعى إلى غرض فيها البتة.

إن حرص الحسين على تولى أمر المسلمين بعد موت معاوية بن أبى سفيان، ورفضه مبايعة ابنه يزيد لم يكن رغبة فى السلطان، ولا طموحًا إلى الملك ولا طمعًا فى جاه دنيوى مهما كانت درجته، إنما خاف أن يكون مسئولاً أمام ربه أن يفرط فى حقه إلى من لا يستحقه، ولم يكن يزيد بن معاوية مؤهلاً ليكون خليفة أو ليكون أميرًا للمؤمنين فى وجود الحسين بن على وهو من هو لقرابته من رسول الله ﷺ من ناحية، ومن ناحية أخرى لصفاته ومناقبه وسيرته وتمسكه بالقيم المرضية.

إعلام رسول الله ﷺ باستشهاد الحسين:

أخرج ابن كثير وغيره بإسناده عن أبى عبيدة أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يزال أمر أمتى قائمًا بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى أمية اسمه (أو يقال له) يزيد**)(٢).

وهناك غير ذلك إرهاصات تشير إلى أنه لابد مقتول.

وصية معاوية لابنه يزيد:

قيل: إن معاوية وهو يحتضر أرسل إلى ابنه يزيد مكتوبًا أوصاه وقال:

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد، والترمذى ٣٧٧٥، وابن ماجه ١٤٤، والحاكم ٣/ ١٧٧.

(٢) رواه البخارى فى التاريخ، وأبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبدالوهاب، ثم قال:=

انظر حسين بن فاطمة، فإنه أحب الناس إلى الناس، فَصِلْ رحمه، وارفق به، فإن بك منه شيء، فإنى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه(١).

لكن يزيد لم يعمل بنصيحة أبيه، فقد احتوشه المجرمون أعداء أهل البيت وأوغروا صدره، وحرضوه على ما صنع.

إصرار الحسين على الذهاب إلى العراق:

خدع أهل النفاق من العراق الحسين بن علىّ برسائلهم التى تقطر إخلاصًا وولهًا واشتياقًا لقدومه إليهم واستعدادهم لمبايعته أميرًا للمؤمنين لأن يزيد لا يصلح وليس أهلاً للخلافة.

واطمأن الحسين بسلامة صدره إلى هذه الأقوال المدهونة التى تنطوى على الغش والخديعة، وعقد عزمه وتهيأ للخروج مشخصًا إلى العراق.

رفضه نصائح المخلصين:

قال ابن عمر للحسين: لا تخرج فإن رسول الله ﷺ خيَّره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه، ولا تنالها (يعنى الدنيا) فاعتنقه وبكى، وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا الحسين بالخروج، ولَعَمْرى لقد رأى فى أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما

=البخارى: والحديث معلول، وأرجو مراجعة البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٥٠، واستشهاد الحسين للطبرى بتحقيق السيد الجميلى ص ١٣، وورد عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ بنصف النهار أشعث أغبر، وبيده قارورة فيها دم فقلت: بأبى وأمى يارسول الله ماهذا؟ قال: (هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه) فأحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ. ابن عساكر ٤/ ٣٤٣، والمسند ١/ ٢٨٣.

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٣٣٠.

كان ينبغى له أن يتحرك ماعاش[١]. وكذلك نصحه الفرزدق الشاعر المعروف بعدم الخروج فلم يطعه[٢].

عبيد الله بن زياد يتأهب لمواجهة الحسين:

بلغ عبيد الله بن زياد -قبَّحَهُ الله- مسير الحسين وهو بالبصرة، فخرج على بغاله هو واثنا عشر رجلاً حتى قدموا الكوفة، فاعتقد أهل الكوفة أنه الحسين بن على، وهو متلثم، فجعلوا يقولون: مرحبًا ياابن بنت رسول الله ﷺ، وسار الحسين حتى نزل نهر كربلاء، وبعث إليه عبيد الله بن زياد عمر ابن سعد على جيش، وبعث عبيدالله بشِمْرَ بن ذى الجوش الأبرص، فقال: إن قتله، وإلا فاقتله، وأنت على الناس[٣] «أى رئيس».

استشهاد الحسين بكربلاء:

استشهد الحسين رضي الله عنه فى ساحة الشرف والكرامة، اجتَّز رأسه شمر بن ذى الجوش الأبرص لعنه الله، وقيل: بل أنس بن سنان النخعى -قبحه الله- قال ابن عيينة، عن أبى موسى، عن الحسن قال: قتل مع الحسين رضي الله عنه ستة عشر رجلاً من أهل بيته[٤]، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت الجن تبكى على حسين وتنوح عليه[٥].

---

(١) السابق. وورد أن ابن عباس لقيه، فقال له: أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال: العراق وشيعتى، قال: إنى لكاره لوجهك هذا، تخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك؟ حتى تركهم سخطة وملهم، أذكرك الله أن تغرر بنفسك اهـ.

(٢) قال الفرزدق: لقيت الحسين بذات عِرْق، وهو يريد الكوفة فقال لى: ما ترى أهل الكوفة صانعين معى حمل بعيرٍ من كتبهم؟ قلت: لا شىء، يخذلونك، لا تذهب إليهم، فلم يُطعنى. من سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٤ بتصرف.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٠.

(٤) السابق ٣/ ٣١٢.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمى ٩/ ١٩٩.

حجه رضي الله عنه :

روى أن حسينًا رضي الله عنه حج خمسًا وعشرين حجة ماشيًا(١) ونجائبه تقاد معه.

من أروع مواعظه رضي الله عنه :

روى أبو نعيم والطبرى والهيثمى والطبرانى بأسانيدهم عن محمد بن حسين قال: لما نزل عمر بن سعد بالحسين، أيقن أنهم قاتلوه، فقام فى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل بنا ما ترون، إن الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفها، واستمرت حتى لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن فى لقاء الله، وإنى لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برمًا(٢).

قال المؤرخون: قُتِلَ الحسين يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين، فلا رَحِمَ الله قاتله.

قيل: كان مقتله يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بموضع يقال له الطف بقرب من الكوفة(٣).

قال جعفر الصادق: وُجِدَ بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة بالسيف، وأربع وثلاثون ضربة.

---

(١) أحاسن المحاسن ص ١٤٩.

(٢) كذا فى مجمع الزوائد للهيثمى ٩/ ١٩٣، من التبرم وهو الملل والإياس والسآمة وانظر حلية الأولياء ٢/ ٣٩، وتاريخ الطبرى ٥/ ٤٠٣، وأحاسن المحاسن ١٤٩.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٤٠٥، والتذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى ٢/ ٦٦٤، وذكر القرطبى أن هذا العام (أى ٦١هـ) عام الحزن، ثم قال: قتل مع الحسين اثنان وثمانون رجلاً من الصحابة مبارزة، ثم قُتِلَ جميع بنيه إلا عليًا المسمى بعد ذلك بزين العابدين كان مريضًا، أخذ أسيراً بعد قتل أبيه، وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه رضي الله عنهم.

٣١- عبدالله بن الزبير (١)
(ت ٧٣ هـ / ٦٩٢م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو عبدالله بن الزبير بن العوام، القرشى الأسدى، أبو بكر فارس قريش وفتاها البكر، وأمه أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين.

ولادته ونشأته:

ولد الزبير بالمدينة، فكان أول مولود بالمدينة بعد هجرة المسلمين إليها، وكان بارًا بأبيه وأمه، ولد سنة اثنتين من الهجرة.

من أعماله الجليلة:

شهد عبدالله بن الزبير فتح إفريقية فى خلافة عثمان ﷺ وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة منقوشًا عليها: (محمد رسول الله) و (أمر الله بالوفاء والعدل)، وكان فارس قريش فى زمانه(٢).

حكمه ومملكته:

بويع عبدالله بن الزبير بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، وقد حكم عبدالله مصر والعراق والحجاز واليمن وطرابلس والشام، وكانت قاعدة مملكته المدينة المنورة.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٢٩/ ٤٦، وصفة الصفوة ١/ ٣٢٢، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٥١، والكامل لابن الأثير ٤/ ١٥٣، وفوات الوفيات ١/ ٢١٠، والإصابة ٢/ ٣٠٩/ ٤٦٨٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ٥/ ٣٦٧، وتاريخ الطبرى ٦/ ١٧٤، والاستيعاب ٢/ ٣٠٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٧٤، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٣٢، ٢/ ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣/ ٥٣، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢١٣، والتقريب رقم ٣٠٤، وشذرات الذهب ١/ ٤٢، ٤٤، ونهاية الأرب للنويرى ٢١/ ٨٠.

(١) ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٤، وفيه أيضًا ورد: بويع بالخلافة فى سنة أربع وستين، وتوفى رسول الله ﷺ وله ثمان سنين وأربعة أشهر. اهـ بتصرف منه ٣٨٣.

روايتـه:

رُوِيَ لعبدالله بن الزبير ثلاثة وثلاثون حـديثًا صحيحًا متفـقًا عليها عند الشيخين (البـخارى ومسلم)، وقد كان عبدالله ثقـة مأمونًا، كيف ذلك وهو ابن حوارى رسول الله ﷺ . . . !

شجاعتـه وبطولتـه:

كان عـبـدالله شجـاعًا وفـارسًا شجـاعًا[1]، لم يكن ينبو سـيفه عن ضريبة، فكان بذلك مضـربًا للأمثال، وقيل: كان فارس الخلـفـاء.

عابدٌ قانت خاشعٌ لله:

كان ابن الزبير قـانتًا خاشعًا لله تعالى، قـارئًا لكتاب الله، وكان يدخل فى الصلاة، فيخرج من كل شىء إليها.

كان مستـمتعًا بطهارة نفس، وسلامة صدر، ونقـاء جرثومة، وكان مع قوته وصلابته شديد التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

اشتداد شوكته:

واشتدت شـوكة عبدالله بن الزبيـر في مكة والمدينة، لكن سيطرته على دمشق لم تكن كاملة، فأشخصت إليه منها سموم الأمويين[2].

تجهيز الحجاج للقضاء على ابن الزبير:

أعد الحجـاج جيشًا كثـيفًا من المرتزقة واندفعـوا إلى مكة لمحاصرة ابن

---

(١) انظر مفاد ذلك فى أنساب الأشراف للبلاذرى ٥/ ٣٦٤.

(٢) كانت هناك حزازات فى صدور الأمويين قبل عـبدالله بن الزبير لأنه رفض مبايعة يزيد بن معـاوية صراحة وعلنًا وفى حـضرة معـاوية رضي الله عنه نفسه. فـلما ولى الأمر عـبد الملك بن مروان أراد أن يبطش بهـذا العملاق الصنديد فعـهد إلى الحجاج بن يوسف الثـقفى بأمر القضاء على عـبدالله بن الزبير، لكن أورد ابن عساكر فى تاريخ دمـشق ٤٠٤ أن معاوية كان يلقى ابن الزبيـر فيقـول: مرحبًا بابن عـمة النبى ﷺ وابن حوارى رسول الله ﷺ ويأمر له بمائة ألف.

الزبير فلما أن كان ذلك كذلك قالت له أمه أسماء بنت أبى بكر ﵄: «إننى لأرجو أن يكون عزائى فيك حسنًا، إن سبقتنى إلى الله أو سبقتك. اللهم ارحم طول قيامه فى الليل، وظمأه فى الهواجر، وبره بأبيه وأمه».

ومما ورد فى الكامل أن الحجاج لما صدر هو وطارق بن عمرو فى خمسة آلاف، فحج بالناس، ولم يطوفا بالبيت ولا قربا النساء حتى قتل ابن الزبير فطافا عندئذ[1].

قتله:

قال البلاذرى[2]: وحُصِرَ ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين، وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة[3].

من مأثوراته ومسموعاته:

١ - قال مجاهد: كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع[4].

٢ - كان ابن الزبير يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذم حائط.

٣ - قال عمرو بن دينار: ما رأيت مصليًا قط أحسن صلاة من عبدالله ابن الزبير، وكان يسمى حمام المسجد[5].

٤ - كان يواصل الصيام سبعًا، يصوم يوم الجمعة فلا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة وبالمدينة فلا يفطر إلا بمكة.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤/ ٣٤٩. (٢) أنساب الأشراف ٥/ ٣٦٨.

(٣) راجع أيضًا تاريخ الطبرى.

(٤) أحاسن المحاسن لأبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الرقى الحنبلى ص ١٥٠ بتصرف.

(٥) السابق بتصرف.

٣٢- المِسْوَرُ بن مَخْرَمة (١)
(ت ٦٤ هـ / ٦٨٣م)

اسمه وكنيته ولقبه:

المِسْور بن مخْرمة بن نوفل بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن قصى بن كلاب، أبو عبدالرحمن(٢).

صحبة ورواية:

كان للمسور صحبة ورواية عن النبى ﷺ، وكان ملازمًا لعمر رضي الله عنه ويحفظ عنه، ومتفق على صحبته وروايته.

احترام الخوارج له:

كانت الخوارج تغشى المسور بن مخرمة وتجله وتعظمه، وقد ذكر الزبير ابن بكار نسَّابة قريش أن الخوارج كانوا يحبونه وينتحلون رأيه حتى قتل.

صائم الدهر:

كان المسور يصوم الدهر، وهذا ثابت مأثور عنه(٣).

---

(١) الإصابة ٦/٩٨/٧٩٨٧، ونسب قريش ٢٦٢، ٢٦٣، ٦٨، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٤٠، والاستيعاب ٣/٤١٦، وجمهرة أنساب العرب ١٢٩ وأنساب الأشراف للبلاذرى وأسد الغابة ٤/٣٦٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٠، وتهذيب التهذيب ١٠/١٥١، والتقريب رقم ١١٣٦، والكنى والأسماء للدولابى ١/٨٩، والكامل لابن الأثير ٣/٤٩، وشذرات ابن العماد ١/ ٧٢، والمنتظم ٥/٣٢٥، ٦/٣٢.

(٢) ويقال: أبو عثمان الزهرى ابن عاتكة أخت عبدالرحمن بن عوف.

(٣) على ماذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٢٥٤ وقال فيه: «وكان إذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعًا، وصلى ركعتين اهـ. بتصرف.

حكمته ورجاحة عقله:

كان المسور حكيمًا راجح العقل، رزين الحصاة أهلاً للمشورة والنصح، فقد أورد الذهبى فى تاريخه المشهور عن عطاء بن يزيد الليثى أن المسور بن مخرمة لحق بابن الزبير بمكة، فكان ابن الزبير لا يقطع أمرًا دونه.

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن بنت المسور أم بكر، عن أبيها أنه وجد يوم القادسية إبريقًا من ذهب، عليه الياقوت والزبرجد، فلم يدر ما هو، فلقيه فارسى، فقال: آخذه بعشرة آلاف مغرف أنه شيء، فبعث به إلى سعد ابن أبى وقاص، فنفله إياه، وقال: لاتبعه بعشرة آلاف، فباعه سعد له بمائة ألف، ودفعها إلى المسور، ولم يُخَمِّسها.

موت المسور:

لبس المسور درعه، وأبى أن يلبس المِغْفَر، وبغتة تُقبل ثلاثة أحجار، فيضرب الأول الركن، الذى يلى الحجر، فخرق الكعبة حتى تغيَّب، ثم أتبعه الثانى فى موضعه، ثم الثالث فينًا، وتكسر منه كسرة، فضربت خد المسور وصدغه الأيسر، فهشمته تهشيمًا (هشمًا) فغشِيَ عليه، واحتملته أم بكر ومولى له، وجاء الخبر ابن الزبير، فأقبل يعدو، فكان فيمن حمله، وأدركنا مصعب بن عبدالرحمن، وعبيد بن عمير، فمكث يومه لا يتكلم، فأفاق من الليل، وعهد ببعض ما يريد، وجعل عبيد بن عمير يقول: يا أبا عبدالرحمن، كيف ترى فى قتال هؤلاء؟ فقال: على ذلك قتلنا.

فكان ابن الزبير لا يفارقه فى مرضه حتى مات، فولى ابن الزبير غسله، وحمله فيمن حمله إلى (الحَجُون) وإنا لنطأ به القتلى، ونمشى بين أهل الشام، فصلوا معنا عليه.

قالت أم بكر: وُلِدَ المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين، وبها توفى لهلال ربيع الآخر سنة أربع وستين[١].

من مأثوراته ومسموعاته:

مما ورد عن المسور بن مخرمة أنه احتكر طعامًا، فرأى سحابًا من سحاب الخريف، فكرهه، فلما أصبح أتى السوق، فقال: من جاءنى وليته، فقال له عمر: (أجننت؟) يا مسور؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنى رأيت سحابًا، فكرهت ما ينفع الناس، فكرهت أن أربح فيه. فقال عمر: جزاك الله خيراً.

رضى الله عنه المسور بن مخرمة.

---

(١) وقد وهم المدائنى فزعم أنه توفى سنة ثلاث وسبعين، وهو غلط ووهم لا دليل عليه.

٣٣- أبو أيوب الأنصارى (١)
(ت ٥٢ هـ / ٦٧٢م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصارى، أصله من بنى النجار، معروف باسمه وكنيته، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو من بنى الحارث بن الخزرج.

إسلامه:

أبو أيوب الأنصارى من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان من أئمة الصحابة وشيوخهم وأعيانهم، وقد شهد بيعة العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ.

كان محبا للغزو والجهاد:

كان أبو أيوب الأنصارى محبًا للغزو والجهاد، وكان يقيم بالمدينة ثم ارتحل إلى ديار الشام ومكث بها فترة طويلة.

وقد صاحب يزيد بن معاوية فى غزوه للقسطنطينية فى حياة معاوية بن أبى سفيان.

رسول الله ﷺ ينزل فى بيته:

نزل رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب الأنصارى بالمدينة، وقد كان هذا

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/١٨٦، وحلية الأولياء، كذا فى الإصابة ٢/٨٩/٢١٥٩/ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤٩، وصحابة النبى للسيد الجميلى ص ٣٢٣، والمنتظم وفيه: خالد بن يزيد ٣/٩٥، ١٣٠، ٥/٥٧، ٢٤٩.

النزول بأمر الله تعالى، إذ إن الأنصار اعـترضوا طريق ناقته ﷺ لينزل عليهم أكثر من مرة، لكنه كان يبتسم لهم جـميعًا شاكرًا، ثم يقول: (**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**) ثم دعا الله تعالى: (**اللهم خِرْ لى واختر لى**) وأمام دار مالك ابن النجار بركت النـاقة، واستناخت عند مـوضع المنبر[1]، ثم تحللت، فنزل ﷺ عن راحلته، فـأوى إلى الظل، فأتاه أبو أيوب فقـال: يا رسول الله، إن منزلى أقرب المنازل إليك، فانقل رحلك إلىَّ، قال: (نعم).

وفاتـه:

وقد لقى ربه سنة اثنتين وخمسين للهجرة.

وصيتـه قبل موتـه:

أوصى أبو أيوب قبـيل موته يزيد بن معـاوية أن يدفن فى أبعد مسـافة ممكنة فى أرض العدو، وقد نفذ يزيد وصيته.

(١) قيل إنه عندمـا بركت به راحلته ﷺ قال: (هذا إن شاء الله المنزل) أخـرجه البخارى فى الصحيح ٤/ ٢٥٧، والنويرى فى نهـاية الأرب فى فنون الأدب ١٦/ ٣٤٤، والطبرى فى تاريخه المعروف ٢/ ٣٨١.

٣٤- سعد بن معاذ (١)
(ت ٥ هـ / ٦٢٧م)

اسمه ولقبه ونسبه:

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسى الأنصارى، من أهل المدينة، وكان سيد الأوس وكبيرهم المطاع. كـان عملاقًا طويلاً، جسيمًا وسيمًا قسيمًا.

إسلامه وجهاده:

أسلم سعد بن معاذ، وشـهد بدرًا، بل إنه حمل راية الأنصار ولواءهم يوم بدر، كذا شهد أحـدًا، وبينما فر كثير من الفرسـان عندما حمى الوطيس واشتجرت الأسنة وانكسرت شوكة المسلمين فيها بينا كانت الأمور حرجة غاية الحرج على المسلمين -ثبـت سعد بن معاذ بطلاً شجـاعًا وصنديدًا لم تلن له قناة، ولم تنكسر له شوكة.

استشهاده:

استشهد سعد بن معاذ يوم الخندق إذ رُمِىَ بسهم أحدث به جراحة مات على إثرها(٢)، وقد حزن عليه النبى ﷺ حزنًا شديدًا.

---

(١) الإصابة ٣/ ٨٧/ ٣١٩٧، والطبقـات الكبرى ٣/ ١٢، وصفة الصـفوة ١/ ١٨٠، وأحاسن المحاسن وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٧١، ٢٨٧.

(٢) روى البلاذرى أن حبـان بن العرقـة رمى سعد بن مـعاذ يوم الخندق بسهم، فـانتقض به جرحـه منه بعد انقضـاء أمر بنى قريظة، فـمات، وكان حبـان بن العرقة لما رمـاه قال: خذهـا وأنا ابن العرقـة، فقـال رسول الله ﷺ: (عرق الله وجـهك فى النار). أنساب الأشراف ١/ ٣٤٧.

فضائله ومناقبه:

حسبه أن قال فيه رسول الله ﷺ: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ)(١).

من أجل مواقفه وأروع حكمته:

عندما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق زحف إلى بنى قريظة، فحصرهم وأحصرهم حتى نزلوا على حكمه، فحكمَّ فيهم سعد بن معاذ، وحكم سعد بن معاذ عليهم بقتل من جرت عليه الموسى، وسبى الذرية والنساء، وقسمة أموالهم بين المسلمين، هذا ما انتهى إليه سعد، وقد أجازه النبى ﷺ، وقال لسعد: **(لقد حكمت فيهم بحكم الله)**، وقد ورد أن قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾(٢).

قال بعض العلماء: نزلت فى بنى قريظة، وذهب قوم إلى أنها نزلت فى بنى قينقاع.

---

(١) كانت غزوة بنى قريظة فى بضع ليال من ذى القعدة، وليالٍ من ذى الحجة سنة خمس للهجرة، وكان خليفة رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكّتوم. انظر أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٤٧.

(٢) الأنفال: ٥٨. راجع تفسير جامع البيان للطبرى ١٠/ ١٩، وتفسير القرطبى ٨/ ٣٢، والتفسير الكبير للفخر الرازى ١٥/ ١٦٣.

٣٥- أبى بن كعب (١)
(ت ٢١ هـ / ٦٤٢م)

اسمه ولقبه وكنيته:

أبى بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجى، أبو المنذر، الخزرجى، النجارى (من بنى النجار) كان أحد أحبار اليهود فى الجاهلية ومن علمائهم الثقاة الموثوق بهم لكونه عالمًا جليلاً.

ثقافته وعلمه:

كان أبى عالمًا موسوعيًا متعدد الثقافة، فقد كان مطلعًا على أسفار وكتب الأقدمين عارفًا بأحوالهم وعقائدهم.

منزلته فى الإسلام:

أسلم أبى بن كعب، وحسن إسلامه، وكان كاتب الوحى وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان مفتيًا فى عهد النبى ﷺ، وكانت له فتاوى دقيقة واجتهادات قيمة سائغة، وكان ممن جمع القرآن(٢).

شهادة النبى وعمر له:

لو لم يكن له إلا ثناء النبى ﷺ عليه لكفاه فخرًا ومجدًا وعلو قدر ورقى مرتبة.

---

(١) صفة الصفوة ١/١٨٨ وحلية الأولياء ١/ ٢٥٠، والطبقات الكبرى ١/ ٨٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣١٤، ٣٤٤، والمعارف لابن قتيبة وحلية الأولياء ١/ ٢٥٠/٣٩، والإصابة ١/١٦/٣٢، وتاريخ اليعقوبى ٢/١٣٨، والاستيعاب ١/١٩، وأسد الغابة ١/ ٤٩، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩/ ٨٢، ونهاية الأرب للنويرى ١٩/ ٣٦٣.

(٢) قال أنس: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبى، ومعاذ،=

قال رسول الله ﷺ: (أقرأ أمتى أبى بن كعب)(١)، وقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أبى سيد المسلمين»، وقد توفى رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين للهجرة وقيل سنة عشرين.

اسمه ونسبه فى الملأ الأعلى:

قال له رسول الله ﷺ: (هذا أبى بن كعب، إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن) فسأله أبى: يارسول الله -بأبى أنت وأمى- وهل ذُكِرْتُ لك باسمى؟ فأجاب النبى ﷺ: (نعم، باسمك، ونسبك فى الملأ الأعلى)(٢).

من روائع مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١ - عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الله عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فتمسه النار.

٢ - اتخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًا وحكمًا، فإنه الذى استخلف فيكم رسولكم شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم.

٣ - ما من عبد ترك شيئًا لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خيرٌ منه من حيث لا يحتسب.

=وزيد بن ثابت، وأبو زيد أعد عمومتى. (البخارى ٦/ ١٠٢، ومسلم ٢٤٦٥ والترمذى فى جامعه الصحيح ٢٤٦٥).

(١) الترمذى فى جامعه الصحيح ٣٧٩٣، وابن ماجه فى المقدمة ١٥٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البخارى ٤/ ٢٢٨، ومسلم ٢٤٥، والترمذى ٣٧٩٥، وأحمد فى المسند ٣/ ١٣٧، ٢١٨، ٢٣٣، وحلية الأولياء ١/ ٢٥١.

٣٦- معاذ بن جبل (١)
(ت ١٨ هـ / ٦٣٩م)

اسمه ولقبه وكنيته:

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدىّ الأنصارى، الخزرجى، أبو عبدالرحمن.

صفاته وخصاله:

كان طوالاً أبيض، وحسن الثغر عظيم العينين جعدًا (البلاذرى ١/ ٣٤٧)، كان معاذ حسن السمت، مشرق الوجه، طلق المحيا، مبرور النفس، واسع الصدر والحلم، جليل القدر والعلم، سمح جواد، حاضر البديهة، ذو حافظة واعية، وسليقة فطرية.

كان أعلم الأمة بحلال وحرام، قال رسول الله ﷺ: **(أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل)**(٢).

إسلامه:

أسلم معاذ مبكرًا وهو فتى صغير(٣)، وكان لفصاحته وعلو همته

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ١٢٠، والإصابة ٨٠٣٩، وصفة الصفوة ١/ ١٩٥، وأسد الغابة ٤/ ٣٧٦، وحلية الأولياء ١/ ٢٢٨/ ٣٦، والاستيعاب ٣/ ٣٥٥، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٦٤، ٥٣٠، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٨٠ وشذرات الذهب ١/ ٢٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٦، والتقريب رقم ١١٩١ ونهاية الأرب فى فنون الأدب ١٩/ ٣٥٥ وتذكرة الحفاظ ١/ ١٩/ ٨، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣/ ٨٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٢٨، والترمذى ٣٧٩٣، وابن ماجه فى المقدمة ١٥٤، وأحمد فى المسند ٣/ ٢٨١.

(٣) كان عند إسلامه ابن ثمانى عشرة سنة، قد شيعه رسول الله ﷺ ماشيًا حين بعثه إلى اليمن، ومعاذ ﷺ راكب.

وحكمته قد اختير مع من اختير لجمع القرآن على عهد النبى ﷺ، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين جعفر بن أبى طالب.

شهوده المشاهد كلها:

شهد معاذ بن جبل المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها، ولكونها نفسًا مرضية، وطبيعة نقية، فلابد أن يكون وراء كل خير، وخلف كل تسديد وتوفيق وتمكين.

إنها كانت وراء هذا الفتى الدارج ووراء انشراح صدره لهذا الدين القيم[١]. لقد شهد بيعة العقبة الثانية مع الأنصار السبعين[٢].

مبعوث النبى ﷺ لأهل اليمن:

بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن قاضيًا ومرشدًا، وقد قال لهم فى مكتوبه إليهم: (إنى بعثت إليكم خير أهلى).

ثم بعد أن توفى رسول الله ﷺ، عاد معاذ أدراجه، واستقر فى المدينة، ثم صحب أبا عبيدة عامر بن الجراح فى غزو الشام ولكن لما أصيب أبو عبيدة فى «طاعون عمواس» استخلف معاذًا، وقد أقره عمر على ذلك.

كان معاذ بفطرته مؤهلاً لأن يقود الجماعة بحكمة وأناة وذكاء وعلم وفقه، وهذه هى السياسة فى أعلى مجاليها.

رسول رسول الله:

عندما قرر رسول الله ﷺ أن يبعث معاذًا قاضيًا إلى اليمن، أراد أن

---

(١) وقد أثنى عليه الصحابة لثناء رسول الله ﷺ عليه، وقد قال شهر: كان أصحاب رسول رسول الله ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ رضي الله عنه نظروا إليه هيبة له. الحلية ١/ ٢٣١.

(٢) وقيل إنه استشهد هو وابنه فى طاعون عمواس، وأصيب بابنه عبدالرحمن قبله (فتوح الشام للأزدى ص ٢٦٨، ٢٦٩).

يختبره ويبلو علمه وتصرفه فقال له: «**كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضى بما فى كتاب الله، قال: «**فإن لم يكن فى كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم يكن فى سنة رسول الله؟**» قال: أجتهد رأى ولا آلو. قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدرى، ثم قال: «**الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله**»(١).

وفاته:

توفى معاذ بن جبل وله ثلاث وثلاثون سنة(٢).

من مأثوراته ومسموعاته:

١- أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب ولبسن رياط الشام، وعصب اليمن، فأتعبن الغنى وكَلَّفن الفقير ما لايجد.

٢ - عند موته قال معاذ: مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائر مغب حبيب جاء على فاقة، اللهم إنى كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

٣ - كان يقول فى تهجده: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم وأنت حى قيوم، اللهم طلبى للجنة بطىء، وهربى من النار بطىء (ضعيف) اللهم اجعل لى عندك هدى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢، والإمام الترمذى فى جامعه الصحيح ١٣٢٧، ١٣٢٨.

(٢) قال سعيد بن المسيب: رفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقال ابن سعد: ثمان وثلاثون سنة.

٣٧- سعد بن عبادة [١]
(ت ١٤ هـ / ٦٣٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى الخزرجى، أبو ثابت، وقيل أيضًا أبو قيس، وأمه عمرة بنت مسعود لها صحبة، وماتت فى زمن النبى ﷺ سنة خمس للهجرة، سيد أهل الخزرج، من أهل المدينة، ومن أعيانهم المبرزين كان مسموع الكلمة، مشخوصًا إليه.

إسلامه:

أسلم سعد بن عبادة وشهد بيعة العقبة مع السبعين أنصاريًا، كما شهد أحدًا والمشاهد كلها، كذا كان أحد النقباء الاثنى عشر[٢].

تشوفه إلى الخلافة لشرفه بين الأنصار:

كان سعد بن عبادة سيدًا فى قومه عليهم له الأيادى الطوال، فلم يكن يخفى فضله عند أحد ولا على أحد، لكونه ثريًا معطاء، ماله مبذول للصادر والوارد، فلما أنعم الله عليه بالإسلام وضع بين يدى الإسلام والمسلمين ثروته الطائلة، لم يدخر شيئًا، وكيف يرى ضنينًا بشىء من متاع الدنيا، وهو لم يبخل بنفسه، فلم يتخل عن الجهاد فى الغزوات بنفسه وحشاشة قلبه؟؟

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ٨٤، وصفة الصفوة ١/ ٢٠٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٤٢، والإصابة ٣/ ٨٠/ ٣١٦٧، وأنساب الأشراف ١/ ١٧٧، ٢٥٠، والاستيعاب لابن عبدالبر ٢/ ٣٥، وما بعدها وأسد الغابة ٢/ ٣٥٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٠/ ٥٥، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ٨٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٥/ ٨٨٣، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢٨، وأحاسن المحاسن ١٠٨، وحلية الأولياء لأبى نعيم، والمنتظم لابن الجوزى ١/ ٢٠٠، ٢٠٧.

(٢) ثم إنه كان من تشريفه وتكريمه أن أعطاه النبى ﷺ راية الأنصار، كما كانت راية المهاجرين مع على بن أبى طالب.

فيه يصدق قول الشاعر العربى:

يجـود بـالنفس إن ضنَّ الجـواد بهـا
والجـود بالنفس أقـصى غـاية الجـود

كـانت جـفنة سـعـد بن عـبـادة تدور مع رسـول الله ﷺ فى بيـوته جميـعًا[(١)]. إن من يبذل النفـيس المضنون به، لا يمكن أن يضن بالنفس لا سيـما إن كان البـاذل مثل سعـد بن عبادة، والمبـذول لأجله هو الإسلام دين القيمة[(٢)]. من ثم كان هذا الشرف الرفيع والجـود المنقطع النظير دافعًا له لكى يتشوق ويتشوف إلى الخـلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى إنه لم يبايع أبا بكر. ثم جاء عـمر بعد أبى بكـر، فلم يحتمل سـعد الوضع، فتـحول إلى أرض حوران[(٣)] بالشام.

وفـاتــه:

وفى غربته فى حوران وافته المنية سنة أربع عشرة للهجرة، فرضى الله عنه.

من مأثوراته الجليلة:

ذكر ابن الجـوزى فى صفة الصـفوة أن جفنـة ثريد من سعد بن عـبادة تدور مع رسول الله ﷺ أينمـا دار مع نسائه، وكـان يدعـو: اللهم هب لى حمدًا، وهب لى مـجدًا، فلا مجد إلا بفعـال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى القليل، ولا أصلح عليه.

---

(١) وقد دعا له النبى ﷺ: **(اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة)** أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٤٢١.

(٢) وكان الرجل ينطلق من الأنصار بالواحد أو بالاثنين أو بالثـلاثة من إخوته من المهاجرين، وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانية.

(٣) حوران: محافظة فى سوريا، مركزها درعا. لها قضاءان: أذرع وفيق.

٣٨- العباس بن عبدالمطلب [1]
(ت ٣٢ هـ / ٦٥٣م)

اسمه ولقبه وكنيته:

العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، القرشى، الهاشمى عم رسول الله ﷺ، وهو أبو الفضل. أمه نتيلة بنت جناب بن كلب.

ولادته:

ولد العباس قبل رسول الله ﷺ بسنتين اثنتين أو ثلاث، وضاع من أمه صغيرًا، فنذرت إن وجدته أن تكسُوَ البيت، فوجدته فكست البيت الحرير، فهى أول من كساه ذلك.

منزلته فى الجاهلية:

كانت إليه فى الجاهلية السفارة والعمارة، وقد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يُسلم وشهد بدرًا مع المشركين، وأخذه المسلمون أخيذًا (أسيرًا) فافتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبى طالب.

إسلامه:

أسلم العباس بعد رجوعه إلى مكة، وكتم إسلامه، وقيل قومه كتموا إسلامه.

---

(١) المعين فى طبقات المحدثين ٢٣/رقم ٦٨، تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٢٩، وصفة الصفوة ١/ ٢٠٣، وأنساب الأشراف فى مواضع عديدة من أقسامه المختلفة وفتوح البلدان للبلاذرى والإصابة لابن حجر ٤/ ٣٠/ ٤٤٩٨، والاستيعاب لابن عبدالبر ٢/ ٨١٠، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٤٨، وأسد الغابة ٣/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٧٨/ ١١، وتاريخ الخميس للديار بكرى ١/ ١٦٥، ونهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٩/ ٤٤٩، والمنتظم لابن الجوزى ٤/ ٤٥، ٥٢، ٥/ ٣٥-٣٨.

صفاته ومناقبه:

كان العباس أبيض بضًّا جميلاً وسيمًا قسيمًا فـخمًا مهيبًا، وكان شريفًا نبيلاً، عزيزًا، وكان له ثوب لعـارى بنى هاشم، وجفنة ثريد لجائعهم، فكان يمنع الجار، ويحمي الذمار، ويبذل المال، كما كان نديم أبي سفيان بن حرب في الجاهلية[١].

قال رسول الله ﷺ: (**اطمئن ياعم، فإنك خاتم المهاجرين كما أنا خاتم النبين**)[٢]، وقال: (**هذا العباس عم نبيكم أجود قريش كفًّا وأوصلها**)[٣].
قال علي بن عبدالله بن العباس: أعتق العباس عند موته سبعين مملوكًا[٤].

وفاته:

توفي العباس سنة اثنتيـن وثلاثين وقيل: ثلاث وثلاثين ولعل الأول هو الصحيح.

من مواقفه المأثورة:

عن أنس رضي الله عنه أنهم كـانوا إذا قحطوا على عـهد عمـر خرج بالعـباس رضي الله عنه فاستـسقي به، فقال عـمر: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبـينا إذا قحطوا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[٥].

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٣١.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٣٥.
(٣) أخـرجه النسـائي في سننه كـذا أخرجـه أحـمد في المسنـد ١/ ١٨٥ بنحوه والحـاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٨، ٣٢٩.
(٤) تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٥٣.
(٥) البخاري في الصحيح ٢/ ٧٥/ ١٠١٠، ٥/ ٩١/ ٣٧١٠ «فتح».

٣٩- أسامة بن زيد (١)
(ت ٥٤ هـ / ٦٧٤م)

اسمه ولقبه وكنيته:

أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة، الحب بن الحب، يكنى أبا محمد، ويقال: أبو زيد، وأمه أم أيمن حاضنة النبى ﷺ.

أبوه زيد بن حارثة:

كان أبوه زيد بن حارثة الذى كان النبى ﷺ تبناه، ثم أبطل الله هذا التبنى بقوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ فزوجه النبى ﷺ بابنة عمته زينب بنت جحش ليرفع درجته لكن لم يتم المطلوب فطلقها، ثم تزوجها رسول الله ﷺ بعده بأمر الله تعالى لتصير أمًا للمؤمنين.

ثم ولد أسامة بمكة سنة سبع قبل الهجرة، فلما كان أبوه من السابقين الأولين إلى الإسلام، كان أسامة قد تربى ونشأ فى عبق النبوة، وتنسم هواء التوحيد، فلما أن شب عن الطوق وجد الإسلام قد خالط لحمه ودمه، بل تمكن من سويداء قلبه.

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/٤٢، والإصابة لابن حجر ١/٢٩/٨٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٩١، وتاريخ اليعقوبى ٢/٧٦، ٨٧، وتاريخ الطبرى ٣/٢٢٥، وما بعدها، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/٥٢١/٥٨، وفتوح البلدان للبلاذرى ٣٣٥، والاستيعاب ١/٥٧، وأسد الغابة لابن الأثير ١/٦٤، وتهذيب التهذيب ١/٢٠٨/٣٩١، والكنى والأسماء للدولابى ١/٣١، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩٦/١٠٤، والمنتظم ٤/٤٥، ٧٤.

حب رسول الله ﷺ لأسامة:

كان رسول الله ﷺ يحبه ويحدب عليه حبه للحسن والحسين رضي الله عنهما وقد أمَّره رسول الله ﷺ ولما يبلغ العشرين من عمره(١) لكونه سديدًا، مؤهلاً لذلك.

قال رسول الله ﷺ: (**من كان يُحبُّ الله ورسوله فليُحبَّ أسامة**)(٢).

وعندما سرقت المخزومية وأهمَّ قريشًا أمرها قيل: من يجترئ يكلم رسول الله ﷺ فيها إلا حِبّ رسول الله أسامة(٣).

عمر يحب أسامة لحب رسول الله له:

فرض عمر لأسامة ثلاثة آلاف وخمسمائة(٤).

وفاته:

توفى أسامة سنة أربع وخمسين، وقيل: مات فى آخر خلافة معاوية بالمدينة.

من مواقفه ولطائفه:

قال ابن سيرين: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان ألف درهم، فعمد أسامة إلى نخلة فبقرها، فأخرج جُمَّارها، فأطعمه أمه، فقيل له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم، قال: إن أمى سألتنيه، ولا تسألنى شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها(٥).

---

(١) فى المغازى ٨/ ١١٥ أن النبى ﷺ أمَّرَ أسامة على جيش فيهم أبو بكر، وله ثمان عشرة سنة، وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ١٨٤.

(٢) حديث صحيح غريب.

(٣) البخارى ١٢/ ٧٧ ومسلم ١٦٨٨، وأبو داود ٤/ ٥٣٧/ ٤٣٧٣، والترمذى ١٤٣٠، وابن ماجه ٢٥٤٧، والنسائى ٨/ ٧٣ وغيرهم.

(٤) الترمذى ٣٨١٣، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٥) أحاسن المحاسن ص ١٠٨.

٤٠- سلمان الفارسى(١)
(ت ٣٦ هـ / ٦٥٦م)

اسمه ولقبه وكنيته:

سلمان الفارسى، أبو عبدالله، يقال له: سلمان بن الإسلام أو سلمان الخير، أصله من رام هرمز، وقيل: من أصبهان وقيل: من مجوسى أصبهان.

نشأته:

ولد ونشأ فى قرية جيان، ثم رحل إلى ديار الشام، ثم الموصل، ثم نصيبين، ثم عمورية، وكان ذا صحة وعافية وقوة فى البدن.

قرأ سلمان كثيرًا فى كتب الفرس والروم واليهود، كما عمد إلى بلاد العرب، فاسترقه قوم من بنى كلب، ثم بيع إلى رجل من قريظة جاء به إلى المدينة.

إسلامه:

ما أن سمع عن الإسلام حتى أسلم قياده لله تعالى(٢)، ودخل فى الدين مطمئنًا مرضيًا وبمعونة إخوانه المسلمين افتدى نفسه واشتراها من سيده بالمدينة، وكانت له أدواره المشهودة فى الإسلام(٣).

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/٥٣، وصفة الصفوة ١/ ٢١٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/١٨٨، وحلية الأولياء ١/ ١٨٥، ومروج الذهب للمسعودى ١/ ٣٢٠، والإصابة ٣/١١٣/ ٣٣٥٠، وأسد الغابة ٢/٣٢٨، والاستيعاب ٢/ ٥٦، وحلية الأولياء ١/١٨٥/ ٣٤، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٧٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥/٩١، وشذرات الذهب ١/ ٤٤، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٤٣ وصحابة النبى للسيد الجميلى ص ٨٣.

(٢) ذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ، فلقيه بقباء، وأعلن إسلامه، وسمع منه، وظل فى معيته أيامًا.

(٣) عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (سلمان سابق الفرس) تهذيب ابن حجر ٦/ ١٩٩، وحلية الأولياء ١/ ١٨٥، وحسنه السيوطى ١/ ٢٨٩/ ٤٦٩٧.

آراؤه السديدة:

كانت آراؤه السديدة لافتة للأنظار، ومحلاً للاحترام والتقدير، فكان رأيه الحكيم فى حفر الخندق[١]، فى غزوة الأحزاب.

سلمان من أهل البيت:

تنازع المهاجرون والأنصار حول سلمان، كل من الفريقين يقول: سلمان منا، لكن رسول الله ﷺ حسم الأمر بقوله الفصل الذى ينطوى على دلالة إيمانية فى غاية الأهمية فقال: (**سلمان منا أهل البيت**)[٢]، وقال ﷺ: (**إن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إليها**)[٣].

عنده علم الكتاب:

قال قتادة: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] هو سلمان، وعبدالله بن سلام[٤].

وقال معاذ: التمسوا العلم عند أربعة: أبى الدرداء، وسلمان وابن مسعود، وعبدالله بن سلام.

وفاته:

توفى سلمان عن مائتين وخمسين سنة، وقيل أكثر من ذلك.

---

(١) قال الواقدى: إن أول غزوة غزاها سلمان الفارسى الخندق. من الطبقات الكبرى ٦/ ١٧.

(٢) أخرجه الطبرانى والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٩٨، عن عمرو بن عوف وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩/ ٤٦٩٦.

(٣) تهذيب ابن عساكر ٦/ ٢٠١، وفيه ١٦/ ٩٦: وقال على: سلمان أدرك العلم الأول والعلم الآخر، بحر لا يدرك قعره وهو منا أهل البيت.

(٤) تفسير الطبرى ١٣/ ١٧٠، والقرطبى ٩/ ٣٣٥.

من مواقفه المشهودة:

من مواقف سلمان المشهودة وصيته ﷺ عند موته، إذ قال لصاحبة منزله: هَلُمِّى خُبِيَّتى (أى الشيء الذى خبَّأه)، فجاءته بصرة من مسك، فقال لها: ائتينى بقدح فيه ماء، قال: فجاءت بقدح فيه ماء، قال: فطرح المسك فيه ثم أماثه «أى خلطه» ثم قال لها: انضحيه حولى، فإنه يحضرنى خلق من خلق الله عز وجل يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، قالت: ففعلت، فقال لها: أجيفى (ردى) علىَّ الباب ثم انزلى، فما هى إلا لحظات حتى مات.

٤١- أبو موسى الأشعرى(١)
(ت ٤٤ هـ / ٦٦٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، أصله من بنى الأشعر من قحطان.

نشأته:

ولد فى زبيدة باليمن سنة إحدى وعشرين قبل الهجرة، وقد تميز بحسن السيرة وسلامة الباطن، وهدوء الطبيعة وذكاء الفطرة.

إسلامه:

جاء أبو موسى ومعه نجو خمسين رجلاً من اليمن(٢)، وهؤلاء سماهم النبى ﷺ بالأشعريين نسبة إلى أبى موسى الأشعرى فقال فيهم: **(أتاكم أهل اليمن، فهم أرق قلوبًا، وألين أفئدة)**(٣)، وقال: **(الدين يمان والحكمة يمانية)**.

---

(١) حلية الأولياء ١/٢٥٦/ ٤٠، وصفة الصفوة ١/ ٢٢٥، وأحاسن المحاسن ص١١٧، والإصابة ٤/١١٩/٤٨٨٩، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٢، ١٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٣، وشذرات الذهب ١/ ٢٩، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٦٢/٦٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٠/ ٨٢، وأنساب الأشراف ١/ ٢٠١، وأخبار القضاة لوكيع بن الجراح ١/٢٨٣، والمنتظم ٤/٢٨١، ٣٠٧.

(٢) تاريخ دمشق ٤٤٦.

(٣) وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **(يقدم عليكم غدًا قومٌ أرق قلوبًا للإسلام منكم)** قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى، فلما قدموا المدينة ودنوا منها جعلوا يرتجزون:
غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه
فلما أن قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة. مسند الإمام أحمد ٣/١٠٥، ١٥٥.

استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن:

وقد استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن كما استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة والبصرة.

كان أبو موسى من فضلاء الصحابة وأكابرهم.

فتوحاته:

فتحت أصبهان على يد أبى موسى، كذا فتح تُسْتَر[١] وغيرها. وفى موقعة تستر هزم جيش الفرس بقيادة الهرمزان، فكان نصره نصرًا عزيزًا مؤزرًا للإسلام والمسلمين.

التحكيم بين على ومعاوية رضي الله عنهما:

كلنا يعرف خدعة التحكيم بين على ومعاوية التى خدع فيها عمرو بن العاص (ممثل معاوية فى التحكيم) أبا موسى الأشعرى (ممثل على بن أبى طالب) وقد بسطنا القول مفصلاً فى كتابنا: «صحابة النبى ﷺ»[٢].

منزلته ودعاء النبى ﷺ له:

قال رسول الله ﷺ: (لقد أتى أبو موسى من مزامير آل داود)[٣]، وقال: (اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا)[٤].

---

(١) راجع فتوح البلدان للبلاذرى ٤٦٠. وأصبهان: هى أصفهان مدينة فى إيران بين شيراز وطهران، وتُسْتَر: مدينة فى غربى إيران فى ولاية خوزستان.

(٢) صفحة ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) أحمد فى المسند ٢/ ٤٥٠.

(٤) حديث صحيح متفق عليه عند البخارى ٨/ ٣٤، ومسلم ٢٤٩٨.

وفاته:

وقد توفى سنة أربع وأربعين ﷺ.

وصية أبى موسى عند وفاته:

لما حضرت أبا موسى الوفاة، دعا فتيانه فقال: اذهبوا، فاحفروا لى وأعمقوا فإنه كان يستحب العمق، قال: فجاء الحفرة فقالوا: قد حفرنا فقال: اجلسوا بى، فوالذى نفسى بيده إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعن قبرى حتى تكون كل زواية أربعين ذراعًا، وليفتحن لى باب من أبواب الجنة؛ فلأنظرن إلى منزلى فيها وأزواجى، وما أعد الله عز وجل لى فيها من النعيم، ثم لأنا أهدى إلى منزلى فى الجنة منى اليوم إلى أهلى وليصيبنى من روحها وريحانها حتى أبعث.

٤٢- عبدالله بن عمر (١)
(ت ٧٣ هـ / ٦٩٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى أبو عبدالرحمن، وأمه زينب بنت مظعون الجمحية، من الصحابة الفضلاء ومن أكابر قريش حسبًا ونسبًا.

مولده ونشأته:

ولد عبدالله سنة ثلاث من المبعث النبوى، فيما جزم وقطع به نسَّابة قريش الزبير بن بكار قال: إنه أسلم وهاجر وهو ابن عشر سنين(٢).

إسلامه وهجرته:

كما ذكرنا أسلم عبدالله مع أبيه وهاجر معه، وعرض على النبى ﷺ ببدر فاستصغره، ثم بأحد، فكذلك، ثم بالخندق فأجازه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة، وشهد فتح مكة.

صفاته وشمائله:

كان رضي الله عنه قدوة صالحة طيبة مبرورة من التواضع والحلم والورع والخشية والإخبات والتمسك بالقيم السامية والعمل المحوض.

اعتذاره عن عدم قبول القضاء:

اعتذر ابن عمر عن عدم قبول منصب القضاء، وأصر على موقفه،

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٩٢/ ٤٤، وصفة الصفوة ١/ ٢٢٨، وأحاسن المحاسن لأبى إسحاق بن إبراهيم الرقى الحنبلى ص ١١٩، وتهذيب الأسماء ١/ ٢٧٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٢٤٦، وفيه وفاته سنة ثلاث وستين، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٠٥، وفيه وفاته سنة أربع وستين، والإصابة لابن حجر ٤/ ١٠٧/ ٤٨٢٥، والمنتظم ٤/ ٦١، ٨١، ١٨٤.

(٢) كذا ذكر الواقدى، وقال: مات سنة أربع وثمانين. اهـ، لكن ابن منده قال: كان ابن إحدى عشرة سنة ونصف، ونقل عن مالك أنه مات وله سبع وثمانون سنة، وعلى هذا يكون له فى الهجرة ثلاث عشرة سنة، وثبت أنه يوم بدر (٢هـ) كان له ثلاث عشرة سنة.

فسأله عثمان: أتعصينى؟ أجاب: «كلا، ولكنى بلغنى أن القضاة ثلاثة: قاض يقضى بجهل فهو فى النار، وقاض يقضى بهوى فهو فى النار، وقاض يجتهد ويصيب فهو كفاف، لا وزر ولا أجر، وإنى سائلك بالله أن تعفينى»، وأعفاه عثمان بعد أن استحلفه ألاَّ يخبر بهذا أحدًا.

سخاؤه وبذله:

زاد ثراؤه ويساره، فكان يقابل ذلك بزيادة مطردة فى إنفاقه فى سخاء وجود منقطع النظير، وهو بذل من لا يخشى الفقر، وقيل: إنه قد تصدق ذات يوم بأربعة آلاف درهم وقطيفة، وفى اليوم التالى رُؤِىَ فى السوق يستدين لراحلته علفًا نسيئة(١).

وفاته:

قيل توفى على الصحيح سنة ثلاث وسبعين للهجرة عن ثلاث وستين سنة وقد كان فقد بصره آخر أيامه وكان آخر من توفى بمكة من صحابته ﷺ.

روايته:

روى عبدالله بن عمر ورُوِىَ عنه، وقد ثبت أنه ورد له فى الصحيحين (٢٦٣٠) ألفان وستمائة وثلاثون حديثًا متفقًا عليها.

من لطائفه وجليل مأثوراته:

١ - قال عبدالله بن عمر: «إنى لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عامًا» وليس هذا من قبيل السقم أو الخصاصة ولكنه الورع والزهد.

٢- لو علمت أن الله تعالى تقبل منى سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غائبٌ أحب إلى من الموت، إنما يتقبل الله من المتقين(٢).

٣ - فى مرض موته قال: ما آسى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأنى لم أقاتل هذه الفئة الباغية التى نزلت بنا (يعنى الحجاج). رضى الله عن عبدالله بن عمر.

---

(١) قال ميمون بن مهران: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار فى مجلس فلم يقم حتى فرقها. أحاسن المحاسن ص ١٢٠.

(٢) قال جابر بن عبدالله: ما أدركنا أحدًا إلا وقد مالت به الدنيا ومال بها إلا عبدالله بن عمر.

٤٣- حنظلة بن أبى عامر[١] الراهب
(ت ٣ هـ / ٦٢٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

حنظلة بن أبى عامر (الراهب) ابن صيفى بن مالك بن أمية بن ضبيعة ابن زيد بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة الأنصارى الأوسى، وهو المعروف بغسيل الملائكة.

أبوه عمرو الراهب:

كان أبو حنظلة معروفًا فى الجاهلية باسم الراهب، وقيل: عمرو، وقيل: عبد عمرو، وكان مجاهرًا بالعداء للإسلام حاسدًا للنبى ﷺ، وكان مشايعًا لقريشٍ فى أحد، ثم رجع إلى مكة، ثم خرج إلى الروم فمات بها[٢].

إسلام حنظلة واستشهاده بأحد:

أسلم حنظلة وحسن إسلامه، ولم يختلف أحد حول استشهاده بأحد سنة ثلاث للهجرة.

وقد استأذن رسول الله ﷺ فى قتل أبيه فنهاه عن ذلك[٣].

---

(١) الإصابة ٢/ ١٨٥٩/٤٤، وتاريخ الإسلام للذهبى، كتاب المغازى ٢/ ١٨٩، ٢٠١، والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢، ٧٩، وأحاسن المحاسن ص ١٢٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٦١، ٨١، والمنتظم فى تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزى ٣/ ١٨٤، ١٨٥، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢/ ١٨٩.

(٢) واختلف فى تاريخ موته، فقيل سنة تسع، وقيل سنة عشر.

(٣) قيل إنه نادى فى الناس: أنا أبو عامر، فقالت له الأنصار: لا مرحبًا بك ولا أهلاً يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومى بعدى شر. أنساب الأشراف ١/ ٣٢٠ بتصرف.

من أمارات النبوة وأشراطها أنه لما خرج إلى أحد وهو جُنُبٌ عندما سمع الهامعة فاستشهد فيها، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **(إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته)** فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهامعة[1]، لا يتمالك من الزماع (أى العزم) وحب لقاء المشركين[2].

قتل حنظلة بن أبى عامر، الأسود بن شعوب، فوقف عليه أبوه وهو مع المشركين، فرآه ورأى حمزة وعبدالله بن جحش وقد مُثِّلَ بهما فقال: إن كنتُ لأنهاك عن هذا الرجل، وأحذرتك هذا المصرع، والله لقد كنت شريف الخلق، براً بوالديك وقد مت مع سراة أصحابك وكرام قومك، وإن جزى حمزة وغيره من أصحاب محمد خيراً، فجزاك الله خيراً... يامعاشر قريش: لا تمثلوا بحنظلة، وإن كان قد خالفكم وخالفنى، فلم يمثل به.

من أروع المأثورات عنه:

ذكر ابن الجوزى فى صفة الصفوة، وغيره أن حنظلة لما استشهد بأحد قال رسول الله ﷺ: **(إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة)**. قال أبو أسيد الساعدى: فذهبنا، فنظرنا إليه، فإذا رأسه يقطر ماءً، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأرسل إلى امرأته، فسألها، فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم: بنو غسيل الملائكة.

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٣٢٠ بتصرف وزيادة، وفى تاريخ الذهبى «الهيعة».

(٢) أنساب الأشراف ١/ ٣٢٩، ٣٣٠، وانظر أيضًا تاريخ الطبرى ٢/ ٥٢٢.

٤٤- البراء بن مالك[١]
(ت ٢٠ هـ / ٦٤١م)

اسمه ولقبه وكنيته:

البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم، النجارى الخزرجى، أخو أنس ابن مالك[٢]، الأنصارى النجارى ﷺ، وكان كلاهما موسوما بالصدق والأمانة.

قتل مائة شخص مبارزة:

كان البراء بن مالك شجاعًا وبطلاً مغوارًا، فقد قتل مائة شخص مبارزة، وهذا وحده كفيل بالشهادة له بالبطولة الفائقة.

البراء مهلكة للجيش:

أصدر عمر بن الخطاب مكتوبًا إلى الأقطار: لا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مهلكة، يقدم بهم اهـ. فإنه لجسارته خاف عمر أن يلحق العنت بالجيوش تحت إمرته ويدفع بهم إلى الهلاك[٣].

فى معركة اليمامة:

أبلى البراء بن مالك بلاء حسنًا فى معركة اليمامة[٤] حصد فيها كثيراً من أرواح الأعداء وسحق فوارسهم، وقطف رءوسهم.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٥٠/ ٥٠، وصفة الصفوة ١/ ٢٥٦، والإصابة لابن حجر ١/ ١٤٧/ ٦١٧، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٣٨٧، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٤٩١، وفتوح البلدان له ١/ ١٠٤، والاستيعاب ١/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٩٥، والمنتظم لابن الجوزى ٤/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) خادم رسول الله ﷺ.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ١/ ١٧٢، بتصرف وزيادة.

(٤) كان ينادى فوق صهوة جواده: «يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، إنما هو الله والجنة» ثم=

معركة تستر والأهواز:

احتشد أهل الأهواز والفرس فى جيش عرمرم لمواجهة المسلمين فى «تستر»، فأرسل عمر بن الخطاب فوراً إلى أبى موسى الأشعرى وسعد بن أبى وقاص ليجند أبو موسى جيشًا من البصرة تحت إمرة سهيل بن عدى، ومعه البراء بن مالك، ثم يدفعه إلى الأهواز، ثم ليقم سعد بن أبى وقاص بالكوفة بدفع جيش من ناحيته أيضًا إلى موضع الملحمة بالأهواز.

ويبدى البراء شجاعة فائقة عندما صرع مائة مبارز من أهل الفرس، ولم تكد تنتهى المعركة حتى أسفرت عن استشهاد البطل الصنديد[(١)] المغوار.

حديث النبى ﷺ:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(كم من ضعيف متضعف ذى طمرين، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك)**[(٢)].

من مواقفه المشهودة:

ذكر ابن الجوزى فى صفة الصفوة، وصاحب أحاسن المحاسن نقلاً عنه أن البراء لقى زحفًا من المشركين وقد أوجف المشركون فى المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: **(إنك لو أقسمت على الله لأبرك)**، فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبى». فمنحوا أكتافهم، وقُتِلَ البراء[(٣)].

=يصرخ فى إخوانه أن يحملوه ويلقوه على الأعداء فى الحديقة، ففعلوا، فأدركوه وقد قتل منهم عشرة. وقيل: كان هذا يوم حرب مسيلمة الكذاب على ما ورد فى سير أعلام النبلاء ١٩٦/١.

(١) لكن صاحب الاستيعاب يخالف هذا ويزعم أنه استشهد بتستر. الاستيعاب ١٣٩/١.

(٢) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير عن البزار عن ابن مسعود بلفظ: «رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» وصححه ٢٧٠٢/٤٤٠٢.

(٣) أحاسن المحاسن ص ١٢٦.

٤٥- أبو الدرداء[١]
«عويمر بن زيد»
(ت ٣٢ هـ / ٦٥٢م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عويمرِ أبو الدرداء. . . مشهور بكنيته واسمه جميعًا، وقد اختُلِفَ فى اسمه، فقيل: هو عامرِ، وعويمر لقب، وبذلك جزم الأصمعى، وقد اختلف فى اسم أبيه، فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبدالله أو زيد. وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى.

منزلته ومكانته فى الإسلام:

أسلم أبو الدرداء عن اقتناع كامل وتدبر عاقل حكيم لكونه حصيفًا زكنًا فقيه بارًا من الحكماء النوادر والعباقرة الأفذاذ.

من ثم كان أحد الذين أنيط بهم جمع القرآن على عهد النبى ﷺ، كان أبو الدرداء عابدًا متدبرًا وعالمًا فقيهًا، وكان دائمًا يعظ أصدقائه بقوله: تفكر ساعة خيرٌ من عبادة ليلة.

تولى قضاء دمشق بأمر عمر:

ونظرًا لما انفردت شخصيته بالعديد من المناقب والمحاسن فقد عمد عمر بن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٨/ ٣٥، وصفة الصفوة ١/ ٢٥٧، وغاية النهاية ١/ ٦٠٦، والإصابة ٥/ ٤٦/ ٦١١٢، وأحاسن المحاسن للرقى ١٢٦-١٣٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٢٧١، وفتوح البلدان له ١٦٦، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٢٧، ٦٩، وشذرات الذهب ١/ ٣٩، وتهذيب التهذيب ٨/ ١٧٥/ ٣١٥، وحسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥/ ٦٨، وأسد الغابة ٥/ ١٨٥، والاستيعاب ٤/ ٥٩، والمنتظم ١/ ١٧٥، ٤/ ٣٦٤، ٥/ ١٦-١٨.

الخطاب إلى انتدابه واختيـاره ليتولى قضاء دمـشق لكونه أهلاً لذلك، وإبان توليه القضاء في الديار الشامية: كان دائمًـا يذكر الناس بقوله: « لا يكون أحدكم تقيًا حتى يكون عالمًا، ولن يكون بالعلم جميلاً حتى يكون به عاملاً»(١).

وفاته:

انتقل أبو الدرداء إلى جـوار بارئه ومولاه سنة اثنتين وثلاثين للهـجرة، وكان قد روى عنه تسعة وسبعون ومائة حديث.

من أروع مسموعاته ومأثوراته:

١- ويلٌ للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

٢- ثلاثة أحبهن ويكرهن الناس: الفقر، والمرض، والموت.

٣- أحب الموت اشتياقًا إلى ربي، وأحب الـفقر تواضعًا لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

٤- ما قَلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى.

٥- امتلكوا الدنيا بالاستغناء عنها(٢).

٦- الناس صنفان: صنف تملكهم الدنـيا وهم الساعون إلى شـهواتها، وصنف يملكونها وهم الزاهدون فيها.

٧- لا تأكل إلا طيبًا، ولا تكسب إلا طيبًا، ولا يدخل بيتك إلا طيبًا، ويقول: «الناس ثلاثة: عالم، ومتعلم، وهمج لا خير فيه».

٨- ما أهون الخلق على الله إذا تركوا امره.

---

(١) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣/ ٣٧٣، أن أبا ذر قـال: «ما أظلت الخضراء أعلم منك يا أبا الدرداء» اهـ، وكان ابن عـمر يقول: حدثونا عن العـاقلين: فيقال: من الـعاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء.

(٢) وهذا مفاد الحكمة السيارة: اطلبوا المال بعزة الأنفس.

٤٦- خالد بن الوليد [(١)]
(ت ٢١ هـ / ٦٤٢م)

اسمه ولقبه وكنيته:

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى، القرشى، سيف الله، أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، وهى أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبدالمطلب.

منزلته ودرجته:

كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل فى الجاهلية، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية[(٢)].

إسلامه:

أسلم خالد بن الوليد سنة سبع بعد خيبر، وقيل: بل قبلها، وقد وهم من زعم أنه أسلم سنة خمس.

والصحيح أنه أسلم مع عمرو بن العاص قبل فتح مكة سنة سبع، وقد كان سرور رسول الله ﷺ بإسلامه كبيراً.

---

(١) صفة الصفوة ١/٢٦٨، والإصابة ٢/٩٨/٢١٩٧، وتاريخ الخميس ٢/٢٤٧، وأسد الغابة ٢/٩٣، والاستيعاب ١/٤٠٥، والكنى والأسماء ١/٧١، وسير أعلام النبلاء ١/٣٦٦/٧٨، ونهاية الأرب للنويرى ١٩/٣٦٩، وتهذيب التهذيب ٣/١٤٢، وتاريخ الطبرى ١٠/٢٣٧، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٣٨٠، وفتوح البلدان له ٦١٦، والمنتظم لابن الجوزى ٤/٧٦-١١١.

(٢) على ما ثبت فى الصحيح من أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم فى سنة سبع بعد خيبر.

ووجهه أبو بكر لقتال المرتدين:

اختيـر خالد بن الوليد لقتـال المرتدين، اصطفاه أبو بكر[١] لهذه المهمة الصعبة، ثم تم له فتح الحيرة[٢] والسيطرة عليها تمامًا[٣].

وقد قاتل خالد المرتدين من أهل نجد، وقتل مسيلمة الكذاب.

عمـر يعزلـه:

وإبَّان قتـاله بالشام فى خلافة عـمر بن الخطاب فوجئ بعزله عـن قيادة الجيوش، وتوليـة أبى عبيدة عامر بن الجـراح مكانه، فى هدوء وثبات وطاعة ويقين نزل لأخـيه أبى عبيدة، وسلمـه مقاليد الأمـور دون وغر أو حزازة أو ضيق، ثم انخرط فى طابور الجنود مـقاتلاً عاديًا مقودًا من الأميـر المعين بأمر أمير المؤمنين.

ظل يقاتل خالد بيـن يدى أبى عبيدة حتى أتم الله لهـما الفتح بإذن الله سنة أربع عشرة[٤].

رحيله إلى المدينة:

ثم رحل إلى المدينة، ودعاه عمر بعد ذلك ليوليه فأبى.

وفـاتـه:

توفى ﷺ بحمص سنة إحدى وعشرين[٥]، وقيل توفى بالمدينة.

---

(١) قال أبو بكر فيه عرفانًا بفضله: «عجزت النساء أن يلدن مثل خالد» اهـ.

(٢) الحيرة: قاعدة الملوك اللخميين، بين النجف والكوفة بالعراق، وقد فتحها خالد بن الوليد سنة اثنتى عشرة للهجرة ٦٤٢م.

(٣) فى فتح مكة جعله رسول الله ﷺ على جناح الجيش الأيمن، ثقة به وحبًا له.

(٤) أحاسن المحاسن ص ١٣٢.

(٥) تهذيب ابن عساكر ٥/ ١١٦، تاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٢٣٢.

من روائع مأثوراته ومواقفه:

١- لما حلق رسول الله ﷺ رأسه أعطاه ناصيته، فكانت فى مقدم قلنسوته، فكان لا يلقى أحدًا إلا هزم.

٢- حكى من غسله أنه ما كان فى جسمه موضع صحيح من بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم.

٣- لما حضرته الوفاة بكى وقال: لقد بقيت كذا وكذا زحفًا وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وهأنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء.

٤- قال الأعمش عن خيثمة قال: أتى خالدًا رجل معه زق خمر، فقال: اللهم اجعله خلاًّ، فصار خلاًّ[(١)].

٥- قالوا لخالد بن الوليد: احذر الأعاجم لايسقونك السُّمَّ، فقال: ائتونى به، فأُتِىَ به، فاقتحمه، وقال: «باسم الله» فلم يضره شيئًا.

٦- لما اجتمعت نسوة من نساء بنى المغيرة فى دارٍ يبكين خالدًا، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب قال: ما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة[(٢)].

---

(١) فى سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧٦، وفى رواية: «عسلاً» بدل «خلاً».

(٢) وبموجب هذه الرواية لهذه الوقائع يستدل ويحتج القائلون بأنه مات بالمدينة وليس بحمص. لكن الراجح والمجمع عليه عند الأكثرين أنه مات بحمص.

٤٧- عبدالله بن عمرو[١]
(ت ٦٥ هـ / ٦٨٤م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هضيض بن كعب بن لؤى، القرشى السهمى، كنيته أبو محمد عند الأكثر، ويقال أبو عبدالرحمن[٢].

صفاته وخصاله:

كان عبدالله كاتبًا فى الجاهلية محسنًا مجيدًا للسريانية، وكان صادقًا مخلصًا أمينًا، كما كان شجاعًا قويًا، ومحاربًا جلدًا، كان يحارب بسيفين.

إسلامه:

أسلم عبدالله بن عمرو بن العاص قبل أبيه، وكان شديد الورع، كثير العبادة، ناسكًا زاهدًا ورعًا وتقيًا رشيدًا، شهد عبدالله الحروب والغزوات، وحمل راية أبيه فى موقعة اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة (٦٣٦م).

ومن كثرة عبادته وتحنثه وزهده، قال له رسول الله ﷺ: (**إن لبدنك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقًا**)[٣] كان صوامًا قوامًا لا تفتر له همة ولا عزيمة.

---

(١) حلية الأولياء ١/٢٨٣/٤٣، صفة الصفوة ١/٢٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤، وأحاسن المحاسن ص ١٣٢/١٣٣، والإصابة ٤/١١١/٤٨٣٨، والمنتظم لابن الجوزى ٢/٢٥٧، ٢٧٩، وأسد الغابة ٣/٣٤٨، وشذرات الذهب ١/٧٣، والعبر للذهبى ١/٧٢، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/١٦٨، ١٦٩، ٣١٣، والمنتظم ٢/٢٥٧،

(٢) حكاه ابن عباس عن ابن معين، وحكى أبو نعيم أن كنيته أبو نصرامة ريطة بنت منبه، ويقال: كان اسمه العاص فغيره النبى ﷺ.

(٣) ثم قال له ﷺ: (إنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى).

حضور صفين مع معاوية:

حضر عبدالله موقعة صفين مع معاوية التى وقعت سنة سبع وثلاثين للهجرة (٦٥٧م) وبعد هدنة مؤقتة استؤنف القتال الذى انتهى بالتحكيم.

ثم ولاَّه معاوية الكوفة: ولىَّ معاوية عبدالله بن عمرو الكوفة فترة من الزمان، لكن عبدالله لم يبايع يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه، وقيل: إنه انقطع وقتئذ للتحنث والعبادة بجهة عسقلان.

وفاته:

لما أن بلغ من عمره اثنتين وسبعين سنة دُعِيَ للقاء ربه فخف من فوره ولم يتقاعس، فغفر الله له ذنبه ورضى عنه.

من مأثوراته ومواقفه:

١ - قال عبدالله: تجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيبرزون، فيقال: ما عندكم: فيقولون: يارب، ابتليتنا فصبرنا وأنت أعلم، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، فيقال: صدقتم، ادخلوا الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال.

٢- أرواح المؤمنين فى جوف طير خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

٣- لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تقصف ظهوركم، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا.

٤ - لأن أدمع دمعة من خشية الله تعالى أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار.

٤٨- محمد بن الحنفية [١]
(ت ٨١ هـ / ٧٠٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن على بن أبى طالب، الهاشمى، القرشى، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، أخو الحسن والحسين ابنى على بيدا أن أمهما فاطمة الزهراء ﵂ ابنة رسول الله ﷺ.

وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ونسب محمد إلى أمه تميزًا له عن أخويه الحسن والحسين.

خصاله وصفاته:

كان محمد بن الحنفية فارسًا بطلاً مغوارًا، شديد الورع، مشهورًا بالزهد والتقوى، وكان واسع العلم والفقه فى الدين، كان أسود اللون قوى البدن، متين القسمات، ورد عنه أن قال: «الحسن والحسين أفضل منى، وأنا أعلم منهما»[٢].

المختار الثقفى[٣] يدعو لإمامته:

دعا المختار الثقفى إلى إمامة محمد بن الحنفية، وكان يزعم أنه المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٧٤/ ٢٣٤، صفة الصفوة ٢/ ٤٢، والمنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٦٣، ٥/ ٦٩، ١٧٥، ٦/ ٧٠، ٧١، ٧/ ١٠٣، ١٢/ ٢٩٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٦٦، وأعلام الإسلام.

(٢) أراد بذلك أن الحسن والحسين أفضل منه لقربهما من رسول الله ﷺ.

(٣) المختار الثقفى (ت٦٧هـ/ ٦٨٧م) هو ابن أبى عبيد، كان زعيمًا ثائرًا على بنى أمية، كان مشاركًا فى ثورة مسلم بن عقيل (ت٦٣هـ/ ٦٨٣م) ابن عم الحسن والحسين، فسجنه عبيدالله بن زياد، ونفاه، ثم ثار فى الكوفة مطالبًا بثأر الحسين.

فرقة الكَيْسانية[١] تزعم خلوده:

أما فرقة الكيسانية فزعمت أن محمدًا لم يمت وأنه مقيم برضوى[٢].

مولده ووفاته بالمدينة:

ولد محمد بن الحنفية بالمدينة سنة إحدى وعشرين للهجرة، وقد توفى بها سنة إحدى وثمانين للهجرة المشرفة، عن ستين عامًا.

من روائع مأثوراته ومسموعاته ولطائفه:

١- ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد بدًا من معاشرته حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا[٣].

٢- من كفَّ يده ولسانه وجلس فى بيته فإن ذنوب بنى أمية أسرع عليهم من سيوف المسلمين.

٣- كل مالا يبتغى به وجه الله يضمحل.

٤- من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.

٥ - إن الله تعالى جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

---

(١) الكَيْسانية: فرقة من الروافض، وقيل: سميت بالمختارية نسبة إلى المختار بن أبى عبيد، وتكلم عليها بالتفصيل المسعودى فى مروج الذهب ٣/ ٨٧، ومقالات الإسلاميين ١/ ٨٩، والملل والنحل للشهرستانى ١/ ١٤٧، ونسبها إلى «كَيْسان» مولى على بن أبى طالب، وفى مقالات الإسلاميين للأشعرى أن «كيْسان» كان لقبًا يطلق على محمد بن الحنفية.

(٢) رضوى: سلسلة جبال فى جنوب غربى الجزيرة العربية، قريبًا من ينبع بالسعودية، كانوا يقطعون منها الحجارة لسن السيوف.

(٣) حلية الأولياء لأبى نعيم ٣/ ١٧٥.

٤٩- سعيد بن المسيب (١)
(ت ٩٤ هـ / ٧١٣م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو سعيد بن المسيب بن حَزَن بن أبي وهب المخزومى القرشى، أبو محمد.

علمه وعمله:

سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد سنة ثلاث عشرة للهجرة (٦٣٤م) ومارس التجارة حيث كان يتجر فى الزيت، لا يأخذ عطاءً، وقد كان حافظًا فقيهًا، زاهدًا تقيًا ورعًا.

حافظ لفقه عمر وقضائه:

لم يكن أحد يساير أو يجاري سعيدًا في إحاطته وحفظه لفقه عمر بن الخطاب، فقد كان ملمًا به إلمامًا كاملاً، ولم يكن بدعًا من الأمر أن يُسَمُّوه: «راوية عمر».

التقوى تستر الصلاة:

روى أبو نعيم من طريق خالد بن داود، عن سعيد بن المسيب، قال: سألته عما يقطع الصلاة؟ قال الفجور ويسترها التقوى.

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/٨٨، وحلية الأولياء ٢/١٦١، وصفة الصفوة ٢/٤٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٠٦، والمنتظم لابن الجوزى ٣/٧٨، ٧٩، ٦/٣١٩-٣٢٦، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/٥٧٢، ١/٥٨٩، وشذرات الذهب لابن العماد ١/١٠٢، والعبر للذهبى ١/ ١١٠، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١/٢٢٨، وطبقات الفقهاء للشيرازى ٥٧.

فضائل سعيد بن المسيب:

من فضائله رضي الله عنه أنه كان صاحب عبادة، وجماعة وعفة وقناعة، وكان يرى أن العبادة هى الورع عن محارم الله وأداء فرائضه، والتفكر فى أمره جل شأنه.

إن مجمل العبادة عنده هو التفكر فى أمر الله تعالى والتفقه فى الدين.

من جليل مواقفه ولطائفه ومأثوراته:

١ - جاء رجل إلى سعيد بن المسيب وهو مريض، فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس، فحدثه، فقال الرجل: وَدِدْتُ لو أنك لم تتعن، فقال: كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

٢ - قال برد مولاه: ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد.

٣ - قال إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة.

٤- لا خير فيمن لا يجمع الدنيا ويصون بها دينه وحسبه ويصل بها رحمه.

٥- قال: أتت علىَّ أربع وثمانون سنة وما شىء أخوف عندى من النساء.

٦- ما يئس الشيطان من شىء إلا أتاه من قبل النساء.

٧- ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله عز وجل، وكفى بالمؤمن نصرة من الله تعالى أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله تعالى.

٨- من استغنى بالله تعالى افتقر إليه الناس، إن الدنيا نذلة فهى إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها ووضعها فى غير سبلها.

٩- ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تُذْكَر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

٥٠- محمد (الباقر) بن على[١]
(ت ١١٤ هـ / ٧٣٢م)

اسمه وكنيته ولقبه:

محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، الهاشمى العلوى، أبو جعفر الباقر، سيد بنى هاشم فى زمانه، خامس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، قيل ولد سنة ست وخمسين، وتوفى سنة أربع عشرة ومائة[٢].

روايته:

روى محمد عن جديه الحسن والحسين رضى الله عنهما، وعائشة، وأم سلمة، وابن عباس، وابن عمر، وأبى سعيد الخدرى، وخلق كثير من الصحابة، وروى عنه كثير من الأئمة الأعلام.

ورعه وعبادته ونسكه:

كان محمد الباقر ورعًا ناسكًا عابدًا، له آراء جليلة فى تفسير القرآن وفقه الحديث.

إخوته الأشراف:

كان له إخوة أشراف: زيد الذى صلب، وعمر، وحسين، وعبدالله بنو زين العابدين رحمهم الله جميعًا ورضى عنهم.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ٣٥٠، وتاريخ اليعقوبى ٣/ ٦٠، وصفة الصفوة ٢/ ٦٠/ ١٧١، وحلية الأولياء ٣/ ١٨٠/ ٢٣٥، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١/ ١٥٨، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/ ٣٥٦، وشذرات الذهب ١/ ١٤٩.

(٢) وقيل: سنة سبع عشرة ومائة.

من أقواله ومأثوراته ومواقفه:

١- الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر.

٢- الغنى والعـز يجولان فى قلب المؤمن، فـإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه.

٣- مـا دخل قلب امرئ شىء من الكبر إلا نقص من عـقله مثل مـا دخله من ذلك قلّ أو كثر.

٤- من دخل قلبه خالص دين الله تعالى شغله عما سواه.

٥- إن المؤمنين لم يطمـئنوا إلى الدنيـا لبقـاء فيـها، ولم يأمنوا قـدوم الآخرة عليهم، ولم يصـمهم عن ذكر الله ما سمـعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة.

٦- إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنـة، وأكثرهم لك معونة إن نسيت ذكروك، وإن ذكـرت أعانوك، قـوّالين بحق الله، قوّامـين بأمر الله عـز وجل، فـأنزل الدنيا كـمنزل نزلت به، وارتحلت عنه، أو كـمالٍ أصبتـه فى منامك، فاستيقظت، وليس معك منه شىء، واحفظ الله ما استرعاك من دينه وحكمته.

٧- والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً.

٨- إياك والكسل والضجر، فإنهمـا مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤدِّ حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

٩- كان لى صـديقٌ (أخٌ) فى عينى عظيم وكان الذى عظّمـه فى عينى صغر الدنيا فى عينه.

١٠- بئس الأخ: يرعاك غنيًا، ويقطعك فقيرًا.

٥١- عمر بن عبدالعزيز[١]
(ت ١٠١ هـ / ٧٢٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عمـر بن عبدالعـزيز بن مروان بن الحكم الأموى القـرشى، أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين عند كثير من الناس لعدله وقوة إيمانه وصلاحه، ثم للشبه بينه وبين هؤلاء الخلفاء الراشدين الأربعة المهديين.

صفاتـه:

كان نحـيف الجسم، غائر العينين، وبجـبهته أثر شـجة[٢] أبيض رقيق الوجه مليحًا.

من ملوك الدولة المروانية:

وعمـر بن عبدالعـزيز من ملوك الدولة المروانية بالشام، وكـان قد ولد ونشأ بالمدينة، وكان ولى إمارتها لـلوليد بن عبدالملك (ت٩٦هـ/ ٧١٥م) وقد ولى الخليفـة بعهد من سليمـان بن عبدالملك (ت٩٩هـ/ ٧١٧م) وهو الخليـفة الأموى السابع (٩٦هـ/ ٧١٥م).

---

(١) تهذيب التـهذيب ٧/ ٤٧٥، وحليـة الأولياء ٥/ ٢٥٣/ ٣٢٣، وتاريخ اليعـقوبى ٣/ ٤٤، وصفـة الصـفوة ٢/ ٦٣، وتاريخ الطبـرى ٨/ ١٣٧، والنجوم الزاهرة لابن تغـرى بردى ١/ ٢٤٦، وتاريخ الخـميس للديار بكرى ٢/ ٣١٤، وكـتاب عـمر بن عـبدالعـزيز لابن الجوزى بـتحـقيق السـيد الجـميلى، والمنتظم لابن الجـوزى ٢/ ٣٦٣، ٦/ ٣٠٣، ٩/ ٣٠٩، ٧/ ٦٩-٧٢، والأعلام للزركلى ٥/ ٥٠.

(٢) وكان يسـمى: أشجّ بنى أميـة، إذ رمحتـه دابة وهو غلامٌ فـشجتـه. من الأعلام ٥/ ٥٠ بتصرف.

مبايعته فى مسجد دمشق:

لما عهد إليه سليمان بالخلافة سنة تسع وتسعين للهجرة بويع فى مسجد دمشق، وهذا يجلى ماله من منزلة فى نفوس الناس وتقدير هو أهل له.

سياسته وأخلاقه:

بدت أخلاقه الكريمة، وحسن سياسته ومبادئه عندما حظر سبّ على ابن أبى طالب على المنابر، وكان أسلافه الأمويون يسبون عليًا على المنابر علنًا دون حرج ودون حياء.

لذلك كان حسن السيرة، عطر الثناء، كريم الطبيعة على قصر مدة ولايته التى لم تطل، وقيل كانت سنتين ونصفًا فقط.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة إحدى ومائة، من الهجرة المشرفة عن عمر يناهز الأربعين عامًا، وقيل ثمانياً وثلاثين سنة عند بعض الأقوال، وفى سبب وفاته قيل: دُسَّ له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة.

من روائع حكمه وأقواله ووصاياه:

١- لما فرغ عمر بن عبدالعزيز من دفن سليمان بن عبدالملك وهم بأن ينصرف صُفَّت له مراكب سليمان فرفض أن يركب مراكب الخلافة وقال: بل قدّموا لى بغلتى (أى التى كان يركبها قبل ذلك).

٢ - إن تقوى الله خلفٌ من كل شىء، وليس من تقوى الله خلف.

٣- من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم.

٤- فى مرض موته بكى عمر بن عبدالعزيز، فبكت فاطمة وبكى أهل الدار فقيل: ماذا جرى؟ فقيل: لا يدرى هؤلاء، ما أبكى هؤلاء، فقالت فاطمة: بأبى وأمى أنت يا أمير المؤمنين، مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدى الله عز وجل فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير، ثم صرخ وغُشِىَ عليه.

٥- كان عمر بن عبدالعزيز يتمثل دائمًا بهذه الأبيات:

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ
وليلك نومٌ والردى لك لازمُ

يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى
كما غرَّ باللذات فى النوم حالمُ

وتشغل فيما سوف تكره غبه
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

٦- لما كانت الصرعة التى هلك فيها عمر، دخل عليه المسجد مسلمة ابن عبدالملك بن مروان (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٨م) فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عيلة لا شىء لهم فلو أوصيت بهم إلى . . . وإلى . . . من أهل بيتك؟

فقال: أسندونى، ثم قال: أما قولك إنى أفقرت أفواه ولدى من هذا المال، فوالله ما منعتهم حقًا هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك: لو أوصيت بهم، فإن وصى وولى فيهم الله الذى نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين. تبنّى أحد رجلين: إما رجل يتقى الله، فيجعل الله له مخرجًا، وأما رجلٌ مُكبٌّ على المعاصى، فإنى لم أكن أقوِّيه على معاصى الله تعالى،

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً، فنظر إليهم، فذرفت عيناه ثم قال: بنفسى الفتية الذين تركتهم عيلة لا شىء لهم، فإنى بحمد الله تركتهم بخير.

أى بَنّى إن أباكم ميَّز بين أمرين، بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة خيرٌ وأحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله تعالى.

٧- وورد عنه لما كان مرضه الذى قبض فيه قال: أجلسونى، ثم قال: أنا الذى أمرتنى فقصرت، ونهيتنى فعصيت، ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه وأحدَّ النظر(١).

فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً، فقال: إنى لأرى حضرة، ما هم بإنس ولاجن، ثم قُبضَ رحمة الله تعالى عليه، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر فى بعض الأقوال.

---

(١) أحاسن المحاسن ص ١٧٤ بتصرف.

٥٢- محمد بن كعب القرظى [١]
(ت ٢٠ هـ / ٦٤١م)

اسمه وكنيته ولقبه:

محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة، القُرظى، المدنى، ولد سنة أربعينٌ قَ هـ على الصحيح، وقد وَهِمَ من قال: ولد فى عهد النبى ﷺ [٢].

وفاته:

توفى محمد بن كعب القرظى سنة عشرين للهجرة، وقيل: قبل ذلك [٣].

رواياته:

وردت لمحمد بن كعب روايات فى الأصول الستة المعتمدة.

شخصيته وحياته:

كان محمد بن كعب عالمًا زاهدًا ورعًا وتقيًا رشيدًا، مطوى على الإخلاص وسلامة الفطرة، وطهارة الأردان، ولم يكن للدنيا شاغل عنده، فإن وجهته الآخرة والسعى لها.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢١٢/ ٢٣٨، وتقريب التهذيب ٥٠٤/ ٦٢٥٧، وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ١٥٨، ٢٥٥، ٤٥٤، وأحاسن المحاسن ١٧٦، والمنتظم لابن الجوزى ١/ ٣٧٤، ٣/ ٤٨، ٢٣٧، ٧/ ١٢٤، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٥٠٤ رقم ٦٢٥٧.

(٢) قال البخارى: إن أباه كان ممن لم يُنْبتَ من سَبِى قريظة.

(٣) على ماذكر الحافظ فى التهذيب والتقريب.

من جليل مآثره ومأثوراته:

١ - إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا جعل فيه ثلاث خلال[1]: فقه في الدين، وزهادة في الدنيا، وبصر بعيوبه.

٢- الدنيا دار فناء، ومنزل بلغة، رغبت عنها السعداء، وأسرعت من أيدي الأشقياء، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها، وأسعد الناس فيها، أزهد الناس بها، هي المعذبة لمن أطاعها، المهلكة لمن اتبعها، الخائنة لمن انقاد لها، علمها جهل، وغناؤها فقر، وزيادتها نقص، وأيامها دول.

٣- إن الأرض لتبكي من رجل، وتبكي على رجل، تبكي لمن كان يعمل على ظاهرها بطاعة الله تعالى، وتبكي ممن يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى قد أثقلها، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[2].

٤- آدم عمل خطيئةً واحدةً خرج بها من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا ترجون أن تدخلوا الجنة.

٥- سئل عن علامة الخذلان، فقال: أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن ويستحسن ما كان قبيحًا.

٦- الكبائر ثلاث: أن تأمن مكر الله، وأن تقنط من رحمة الله، وأن تيأس من روح الله.

٧- الياقوتة من ياقوت صاحب القرآن يضيء لها ما بين المشرق والمغرب.

٨- من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ مائتي سنة.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ٢١٢/ ٢٣٨.

(٢) الدخان: ٢٩. تفسير القرطبي ١٦/ ١٣٩، ١٤٠، والتفسير الكبير للرازي ٢٧/ ٢٤٧، ٢٤٨، ومختصر ابن كثير ٣/ ٣٠٤.

٥٣- محمد بن المنكدر (١)
(ت ١٣٠ هـ / ٧٤٨م)

اسمه ولقبه ونسبه:

هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهُدَيْر التميمى(٢).

مولده ونشأته وزهده:

ولد ونشأ محمد بن المنكدر بالمدينة، وعاش ورعًا زاهدًا وتقيًا رشيدًا(٣).

علمه وفقهه بالحديث:

كان محمد عالمًا جليلاً، وفقيهًا محدثًا، ويعتبر من كبار رجال الحديث، فقد أدرك بعضًا من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنهم، وثبت له نحو مائتى حديث.

رواياته:

وقد روى عن أبيه، وجابر، وابن عمر، وابن عباس، وأبى أيوب، وأبى هريرة، وعائشة، وخلق، وروى عنه أبو حنيفة ومالك، والزهرى، وشعبة، والسفيانان.

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧٣، وتقريب التهذيب ٥٠٨/ ٦٣٢٧، وتاريخ الإسلام للذهبى ٥/ ١٥٥، والمنتظم ٧/ ٢٨١، ٢٨٢، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٠٨ وفيه سنة وفاته فى رواية أخرى سنة ١٣١هـ، وطبقات الحفاظ للسيوطى الطبعة الرابعة ٥٨/ رقم ١١٢.

(٢) وفى الأعلام: .... الهُدَيْر (بالتصغير) ابن عبدالعزى، القرشى التيمى (من بنى تيم بن مرة) الأعلام ٧/ ١١٢ بتصرف.

(٣) قال سفيان بن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون.

وفاته:

توفى سنة ثلاثين ومائة، وقيل: إحدى وثلاثين ومائة[1].

من أروع مأثوراته ومسموعاته:

١ - جاهدت وكابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

٢ - بكى ليلة حتى إنه من كثرة البكاء ونشيجه أفزع أهله، فأرسلوه إلى أبي حازم، فجاء إليه، فقال: ما الذى أبكاك؟ قد رُعت أهلك، قال: مرت بى آية من كتاب الله عز وجل: ﴿بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2] فبكى أبو حازم معه.

٣ - إن الله تعالى يحفظ المؤمن فى ولده، وولد ولده، ويحفظه فى دويرته، وفى دويرات حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم.

٤ - قيل له: أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، قيل: فما بقي من لذاتك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

٥ - الفقيه يدخل بين الله تعالى وبين عباده، فلينظر كيف يدخل.

٦ - وجزع عند الموت جزعًا شديدًا، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

إنى أخشى أن يَبْدُوَ لى من الله ما لم أحتسب.

---

(١) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٨.

(٢) الزمر: ٤٧. راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٦/٢٨٦، وحاشية الشيخ الصاوى على الجلالين ٣/ ٣٧٦، وتفسير أبي السعود ٤/ ٣١١، والكشاف للزمخشري ٣/ ٤٠١، وروح المعاني للألوسي ٢٤/ ١١.

٥٤- جعفر الصادق (١)
(ت ١٤٨ هـ / ٧٦٥م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمى، القرشى، أبو عبدالله، الملقب بالصادق.

مولده:

ولد سنة ثمانين للهجرة بالمدينة(٢).

سادس الائمة الاثنى عشر عند الإمامية:

وكان أيضًا من أكابر وأجلاء التابعين فضلاً وفقهًا فى الدين.

تبحره فى العلم وورعه وتقواه:

كانت له مكانة سامية، ودرجة عالية فى الفقه بالدين، وقد أخذ عنه جماعة من أعلام الأمة... وعلى رأسهم أبو حنيفة شيخ الفقهاء، ومالك إمام أهل المدينة.

لُقّبَ بالصادق لصدقه:

ولقب جعفر بن محمد الباقر بالصادق لصدقه، إذ إنه لم يعرف عنه الكذب قط، وما تورط فيه البتة.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٠٥، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ١١٥، وحلية الأولياء لأبى نعيم ٣/ ١٩٢/ ٢٣٦، وصفة الصفوة لابن الجوزى ٢/ ٩٤، وأحاسن المحاسن ص ١٨١، وتهذيب ابن حجر ٢/ ١٠٣، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٥/ ٢٧، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢٢٠، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ١٥٧، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٧٩/ ١٥٥.

(٢) قيل: إن الظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة. قال الذهبى: يروى عن جده القاسم بن محمد، ولم أر له عن جده زين العابدين شيئًا، وقد أدركه وهو مراهق. اهـ. بتصرف من تاريخ الإسلام ٩/ ٨٨.

ومثله لابـد أن يكون جريئًا فى الحـق، شديدًا على أعداء الحـق، أينما كانوا وحيثما وجدوا، فلم يكن يعرف إلى المداهنة سبيلاً.

وفاته:

كـما كـان مولده بالمدينة، فـقد كـانت وفاتـه بالمدينة أيضًا سنة ثمـان وأربعين ومائة عن ثمان وستين سنة.

من مأثوراته وحكمه الجليلة:

١- إذا أنعم الله عليك بنعمة، فـأحببت دوامها فأكـثر من الشكر، فإن الله عز وجـل قال فى كتـابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(١)]، وإذا استـبطأت الـرزق، فأكثـر من الاستغفار، فإن الله عز وجل قال فى كتابه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[(٢)] يعنى فى الآخرة.

٢- إذا أحزنك أمرٌ من سلطان أو غيره، فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة.

٣- لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره.

٤- من قنع بما قسم له استغنى، ومن مَدَّ عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيرًا، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله فى قضائه.

---

(١) إبراهيم: ٧. راجع القرطبى ٩/ ٣٤٠، والبـحر المحيط ٥/ ٤٠٥، وجامع البـيان للطبرى ٩/ ٧٠.

(٢) نوح: ١٢. راجع الطبرى فى تفسيره ٢٩/ ٥٨، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ٦/ ٢٦٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٣٨، ٣٣٩.

٥- من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته.

٦- من سَلَّ سيف البغى قُتِلَ به، ومن احتفر بئرًا لأخيه سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقِّرْ، ومن خالط العلماء وُقِّرْ، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِمْ.

٧- أصل الرجل عقله وحسبه ودينه، وكرمه تقواه، والناس فى آدم مستوون.

٨- حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال: **(من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله)**(١).

٩- إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعًا، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب الثمر إلا بالأصول، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب، يا بنى إن زرت فلا تزر الفجار وزر الأخيار، فإن الفجار صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.

١٠- لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.

١١- إذا جاءك ما تحب فأكثر من «الحمد لله» وإذا جاءك ما تكره فأكثر من «لا حول ولا قوة إلا بالله» وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار.

١٢- اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنما يسأل الله حقه وسائل الله لا يخيب.

---

(١) أخرجه السيوطى من طريق البيهقى عن على فى الجامع الصغير ٢/٥١٩/ ٨٥٤٠، وصححه، وأحمد فى المسند ٤/٤٣٨.

٥٥- مصعب بن الزبير (١)
(ت ٧١ هـ/ ٦٩٠م)

اسمه وكنيته ولقبه:

مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى، أبو عبدالله.

نشأته وحياته:

نشأ مصعب بن الزبير بين يدى أخيه عبدالله بن الزبير، فكان ساعده الأيمن، وعضده الأقوى، وركنه المتين، فى التمكين لملكه، والتثبيت له فى الحجاز والعراق، وكان مرضى الأخلاق، حسن العشرة والمعاملة(٢).

ولاه أخوه البصرة:

وقد ولاه أخوه عبدالله البصرة سنة (٦٧هـ) سبع وستين للهجرة فنظم شئونها، وأقام أمورها على السواء، وقتل المختار الثقفى بن أبى عبيد (ت ٦٧هـ/ ٦٨٧م).

لكن أخاه عبدالله عزله عنها مدة سنة، ثم أعاده إليها مرة أخرى فى أواخر سة ثمان وستين، وقد أضاف إليها الكوفة.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى - حوادث سنة اثنتين وسبعين للهجرة، كذا عند ابن سعد فى الطبقات ٥/ ١٣٥، وذكر التاريخين الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٥/ ٧٠٩٣، ونسب قريش ٢٤٩، والمنتظم لابن الجوزى ٦/ ١١٤-١١٦، والأعلام ٧/ ٢٤٨.

(٢) قال أبو عبيدة (معمر بن المثنى): كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين: عطاء للشتاء، وعطاء للصيف، وكان يشتد فى موضع الشدة، ويلين فى موضع اللين.

المواجهة مع عبدالملك بن مروان:

تجرد عبدالملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير، فدفع إليه برتل هائل من الجيوش، فكان مصعب يجهضها الجيش تلو الآخر، حتى إن عبدالملك خرج إليه بنفسه، ثم أرسل إليه أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الأمان، وولاية العراقين أبدًا مادام حيًا، ومليونى درهم صلة، على أن يكف ويرجع عن القتال، لكن مصعبًا أبى وأصر على القتال، فشدَّ عليه جيش عبدالملك وحصره وضيق عليه.

قتل مصعب بن الزبير:

لكن مصعبًا خذله رجاله عندما حمى الوطيس إذ تدابروا عنه فى موقعة الجاثليق[(١)]، وطعنه زائدة بن قيس السعدى[(٢)] فقضى عليه، وقتله، ثم احتز رأسه، وحملها إلى عبدالملك بن مروان[(٣)].

من مأثوراته ومواقفه:

وقف مصعب بن الزبير وأخذ بالركن اليمانى وقال: «اللهم إنك رب كل شىء، وإليك يصير كل شىء، أسألك بقدرتك على كل شىء، أن لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى العراق، وتزوجنى سكينة بنت الحسين»[(٤)].

رضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) على شاطىء دجيل، من أرض مسكن.
(٢) وقيل: بل طعنه عبيد الله بن زياد بن طبيان فقتله.
(٣) وبقتل مصعب بن الزبير نقلت بيعة العراقيين إلى أهل الشام.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠.

٥٦- جعفر بن أبى طالب [١]
(ت ٨ هـ / ٦٢٩م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

جعفر بن أبى طالب بن عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم، فهو هاشمى، كان يلقب بـ «جعفر الطيار»[٢]، أخو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ، وكان يكبره بعشر سنين، صحابى جليل.

إسلامه:

أسلم جعفر بن أبى طالب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، من ثم كان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

هجرته إلى الحبشة:

هاجر جعفر إلى الحبشة فراراً من أذى الكفار، ثم بقى هناك حتى هاجر النبى ﷺ إلى المدينة[٣]، فقدم عليه ﷺ سنة سبع للهجرة وهو بخيبر.

صفاته وشمائله:

كان ﷺ شابًا فتيًا ممتلئًا حيوية وشجاعة وصلابة، مع الحلم والأناة والتواضع والإخبات لله تعالى.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١١٤، صفة الصفوة ١/ ٢٠٥، والإصابة ١/ ٢٤٨/ ١١٦٢، والطبقات الكبرى ٤/ ٢٢، وأنساب الأشراف ١/ ٢١٤، وتهذيب التهذيب لابن حجر، والتقريب له ص ١٤٠/ ٩٤٣، والأعلام للزركلى ٢/ ١١٨، وأحاسن المحاسن، وصفة الصفوة ١/ ٢٠٥.

(٢) وذلك لقوله ﷺ: (دخلت الجنة فرأيت جعفر يطير مع الملائكة، وجناحاه مضرجان بالدم).

(٣) وإبَّان هجرته وزوجته أسماء بنت عميس إلى الحبشة، رزقهما الله تعالى بأبنائهما الثلاثة: محمد، وعبدالله، وعوف.

شجاعته فى غزوة مؤتة[١] واستشهاده بها:

فى موقعة مؤتة حمى الوطيس، وتعالى الهرج، وأقبل أعداء الإسلام فى جيش لجب عرمرم كثيف ضارب قوى العدد والعدة، وكان رسول الله ﷺ قد عرف أن الأمر جد خطير، فعين ثلاثة قواد على الترتيب موزعًا الأدوار عليهم بدقة بالغة وهم: زيد بن حارثة فإن يستشهد فيحل محله جعفر ابن أبى طالب، فإن يصب يسد مسده ويقوم مقامه عبدالله بن رواحة[٢].

إنها معركة شرسة، وحرب عوان، لا هوادة فيها ولا ترخص بحال، يسقط زيد بن حارثة مزملاً فى دمائه، فاستلم مكانه جعفر بن أبى طالب، فاعتوره الأعداء من كل حدب وصوب وهو ممسك بالراية بيده اليمنى، فقطعوها له، فالتقطها بيده اليسرى، بيد أنهم ظلوا يتدافعون إليه حتى قطعوا يده اليسرى، فاحتضن الراية بعضديه، وما هى إلا لحظات أو تكاد حتى سقط البطل مضرجًا فى دمائه، مثخنًا فى جراحه، مزملاً فى ثيابه، مدثرًا ببطولته التى لا مثيل لها.

يقول عبدالله بن عمر: كنت مع جعفر بن أبى طالب فى غزوة «مؤتة» فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية. أى طعنة بالسيف ورمية بالرمح[٣].

من أروع مواقفه ومأثوراته:

من أجل وأجمل مواقف جعفر بن أبى طالب إبَّان هجرته إلى الحبشة

---

(١) مؤتة: موضع جنوب شرقى البحر الميت بالأردن.
(٢) ولما تراقى إلى رسول الله ﷺ خبر استشهاد القادة الثلاثة قال: (لقد رُفِعوا إلىَّ فى الجنة) وهذا يعتبر تبشير لهم بالجنة، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.
(٣) صحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ٩٩.

عندما دعا النجاشى ملك الحبشة جعـفر ورفاقه بين يديه فى حضور حشد من أساقفته وسـأل: ما هذا الجديد الذى فارقتم فيه قومكم؟ فـقام جعفر بن أبى طالب ﷺ فقال: «أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتـة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجـوار، ويأكل القوى منا الضـعيف، فكنا علـى ذلك، حتى بعث الله إلينا رسـولاً منا، نعـرف نسبـه وصدقه وأمانتـه وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبـده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحـجارة والأوثان، وأمـرنا بصدق الحـديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحـسن الجوار، والكف عن المحارم والدمـاء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليـتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحـده، لا نشرك به شيئًـا، وأمرنا بالصلاة والزكاة -ثم عـدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به واتبعـناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعـذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبـادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل مـا كنا نستحل من الخبائث، فلما قـهرونا وظلمونا، وضيقـوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واختـرناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجوا أن لا نظلم عندك أيها الملك»[١].

(١) صحابة النبى ﷺ للسيد الجميلى ص ٩٨.

٥٧- عطاء بن أبى رباح [١]
(ت ١١٤ هـ / ٧٣٢م)

اسمه وكنيته ولقبه:

هو عطاء بن أسلم بن صفوان أبو محمد المكى: تابعى من خيار التابعين مولى بنى جُمَح[٢].

أصله ونشأته:

أصله من اليمن، وكان عبدًا أسود، ولادته فى «جند» باليمن ونشأ بمكة، وتربى فى أحيائها، وقيل: كان أعرج أفطس أشل أعمى[٣].

علمه وفضله:

كان بلال عالمًا فاضلاً، فقيهًا محدثًا، ولا غرو فى ذلك فقد فتح الله تعالى عليه، ونفحه بروح منه، فلذلك كان مفتيًا للمكيين ومحدثًا لهم.

قال ابن سعد: انتهت إليه فتوى أهل مكة، وكان ثقة عالمًا عاملاً، وكان فاضلاً لم يخف فضله على أحد، أدرك مائتى صحابى.

قدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: تسألونى وفيكم عطاء بن أبى رباح؟ قال قتادة: اجتمع لى أربعة[٤] لم ألتفت إلى غيرهم، ولم أبال من خالفهم: الحسن، وسعيد بن المسيب، وإبراهيم، وعطاء. هؤلاء أئمة الأمصار[٥].

---

(١) صفة الصفوة ٢/١١٩، وحلية الأولياء ٣/ ٣١٠/ ٢٤٤، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ١٩٩، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/ ٣٥٦، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٥ رقم الترجمة ٨٨ وميزان الاعتدال ٣/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨/ ٢٩.

(٢) وقيل: مولى آل أبى خثيم.

(٣) وكانت يده قطعت مع ابن الزبير، ثم عمى.

(٤) طبقات الحفاظ ص ٤٦ بتصرف، وفيه أيضًا: وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء ابن أبى رباح، ولا أكذب من جابر الجعفى.

(٥) وكانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبى رباح. الحلية ٣/ ٣١١ بتصرف، وفيه أيضًا: عن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحد يطلب بعلمه ما عند الله تعالى إلا ثلاثة: عطاء، وطاوسًا، ومجاهدًا.

وفاته:

وقد توفى عطاء بن أبى رباح سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: خمس أو سبع، عن ثمان وثمانين سنة[١].

من مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١- قال: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله تعالى.

٢- أن تقرأ وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها.

٣- أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحى أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التى أملى صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه «أى يراها مملوءة عبثًا ولهوًا لا عائدة له ولا عليه منه».

٤- إنى لأسمع الحديث من الرجل، وأنا أعلم به منه، فأريه أنى لا أحسن منه شيئًا[٢].

٥- ما قال عبد قط يارب يارب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه[٣].

٦- النظر إلى العابد عبادة.

٧- سئل عطاء: ما أفضل ما يقوله المسلم؟ قال: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم» فمن قال لا إله إلا الله، كان له بها عند الله عهد.

---

(١) عندما مات عطاء قال الأوزاعى: مات عطاء وهو أرضى أهل الأرض، وكان أكثر من يسند إليه سبعة أو ثمانية.

(٢) وهذا مفاد قول الشاعر العبقرى:

من لى بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم ردَّ جوابه
فتراه يصغى للحديث بعقله ... وبقلبه ولعله أدرى به

(٣) فلما قيل للحسن قول عطاء هذا قال الحسن: أما تقرءون القرآن: ﴿ربنا إنا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾.

٥٨- سفيان بن عيينة (١)
(ت ١٩٨ هـ / ٨١٤م)

اسمه ولقبه وكنيته:

سفيان بن عُيَيْنَة بن أبى عمران، ميمون الهلالى، أبو محمد الكوفى الأعور، أحد أئمة الإسلام المعتبرين.

مولده ونشأته:

ولد سفيان بن عيينة ونشأ بالكوفة، وسكن مكة وتوفى بها.

علمه وفقهه ومكانته:

كان رحمه الله حافظًا، واسع العلم، كبير القدر، قال الإمام الشافعى: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

حج سبعين حجةً، وكان صوته رخيمًا فخيمًا رقيقًا.

قال ابن المدينى: ما فى أصحاب الزهرى أتقن من ابن عيينة.

وقد روى عن عمرو بن دينار، والزهرى، ومحمد بن المنكدر وخلق، وعنه الشافعى، وابن المدينى، وابن معين وغيرهم.

وفاته:

توفى رحمه الله بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٣٠، وحلية الأولياء ٧/ ٢٧٠/ ٣٩٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢، وميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٠، وتاريخ بغداد ٩/ ١٧٤/ ٤٧٦٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١١٩ رقم الترجمة ٢٣٨، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٣٥٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٦٤، وأحاسن المحاسن ص ١٩٤، ١٩٥.

من مأثوراته ووصاياه ومواعظه:

١- من تزين للناس بشيء يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله.

٢- إذا كان نهارى نهار سفيه، وليلى ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذى كتبت؟

٣- إنما أرباب العلم الذين هم أهله، الذين يعملون به.

٤- من رأى أنه خيرٌ من غيره فقد استكبر.

٥- الزهد فى الدنيا الصبر وارتقاب الموت.

٦- أورد أبو نعيم فى الحلية[1] من طريق الحسن بن سفيان بإسناده عن حرملة بن يحيى يقول: أخذ سفيان بن عيينة بيدى، فأقامنى فى ناحية، وأخرج من كمه رغيف شعير، وقال لى: دع يا حرملة ما يقول الناس، هذا طعامى منذ ستين سنة.

٧- إن للحكمة أهلاً، فإن وضعتها فى غير أهلها ضيعت، وإن منعتها أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغى.

٨- ليس العالم الذى يعرف الخير والشر، إنما العالم الذى يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه.

٩- إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله.

١٠- خلقت النار رحمة يخوف الله بها عباده لينتهوا.

١١- العلم إن لم ينفعك ضرَّك.

١٢- إن العاقل إن لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزده الكثير منها إلا شراً.

١٣- جالس الحكماء، فإن مجالستهم غنيمة، وصحبتهم سليمة، ومؤاخاتهم كريمة.

١٤- نعم الله على عباده إما فى ذنب، وإما فى نعمة قصر عن شكرها.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧١.

٥٩- الفضيل بن عياض [١]
(ت ١٨٧ هـ / ٨٠٣م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى، أبو على الزاهد أحد العُبَّاد المشهورين.

ولادته ونشأته:

ولد فى سمرقند[٢]، ونشأ بأبيورد[٣]، ودخل الكوفة كبيراً، وقيل إن أصله كوفى العنصر، ثم استقر به المقام فى مكة وتوفى بها.

مكانته العلمية وعبادته وصلاحه:

كان الفضيل بن عياض عالمًا عاملاً، وتقيًا رشيدًا، من كبار العُبَّاد والصلحاء، وكان يلقب بشيخ الحرم المكى، لعلمه وفضله ومكانته، قال ابن سعد[٤]: كان الفضيل بن عياض فاضلاً، نبيلاً، ثقةً، عابدًا ورعًا، كثير الحديث، وقال ابن المبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن[٥].

وفاته:

مات الفضيل بمكة فى أول سنة سبع وثمانين ومائة.

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، وحلية الأولياء ٨/ ٨٤/ ٣٩٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥، وصفة الصفوة ٢/ ١٣٤، وشذرات الذهب ١/ ٣١٦، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٦٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١١٠/رقم ٢٢٠.

(٢) سمرقند: مدينة روسية، تقع فى وسط آسيا (أوزباكستان) وقد أتى عليها وزلزلها وقوض بناءها جنكيز خان سنة تسع وعشرين ومائتين وألف للميلاد، ثم استولى عليها تيمور لنك وجعلها عاصمته، ومات ودفن بها.

(٣) أبيورد: من خراسان، إحدى مقاطعاتها.

(٤) الطبقات الكبرى.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٨٧.

من أجمل مأثوراته ومسموعاته:

١- من عرف الناس استراح.

٢- لو خُيِّرت أن أعيش كلبًا وأن أموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة، لاخترت أن أعيش كلبًا وأموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة[1].

٣- ورد عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما رأيت أحدًا أخوف من الفضيل وأبيه[2].

٤- الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت، فالرجاء أفضل من الخوف.

٥- رهبة العبد من الله على قدر علمه به، وإن زهادته فى الدنيا على قدر علمه بالآخرة.

٦- سئل الفضيل: ما الزهد فى الدنيا؟ قال: القنع وهو الغنى، وقيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم، وقيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. وسئل عن التواضع، فقال: أن تخضع للحق، وقال: جُعِلَ الخيرُ كله فى بيت، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا.

٧- قال الفضيل: قال الله عز وجل: إذا عصانى من يعرفنى، سلطت عليه من لا يعرفنى.

٨- حرام على قلوبكم أن تصيبوا حلاوة الإيمان حتى تزهدوا فى الدنيا.

٩- ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجلهم هو الشرك.

١٠- لا تخالط سيئ الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه فى عناء.

١١- من عامل الله عز وجل بالصدق أورثه الله عز وجل الحكمة.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

(٢) وفى هذا وبموجبه يرى العلماء أن الترهيب للشبيبة، والترغيب للشيوخ، فلكل مقام مقال، ولكلٍ ما يناسبه.

٦٠- الإمام الشافعى
محمد بن إدريس [١]
(ت ٢٠٤ هـ / ٨٢٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى المكى، أبو عبدالله، نزيل مصر، إمام الأمة، وشيخ الأئمة، والقدوة المبرورة الصالحة، وكانت أمه أزدية من الأزد.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ رحمه الله بغزة سنة خمسين ومائة[٢]، وقيل: ولد بعسقلان، وقيل باليمن[٣]، وقد ملأ طباق الأرض علمًا منذ أن شب عن الطوق[٤]، وقد نسب إليه قوله: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين.

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥، وصفة الصفوة ٢/ ١٤٠، وحلية الأولياء ٩/ ٦٣/ ٤١٥، وتاريخ بغداد ٢/ ٥٦/ ٤٥٤، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/ ٣٣٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، وطبقات الشافعية ١/ ١٨٥، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢/ ١٧٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٥٧ الترجمة ٣٣٦.

(٢) وقيل: سنة أربع وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين.

(٣) قيل: لما حملت أم الشافعى به رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع فى كل بلد منه شظية، فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق فى سائر البلدان.

(١) قال الشافعى عن نفسه: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر، وقال الربيع بن سليمان: كان الشافعى يفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان يحيى الليل إلى أن مات. طبقات الحفاظ ١٥٨ بتصرف.

روايتـه:

روى عن عمه محمد بـن على، وأبى أسامة، وابن عيينة وخلق، وعنه ابنه أبو عثمان محمد، وابن حنبل، وأبو ثور، وخلق كثير.

شهادة أحمد بن حنبل له:

قـال الإمام أحـمد: إن الله يقـيض للناس فى رأس كل مـائة سنة من يعلمهم السـنن وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبدالعزيز، وإذا فى رأس المائتين الشافعى.

شهادة العلماء والأئمة للشافعى بالفضل:

قال ابن مهدى: ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعـو للشافعى بها، وقال أبو ثور: كتب عبدالرحـمن بن مهدى إلى الشافعى وهو شاب أن يضع كـتابًا فيه معـانى القرآن، ويجمع قول الأخـيار فيـه، وحجة الإجمـاع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب «الرسالة»[١].

قال الحميدى فى أكثر من موقف: حدثنا سيد الفقهاء الشافعى.

وفاتـه:

توفى الشافعى فى آخر رجب [ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة] سنة أربع ومائتين[٢]، وهو ابن نيف وخمسين سنة، فرضى الله عنه وأرضاه، قال قتيبة بن سعيد فيه: مات الشافعى وماتت السنة.

---

(١) طبقات الحفاظ.

(٢) طبقات الحفاظ ١٥٨، وحلية الأولياء ٩/ ٦٧، ٦٨، وفـيه أن الشافعى كان يخضب ما فى لحيته من البياض، فكان يبـدو أحمر الرأس واللحية، وهو باستعمال الخضـاب كان متبعًا للسنة.

من مأثوراته وحكمه ووصاياه:

١- أتيت مالكا وأنا ابن اثنتى عشرة سنة لأقرأ عليه الموطأ فاستصغرنى.

٢- ما نظرت فى موطأ مالك إلا ازددت فهمًا وما كتاب بعد كتاب الله أنفع من الموطأ.

٣- إذا جاء مالك، فمالك النجم.

٤- ما اشتد على موت أحد من العلماء مثل موت ابن أبى ذئب، والليث بن سعد.

٥- أفلست ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلى وكثيرى، وحلى ابنتى وزوجتى، ولم أرهن قط.

٦- كانت نهمتى فى شيئين: فى الرمى وطلب العلم.

٧- جلس الشافعى يومًا وامرأة تطلق، فحسب النجوم[1]، فقال: تلد جارية عوراء على فرجها خال أسود، تموت إلى كذا وكذا، فولدت وكان كما قال، فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبدًا، ودفن الكتب التى عنده فى النجوم.

٨- خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها.

٩- إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ فهو عندى كذلك.

١٠- أى سماء تُظِلُّنى، وأى أرض تُقِلُّنى إذا رويت عن رسول الله ﷺ وقلت بغيره.

---

(١) وكان وهو حدث ينظر فى النجوم، راجع هذه القصة فى الحلية ٩/ ٧٧ بتصرف واختصار.

١١- حديث رسول الله ﷺ إذا كان خلاف قولى فحديثه ﷺ أوْلى ولا تقلدونى.

١٢- إذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد.

١٣- إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فهو أوْلى ما يؤخذ به من غيره.

١٤- الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس.

١٥- لو علم الناس ما فى الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد.

١٦- ما نظر الناس إلى شىء هم دونه إلا بسطوا ألسنتهم فيه.

١٧- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

١٨- طلب العلم يحتاج إلى ثلاث خصال: إحداها: حسن ذات اليد، والثانية: طول العمر، والثالثة: يكون له ذكاء.

١٩- من تعلم القرآن جَلَّ فى عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رقَّ طبعه، ومن تعلم الحساب جلَّ رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن يضر نفسه لم ينفعه علمه.

٢٠- اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

٢١- الشعر يضع الرفيع، ويرفع الوضيع الخسيس، والنحو مؤدب، والفرائض كتعليم الحساب، والحديث بركته آخر العمر، أما الفقه فهو سيد العلم.

٦١- وهب بن منبه (١)
(ت ١١٤ هـ/ ٧٣٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

وهب بن منبه الأبناوى، الصنعانى، الذمارى، أبو عبدالله، من أعلام التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه حميرية، أصلها من حمير.

نشأته وحياته:

ولد ونشأ ومات ﷺ بصنعاء باليمن، وقد ولاَّه عمر بن عبدالعزيز «قضاء صنعاء» وذلك لثقته بعلمه وفقهه ورجاحة عقله.

علمه وثقافته ومنزلته:

كان وهب بن منبه منهومًا بالقراءة والاطلاع الواسع على الأسفار والكتب القديمة، خبير وعالم بالأساطير ولا سيما الإسرائيلية القديمة ومن مأثور أقواله أنه قال: سمعت اثنين وتسعين كتابًا سماويًا «مُنَزَّلٌ من السماء» وقيل: صحب ابن عباس ثلاث عشرة سنة.

اتهامه بالقدر:

قيل إنه كان قدريًا، اتهم بالقول بالقدر والاحتجاج به(٢)، وقال بعض العلماء: إنه ألَّف فيه كتابًا ثم ندم عليه، ورجع عنه.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٣/ ٢٥٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٦٦، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ١٥٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٩٥، والمعارف لابن قتيبة ٢٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٠، وطبقات الخواص ١٦١، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة.

(٢) إن الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإسلام وأهم قضاياه الغيبية والإيمانية، ولا=

حبسه فى كبره وقتله:

قيل إنه حُبِس فى شيخوخته، وأهين فى كبره، قيل: ضربه يوسف بن عمر ضربًا مبرحًا حتى لفظ أنفاسه.

وفاته:

وقد توفى إلى رحمة الله فى سنة أربع عشرة ومائة للهجرة، فرضى الله عنه.

من مأثوراته ومواقفه ولطائفه:

١- لا يكون البطَّال من الحكماء، ولايرث الزناة ملكوت السماء.

٢- قال داود: إلهى، أين أجدك إذا طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى.

٣- أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم، أبناء السبعين: لاعذر لكم.

٤- إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله، وإذا أراد به شراً ختم له بشر عمله.

٥- مثل أهل الذكر وأهل الغفلة، كمثل النور والظلمة.

٦- مرت بنوح عليه السلام خمسمائة سنة لم يقرب النساء وجلاً من الموت.

=يكون الإيمان كاملاً إلا بذلك، لكن المحظور والمنهى عنه تمامًا هو الاحتجاج بالقدر، ذلك لأن الاحتجاج به يفسد كل شىء إذ يصير كل محظور مباحًا وكل متاح سائغًا فلا حظر ولا كراهة وما أسهل الاحتجاج والتعليق على شماعة القدر وهذا ينطوى على تخليط وفساد لا مزيد عليه.

٧- مكتوبٌ فى التوراة أربعة أحرف: من لم يشاور يندم، ومن استغنى استأثر، والفقر الموت الأحمر، وكما تدين تدان.

٨- مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين: إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

٩- من يتعبد يزدد قوة، ومن يكسل يزدد فترة.

١٠- ليس من أحد أحب إلى شيطانه من النؤوم الأكول.

٦٢- معروف الكرخى [١]
(ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

معروف بن فيروز الكرخى، أبو محفوظ، كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم.

مولدة ونشأته:

ولد فى كرخ بغداد[٢]، وكذلك نشأ فى بغداد، وقد اشتهر بالورع والصلاح والتقوى، وكان يعمد إليه الناس للتبرك به.

تقدير العلماء له:

كان العلماء يختلفون إليه، ويأخذون منه، وقد ثبت أن الإمام أحمد كان يذهب إليه تقديراً له واحترامًا لمنزلته.

وفاته:

وقد توفى معروف ببغداد.

من لطائفه وحكمه ومواعظه:

١- من بلغ أهل الخير الخير، وأعانهم عليه أصلحنا وأعاننا عليه.

٢- إنما الدنيا قدرٌ تغلى، وكنيفٌ يرمى.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٧٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٤، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٨١، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩/ ٧١٧٧.

(٢) الكرخ: من أحياء بغداد يقع فى غربيها.

٣- كلام العبد فيما لا يعنيه خذلانٌ من الله تعالى.

٤- اللهم إنى أعوذ بك من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل.

٥- اللهم لا ترنا وجه من لا تحب النظر إليهم.

٦- السخاء إيثار ما يحتاج إليه عند الإعسار.

٧- قال رجل لمعروف الكرخى: ما شكرت معروفى عندك، قال: معروف: كان معروفك من غير محتسب فوقع عند غير شاكر.

٨- من قال حين يتعارى من فراشه: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك، فإنهما بيدك، لا يملكهما أحدٌ سواك، إلا قال الله لجبريل: يا جبريل، اقض حاجة عبدى.

٩- قال له ابن أخته: يا خال، أراك تجيب كل من دعاك، فقال: إنما خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

١٠- سئل عن الطائعين بأى شىء قدروا على الطاعة؟ قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

١١- إذا مت فتصدقوا بقميصى هذا، فإنى أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا، كما دخلت إليها عريانًا.

وقد توفى «رحمه الله» سنة مائتين، وقبره ببغداد.

٦٣- الإمام أحمد بن حنبل [١]
(ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

أحمد بن محمد بن حنبل، أبو محمد الشيبانى، الوائلى، إمام المذهب الحنبلى، وأحد الأئمة الأربعة المجتهدين.

صفاته وخلاله:

كان أحمد أسمر اللون، طويل القامة حسن الوجه يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء.

أصله وولادته ونشأته:

أصل أحمد بن حنبل من «مرو»[٢]، وقد كان أبوه محمد بن حنبل واليًا على «سرخس»[٣]، وقد ولد أحمد ببغداد[٤].

رحلته فى طلب العلم ونبوغه منذ صغره:

تفتح عيناه على حب العلم والإكباب عليه إكبابًا فى وقت الطلب حيث

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٨، وصفة الصفوة ٢/ ١٩٠، وحلية الأولياء ٩/ ١٦١/ ٤٤٥، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٢/ ٢٣١٧، وأحاسن المحاسن ص ٢٢١-٢٢٣.

(٢) مرو: مدينة فى روسيا (تركمانستان) وهى اليوم مسماة بـ «مارى».

(٣) سرخس: مدينة قديمة على الحدود الإيرانية الروسية بين مرو ومشهد، وهى مسقط رأس الفضل بن سهل وزير المأمون.

(٤) قال الإمام أحمد: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم «شيخه» وأنا ابن عشرين سنة، وأول سماعى من هشيم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك قدم فى هذه السنة، وهى آخر قدمة قدمها، فذهبت إلى مجلسه، فقالوا: قد خرج إلى طرسوس، وتوفى سنة إحدى وثمانين.

إنه استظهر القرآن الكريم صبيًا، وأقبل على السنن حافظًا وقارئًا فى مصادرها الأولى قراءة منهوم لا يشبع وقد حج خمس حجج ماشيًا واثنتين راكبًا.

أسفاره:

رحل أحمد من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ ومن بلد إلى آخر جاهدًا مجتهدًا فى تحصيل العلم وفى طلبه، لم يألُ جهدًا، وكانت له لأجل ذلك أسفار عديدة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام، والثغور والمغرب والجزائر والعراقين، وفارس وخراسان، والجبال والأطراف.

دعوة المأمون إلى القول بخلق القرآن:

عمد خصوم الإمام أحمد إلى تأليب المأمون عليه، فحرضوه على استدراج أحمد حتى يقول بخلق القرآن، لكن الإمام أحمد رفض ذلك البته، وأصر على أن القرآن كلام الله غير المخلوق(١).

وكانت فتنة عاصفة شعواء، وبلية لا مزيد عليها، حيث كانت المسافة بين السيف ورقبة الإمام أحمد معدومة تمامًا، وقد قال الجلاد: لقد ضربت أحمد ثمانين سوطًا لو ضربتها فيلاً لهدته.

تولى المعتصم بعد المأمون:

دعا أحمد فى محبسه أن يكشف الله تعالى عنه الضر وأن ينتقم من الظالمين، وفجأة توفى المأمون، ثم تولى بعده المعتصم.

---

(١) وكيف يقال: إن القرآن مخلوق، وهو قديم أزلى وليس حديثًا، ولا عبرة لاحتجاج الخصوم بـ: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ ولا بقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ لأن المحدث هنا المراد به نزوله إلى السماء الدنيا حتى يباشر مهمته فيها، إنما الأصل أنه قديم فى اللوح المحفوظ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

أحمد فى السجن:

وسجن أحـمد ثمانيـة وعشرين شهـراً جزاء لامتناعـه عن القول بخلق القرآن، مع إصراره على أن القرآن الكريم كلام الله غير المخلوق، لكن أطلق سراحـه، وانفرجت الغـمة، وكانت رحـمة الله قريب من المحـسنين، ووافق إطلاق سراحه سنة عشرين ومائتين للهـجرة المشرفة، ولم يلق أحمد كيداً فى زمن الواثق «بعد المعـتصم» ولما أن ولى المتوكل بعد الواثق «وكـان أخاه» وهو المتوكل بن المعتصم أكرم الإمام أحمد بن حـنبل، وقدَّمه، وجعله مستشاراً له يأخذ برأيه فى تعيين رجاله وذلك لفترة طويلة.

وفاتــه:

بعد هذه الرحلة الشاقـة المضنية، وهذا الجهاد بالقـول والعمل كان لابد للبدن المكدود أن يستريح، وتوفى الإمام الجليل ليلة الجـمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحـدى وأربعين ومائتين[١]، وكانت سنه من يوم أن وُلِدَ إلى أن توفى سبعًا وسبعين سنة، رضى الله عنه وأرضاه.

من مأثوراته ومسموعاته:

١- كان يحفظ ألف ألف «مليون» حديث، وقد حرزت كتبه اثنى عشر حملاً وعدلاً كل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلب.

٢- اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك، فصن وجهى من مسألة غيرك.

٣- اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا فى رزقك خولاً لغيرك ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا.

٤- لما ضُرِبَ الأسواط عند امتحانه فى فتنة خلق القرآن، قال عندما ضرب سوطًا: بسم الله، فلما ضرب الثانى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غيـر المخلوق، فلما ضرب الرابع قال: قل لن يصيبنا إلا مـا كتب الله لنا، ثم تمتم فى سـره بقولـه: اللهم إنى أسألك باسـمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى ستراً.

---

(١) حضر جنازة أحمد من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستون ألفًا.

٦٤- الأسود بن يزيد النخعى[1]
(ت ٧٥ هـ / ٦٩٤م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

الأسود بن يزيد بن قيس النخعى، أبو عمرو، ويقال: أبو عبدالرحمن.

منزلته العلمية:

تابعى، فقيه من الحفاظ الكبار، وقد اعتبره العلماء عالم الكوفة فى عصره، فكان لذلك مشخوصًا إليه.

علمه وورعه وتقواه وعبادته:

كان الأسود ورعًا تقيًا، قيل إنه كان يختم القرآن فى رمضان كل ليلتين، وفى غير رمضان كل ست ليال[2]، وقيل فى شأنه: كان من العبادة والحج على أمر كبير، قيل: كان صوَّامًا قوَّامًا حجَّاجًا.

وفاته:

قال الذهبى: فى وفاته أقوال، أحدها سنة خمس وسبعين.

من أهم مسموعاته:

لما احتضر الأسود بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالى لا أجزع، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله لأهمنى الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه.

---

(١) حلية الأولياء ٢/١٠٢/ ١٦٥، وتذكرة الحفاظ ١/٤٨، والكنى والأسماء للدولابى ٢/٤٣، والاستيعاب ١/٩٤، وأسد الغابة ١/٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠/ ١٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٤٢/ ٦٢٥.

(٢) بتصرف من حلية الأولياء ٢/١٠٣، وتاريخ الإسلام للذهبى ٥/٣٦١.

٦٥- مسروق بن الأجدع[١]
(ت ٦٣ هـ / ٦٨٣م)

اسمه ولقبه وكنيته:

مسروق بن الأجدع[٢] بن مالك الهمدانى الوادعى الكوفى، أبو عائشة.

أصله ومنزلته العلمية:

كان مسروق مخضرمًا تابعيًا ثقة، من أهل اليمن[٣]، وقد قدم المدينة فى عهد أبى بكر رضي الله عنه وقطن الكوفة، وقد شهد مسروق حروب على رضي الله عنه، وقيل: ما ولدت همدانية مثل مسروق، كان مسروق أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء[٤]، وذكر الذهبى أنه قدم الشام فى طلب العلم، وشهد الحكمين.

قال مسروق: لأن أقضى بقضية فأوافق الحق أحب إلى من رباط سنة.

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٩، والإصابة ٦/ ١٧٢/ ٨٤٠٠، وحلية الأولياء ٢/ ٩٥/ ١٦٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٢/ ٧٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣/ ١٧، وشذرات الذهب ١/ ٧١، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٤١.

(٢) قيل إن سبب تسميته أنه سرق وهو صغير، فسمى مسروقًا، ولقى عمر بن الخطاب، فقال له: ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال عمر: الأجدع شيطان، بل أنت ابن عبدالرحمن، فكان يعرف بذلك. من هامش الأعلام ٥/ ٢١٥ بتصرف وانظر المسند لأحمد ١/ ٣١.

(٣) طبقات الخواص ١٥٦.

(٤) قال الذهبى: وكان شريح يستشير مسروقًا، وكان مسروق لا يستشير شريحًا.

وفـاتــه:

توفى مسروق سنة ثلاث وستين للهجرة وقيل سنة اثنتين وستين، ودفن بواسط.

من مأثوراته وحكمه:

١- لأن أُفْتِيَ بحق وعدل يومًا أحب إليَّ من أن أَغْزُوَ فى سبيل الله سنة.

٢- بحسب المرء من العلم أن يخشى الله، وبحسبه من الجهل أن يعجب بعمله.

٣- إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله تعالى.

٤- حقيق للمرء أن تكون له مجالس يخلو فيها لنفسه يتذكر ذنوبه ويستغفر منها.

٥- لو أخبرنى أحدٌ أن الله تعالى يعذبنى لاجتهدت فى العبادة، قيل: وكيف ذاك؟ قال: حتى تعذرنى نفسى إن دخلت جهنم لا ألومها.

٦٦- رِبْعىّ بن حِرَاش[١]
(ت ١٠١ هـ / ٧١٩م)

اسمه ولقبه وكنيته:

ربعى بن حراش بن جحش بن عمرو العبسى، الأعور الكوفى، أبو مريم، تابعى مشهور[٢].

نشأته وحياته:

لم نعرف من تاريخ نشأته وحياته إلا أنه من أهل الكوفة، كان من أشجع بن ريث بن غطفان، واشتهر بين أهله وقومه بالصدق.

علمه وصدقه وفقهه:

كان ربعى بن حراش ثقة فى الحديث، فاضلاً، صدوقًا لم يكذب فى حياته قط، وكان لذلك مضروبًا به المثل فى الصدق، قال العجلى: كان ربعى ابن خراش ثقة[٣].

وفاتـــه:

توفى سنة إحدى ومائة، وقال أبو عبيد: سنة مائة، وقال ابن معين: سنة أربع ومائة. ولعل الأول هو الصحيح.

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥/ ٢٩٧، وفيه ورد الاختلاف على وفاته ثم قرر أن الصحيح هو أنه توفى سنة إحدى ومائة، وانظر حلية الأولياء لأبى نعيم ٤/ ٣٦٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٢٣٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٣٣/ ٤٥٤٠، والأعلام ٣/ ١٤، وحلية الأولياء ٤/ ٣٦٧/ ٢٨١، وصفة الصفوة ٣/ ٣٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٩/ ١٣٩.

(٢) وهو أحد كبار التابعين.

(٣) تاريخ الثقات للعجلى ١٥٢.

من أروع مواقفه ومأثوراته:

١- ذكر الأصمعي أن رجلاً أتى الحجاج فقال: إن ربعى بن حراش زعموا لا يكذب، وقد قدم ابناه عاصيين، فبعث إليه الحجاج، فقال: مافعل أبناؤك؟ قال: هما فى البيت، والله المستعان، فقال له الحجاج: هما لك، وأعجبه صدقه[1].

٢- أخبر غاسل ربعى أنه لم يزل مبتسمًا على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

(١) أحاسن المحاسن ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٠، وتاريخ الثقات ١٥٣.

٦٧- شريح القاضى[١]
(ت ٧٨ هـ / ٦٩٧م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن الحارث بن معاوية ابن ثور وهو كندة، أبو أمية، القاضى، نسبه ابن الكلبى وساق له أبو أحمد الحاكم نسبًا مخالفًا لهذا، ويقال: هو شريح بن الحارث بن شراحيل، من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، وكان حليف كندة.

صحبته مختلف[٢] فيها، وقيل: كان فى زمن النبى ﷺ ولم يره.

صحبة شريح القاضى:

دليل صحبته ورؤيته ما رُوِىَ عن ابن السكن وغير واحد من طريق على ابن عبدالله بن معاوية بن ميسرة بن شريح القاضى أنه قال: أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن لى أهل بيت ذوى عدد باليمن، قال: (جئ بهم) فجاء بهم إلى النبى ﷺ بعد أن قبض إلى الرقيق الأعلى.

توليته القضاء:

ولى شريح قضاء الكوفة لعمر ﷺ وكان فى القضاء عالمًا[٣]، وذكر

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٣٢/ ٢٥٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٢٤، وكتاب «شريح القاضى» تأليف السيد الجميلى، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٤٠، ونهاية الأرب للنويرى ٢١/ ٢٢٨، والإصابة ٣/ ٢٠٢، ٣٨٧٥، وأسد الغابة ٢/ ٣٩٤، والاستيعاب ٢/ ١٤٨، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٨٧، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠/ ٣٢.

(٢) قال ابن السكن: روى عنه خبر يدل على صحبته.

(٣) ذكر الشعبى أن عمر بعث ابن سُوَر «كعب بن سور الأزدى» على قضاء البصرة، وبعث شريحًا على قضاء الكوفة. «تاريخ الطبرى ٤/ ٢٤١».

مجالـد عن الشَّعْبىّ أن عمـر رزق شريحًا مائة درهم على القـضاء[١]، وقال الشعبى: لما بعث عمر شُرَيْحًا على القـضاء قال: انظر ما تبين لك فى كتاب الله، فلا تسأل عنه أحـدًا، وما لم يتبين لك فى كتاب الله فـاتبع فيه السنة، وما لم يتبين لك فى السنة، فاجتهد فـيه رأيك، وقد استعفى من القضاء قبل موته بسنة.

وفاته:

مات شريح وهو ابن مائة وثمان سنين، سنة ثمان وسبعين[٢].

من مأثوراته ومواقفه ولطائفه الرائعة:

١- سيعلم الظالمون حظ من نقصـوا، إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر.

٢- روى أن ابنًا لشريح قال لأبيه: إن بينى وبين قوم خصومة، فانظر، فإن كان الحق لى خاصمتهم، وإن لم يكن الحق لى لم أخاصم، فقصَّ قصته عليه، فقـال شريح: انطلق، فخاصـمهم إليه، فقضى علـى ابنه، فقال له لما رجع: فضحتنى، فقال: والله يا بنى، والله لأنت أحب إلىَّ من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز منك علىّ، خشـيت أن أخبرك أن القضاء عليك، فتصالحهم ببعض حقهم.

٣- قـال الشَّعْـبِىّ: شهـدت شريحـا، وجاءته امـرأة تخاصم رجـلاً، فبكت، فقلت: مـا أظنها إلا مظلومة، فقـال: إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون «فليس كل من بكى يكون مظلومًا»[٣].

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٦/١٠٦.
(٢) وقال خليفة وابن نمير: سنة ثمانين، وقيل غير ذلك.
(٣) مثل إخوة يوسف، إذ ظلموا أخاهم وجاءوا أباهم يبكون وهم ظالمون.

٤- قال شريح فى الفتنة: ما استخبرت ولا أخبرت، ولا ظلمت فى الفتنة، ولا ظلمت مسلمًا ولا معاهدًا دينارًا ولا درهمًا.

٥- قال رجل لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، فقال: إنى رجلٌ من أهل الشام، فقال: بعيدٌ سحيق، قال: إنى تزوجت امرأة. قال: بالرفاء والبنين، قال: إنى اشترطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت.

٦- كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون: أما بعد، فإنك والمكان الذى أنت به بعين من لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب، والمكان الذى خلفته لم يعجل أمر حمامه، ولم يظلمه أيامه، وإنك وإياهم لعلى بساط واحد، وأن المنتجع من ذى قدرة لقريب، والسلام.

٧- وحكم شريح على أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى درع ادَّعاه يهودى على غير الحقيقة، ثم اعترف «بعد الحكم» اليهودى بأن الدرع لعلى كرم الله وجهه، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقال اليهودى: أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا للحق[1].

---

(١) شريح القاضى - تأليف السيد الجميلى.

٦٨- عامر بن شراحيل الشعبى[١]
(ت ١٠٣ هـ / ٧٢١م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عامر بن شراحيل الشعبى، أبو عمرو، علامة أهل الكوفة فى عصره.

ولادته ونشأته وروايته:

ولد فى أواسط عهد عمر بن الخطاب[٢]، وروى عن جمهرة الصحابة وروى عنه كثيرون، قيل أدرك خمسمائة من الصحابة.

قيل: إنه قرأ القرآن على علقمة، وأبى عبدالرحمن السلمى، وكانت له حافظة قوية، قال: ما حدثنى رجلٌ بحديث إلا حفظته[٣].

وفاته:

مات عامر بن شراحيل الشعبى سنة ثلاث ومائة، أو أربع، أو سبع أو عشر.

مأثورات ومسموعات ومواقف للشعبى:

١- من كذب على القرآن، فقد كذب على الله.

٢- ما ترك أحدٌ فى الدنيا شيئًا لله إلا أعطاه الله فى الآخرة ما هو خيرٌ له.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣١٠/ ٢٧٦، وتهذيب التهذيب ٥/ ٦٥، وتهذيب ابن عساكر ٧/ ١٣٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧/ ٦٦٨، والمعارف لابن قتيبة ٣٩٥، والكنى والأسماء ٢/ ٤٣، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٠/ ٧٤، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ٤١٣، وصفة الصفوة ٣/ ٧٥/ ٤١٠، وشذرات الذهب ١/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام للذهبى ٧/ ١٢٤.

(٢) ذكر السيوطى أنه وُلِدَ لست سنين مضت (كذا، والصواب مضيْن) من خلافة عمر على المشهور. طبقات الحفاظ ص ٤٠ ترجمة رقم ٧٤.

(٣) وقال عبدالملك بن عمير: مرّ ابن عمر على الشعبى وهو يحدث بالمغازى، فقال: لقد شهدت القوم، فلهو أحفظ لها، وأعلم بها.

٣- ما ترك عبدٌ مالاً هو فيه أعظم أجرًا من مالٍ يتركه لولده يتعفف به عن الناس.

٤- ما اختلفت أمة على نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها.

٥- قال الشعبى لنصرانى: السلام عـليكم ورحمة الله! فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: أوليس فى رحمة الله؟ لو لم يكن فى رحمة الله لهلك.

٦- من زوَّج كريمته من فاسق، فقد قطع رحمها.

٧- سُئِلَ الشعبى عن السماء، فقال: موج مكفوف، وسقف مسقوف، وبحر محفوف.

٨- لو كـانت الأرض تنـقص، لضـاق عليك حـشك، ولـكن تنقص الأنفس والثمرات.

٩- إنما هلكتم لأنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس.

١٠- سُمِّيت الأهواء أهواء، لأنها تهوى بصاحبها فى النار.

١١- ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه.

١٢- إنما يطلب العلم من كانت فيه خصلتان: العقل والنسك.

١٣- نعم الشيء الغوغاء: يسدون السيل، ويطفـئون الحريق، ويسغبون على ولاة السوء.

١٤- كان الشعبى مولعًا بهذا البيت:

ليـست الأحـلام فـى حـال الرضـا

إنما الأحــلام فى حــال الغــضب

١٥- العلم أكثر من عدد القطر، فخذ من كل شيء أحسنه.

٦٩- سعيد بن جبير الحنفي[1]
(ت ٩٥ هـ / ٧١٤م)

اسمه وكنيته ولقبه :

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، أبو محمد أو أبو عبدالله الكوفي .

نشأته وأصله:

حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، كان أعلم التابعين على الإطلاق.

فقهه وفتاواه ورأي الأئمة فيه:

أخذ علمه وفقهه عن ابن عمر، وعن عبدالله بن عباس، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يسألوه ويستفتونه، يقول لهم: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنيه .

وفاته:

قال عمرو بن ميمون عن أبيه : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج إلى علمه[2]، وكان يرجع صوته

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٢/ ٢٧٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١، والطبقات الكبرى ٦/ ١٧٨، وشذرات الذهب ١/ ١٠٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٣٨/ ترجمة ٧١، وطبقات المفسرين ١/ ١٨١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٤، والأعلام للزركلي ٣/ ٩٣.

(٢) قيل عندما ذهب سعيد بن جبير إلى مكة، قبض عليه واليها خالد بن عبدالله القسري (ت١٢٦هـ/ ٧٤٣م) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. ويقول ابن خلكان: إنه كان يعلب بالشطرنج استدباراً. وفيات الأعيان.

بالقرآن[(١)]، وقد قتله الحجاج لعنه الله فى شعبان سنة اثنتين وتسعين أو خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة.

من مسموعاته ومأثوراته ومواقفه:

١- التوكل على الله جماع الإيمان.

٢- اللهم إنى أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك.

٣- كان سعيد بن جبير يخرج كل سنة مرتين: مرة للحج، ومرة للعمرة.

٤- لئن أؤتمن على بيت من الدر، أحب إلىَّ من أن أؤتمن على امرأة حسناء.

٥- علامة هلاك الناس إذا مات أو ذهب علماؤهم.

٦- إن الفجر إذا طلع، فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح.

٧- ما زال البلاء بأصحابى حتى قلت: ليس لله فىَّ حاجة، حتى نزل بى البلاء.

٨- من إضاعة المال، أن يرزقك الله حلالاً، فتنفقه فى معصية الله.

٩- سئل سعيد: أى الشيئين أفضل الشكر أم الصبر؟ قال سعيد: الصبر والعافية أحب إلىَّ.

١٠- وَدِدْت لو أن الناس أخذوا ما عندى من العلم.

١١- كان عمر آدم ألف، فجعل لداود أربعين سنة، والأقلام رطبة تجرى.

---

(١) وفى الحلية ٤/ ٢٧٣: كان سعيد يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء فى شهر رمضان وفيه أيضًا: «دخل الكعبة، فقرأ القرآن فى ركعة» اهـ.

٧٠- إبراهيم النخعى[١]
(ت ٩٦ هـ / ٧١٥م)

اسمه ولقبه وكنيته :

هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران، النخعى.

نشأته وأصله:

من مذجح، من أهل الكوفة.

ورعه وتقواه وعلمه:

كان إبراهيم النخعى من أكابر التابعين وأعظمهم قدرًا فيه من الصلاح والصدق وحسن السيرة، وصدق الرواية والحفظ للحديث مالا يتوفر لكثير من أضرابه ونظرائه.

كان إمامًا مجتهدًا ذا مذهب متبوع، وقيل: إنه فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبى فى زمانهما.

وفاته:

لما شعر بخطورة وحرج موقفه مع بطش الحجاج اختفى عن الساحة ومات مختفيًا عن الأنظار سنة ست وتسعين للهجرة[٢] عن تسع وأربعين سنة.

---

(١) حلية الأولياء ٤/٢١٩/ ٢٧٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٨٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٣، وشذرات الذهب ١/ ١١١، والعبر للذهبى ١/ ١١٣، وميزان الاعتدال ١/ ٧٤، وابن خلكان ١/ ٣، وطبقات الحفاظ ٦٨، والأعلام ١/ ٨٠.

(٢) قال فيه الشعبى لما بلغه موته: والله ما ترك بعده مثله، وزكَّاه صلاح الصفدى فقال: إبراهيم النخعى فقيه العراق، كان إمامًا مجتهدًا له مذهب، وذكر أبو نعيم فى الحلية ٤/ ٢٢١، بإسناده عن ابن الحبحاب: أن الشعبى قال: كان أفقه من الحسن ومن أهل البصرة ومن أهل الكوفة ومن أهل الحجاز. اهـ بتصرف.

من مواقف ومأثورات إبراهيم النخعى:

١- كان أصحابنا يكرهون تفسير القرآن ويهابونه.

٢- لا تجالسوا أهل الأهواء.

٣- وددتُ لو أنى لم أكن تكلمت، ولو وجدت بدًّا من الكلام ما تكلمت، وإن زمانًا صرت فيه فقيهًا لزمان سوء.

٤- والله إن المرجئة لأبغض إلىَّ من أهل الكتاب.

٥- بكى إبراهيم النخعى فى مرضه: فقالوا له: يا أبا عمران، ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكى، وأنا أنتظر رسولاً من ربى يبشرنى إما بهذه وإما بهذه.

٦- إذا لقى الله الرجل المسلم وهو نقى الكف من الدم، أن يتجاوز الله عنه، ويغفر له ماسوى ذلك من ذنوبه.

٧- لا يستقيم رأى إلا برواية، ولا رواية إلا برأى.

٨- الكذب يفطر الصائم.

٩- من ابتغى شيئًا من العلم يبتغى به وجه الله عز وجل، آتاه الله منه ما يكفيه.

١٠- إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه، فإنه لا يدرى أى الدعاء يُستجاب له.

١١- الجور فى الطريق خير من الجور فى الدين.

١٢- لا بأس بذكر الله في الخلاء فإنه يصعد.

١٣- إني لأرى الشيء أكرهه فى نفسى فما يمنعنى أن أعيبه إلا كراهية أن ابتلى بمثله.

١٤- إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى، فاغسل يديك منه.

١٥- ما أشد كراهة التلون فى الدين.

٧١- أبو إسحاق السبيعى[١]
(ت ١٢٧ هـ / ٧٤٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو عمرو بن عبدالله بن عبيد، ويقال على، ويقال ابن أبى شعيرة الهمدانى الكوفى، أبو إسحاق السبيعى، أحد الأعلام المشهورين[٢]، وتزوج امرأة الحارث الأعور.

علمه وفقهه:

كان أبو إسحاق السبيعى من بنى ذى يحمد بن السبيع الهمذانى، وهو من أعلام التابعين[٣]، وكان ثقة مأمونًا فاضلاً، وقد رأى عليًا وهو يخطب، وقيل: كان يقرأ القرآن فى كل ثلاث ليال.

روايته:

قال على بن المدينى: روى أبو إسحاق السبيعى عن سبعين أو ثمانين رجلاً لم يرو عنهم غيره، وقد بلغت مشيخته نحوًا من أربعمائة شيخ، وقيل: سمع من ثمانية وثلاثين صحابيًا، وقال أحمد وابن معين: أبو إسحاق ثقة.

---

(١) تقريب التهذيب ٥٠٦٥ وحلية الأولياء ٤/ ٣٣٨/ ٢٧٧، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٤٦ وشذرات الذهب ١/ ١٧٤، والعبر للذهبى / ١٦٥، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ١١٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٥٠/ ٩٧، والأعلام ٥/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٢/ ١٨٠.

(٢) قال أبو حاتم: هو أحفظ من أبى إسحاق الشيبانى، ويشبه الزهرى فى كثرة الرواية واتساعه فى الرجال. اهـ بتصرف من تذكرة الحفاظ، وقيل كان شيخ الكوفة فى عصره.

(٣) قال أبو إسحاق: شهدت عند شريح فى وصية، فأجاز شهادتى وحدى، تاريخ الإسلام (٨/ ١٩٢).

بطولته وشجاعته:

كان عمرو بن عبدالله بطلاً وفارسًا مغوارًا شارك فى الفتوح وخير دليل على ذلك أنه غزا الروم فى زمن زياد ست غزوات، وقد عمى فى كبره.

وفاته:

توفى أبو إسحاق سنة سبع وعشرين ومائة[1]، يوم دخل الضحاك بن قيس الكوفة.

من مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١- ما أقلبت عينى غمضًا منذ أربعين سنة.

٢- غزوت فى زمان زياد ستًا أو سبع غزوات، ومات زياد قبل معاوية.

٣- قد كبرت وضعفت، ما أصوم إلا ثلاثة من الشهر، والاثنين والخميس، وشهور الحرم.

٤- رأيت على بن أبى طالب، وهو يصلى الجمعة إذا زالت الشمس.

٥- ذهبت الصلاة منى وضعفت، ورق عظمى، فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقَام، فإذا أقاموه قرأ ألف آية وهو قائم.

٦- قال له الشَّعْبِىّ: أنت خيرٌ منى يا أبا إسحاق، فقال: لا والله، ما أنا بخير منك، بل أنت خيرٌ منى وأسن.

---

(١) وقال أبو نعيم وأبو عبيد وابن أبى شيبة: مات سنة ثمان وعشرين، وقال الذهبى: وكان أبو إسحاق ربما دَلَّس.

٧٢- ضرار بن مرة (١)
(ت ٣٢ هـ / ٦٥٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

ضرار بن مرة الكوفى، أبو سنان الشيبانى الأكبر، ثقة ثبت، مأمون.

كان من البكائين:

قيل: إن البكائين أربعة: مطرف بن طريف، ومحمد بن سوقة، وابن أبجر، وأبو سنان ضرار بن مرة.

شهادة الائمة له ولفضله:

ذكر أبو نعيم فى حلية الأولياء من طريق موسى بن إسحاق بإسناده عن أبيه عن سفيان قال: ما رأيت أحدًا كان أرقَّ من أبى سنان ضرار بن مرة، وعمار الدهنى، ومحمد بن سوقة(٢).

وذكر فيه أيضًا أن محمدًا بن سوقة، وضرار بن مرة إذا كان يوم الجمعة طلب كل واحد منهما صاحبه، فإذا اجتمعا جلسا يبكيان(٣).

وفاته:

توفى ضرار بن مرة سة اثنتين وثلاثين للهجرة، فرضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٩١/ ٢٩٧.

(٢) السابق.

(٣) المصدر السابق.

من مأثوراته ومواقفه ولطائفه:

١- كان ضرار بن مرة قد حفر قبره قبل موته بخمس عشر سنة، وكان يأتيه، فيختم فيه القرآن.

٢- قيل: إنه كان قد حفر فى بيته قبراً كان يتعبد فيه.

٣- الغيبة أشد من سبعين حوبًا، قيل له: ما الحوب؟ قال: الرجل يجامع أمه سبعين مرة.

٤- روى بسنده عن النبى ﷺ قال: «كان النبى ﷺ يتعوذ من أربع: من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع»(١).

رضى الله عنه وسلام عليه فى الصالحين.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك، عن عبدالله بن مسعود بإسناده ١/ ٥٣٤، وضعفه السيوطى من هذا الطريق في جامعه الصغير ١/ ٩٢/ ١٤٩٠، وأخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٢٥٥، ٢٨٣، كما أخرجه بإسناده من طريق حماد بن سلمة عن أنس فى حلية الأولياء ٦/ ٢٥٢.

٧٣- (الأعمش) سليمان بن مهران[١]
(ت ١٤٧ هـ / ٧٦٤م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى، أبو محمد الكوفى، الأعمش، ثقة حافظ، تابعى مشهور.

أصله ونشأته:

أصل سليمان الأعمش من بلاد الرى، وقد نشأ وتربى فى الكوفة، قيل كان مولده سنة ستين عام قتل الحسين بن على.

علمه وفقهه ومنزلته:

كان ؓ عالمًا بالقرآن وتفسيره، والحديث والفرائض[٢].

روايته:

روى نحواً من ألف وثلاثمائة حديث.

شهادة العلماء له:

قال الذهبى: كان رأسًا فى العلم النافع، والعمل الصالح، وذكر الإمام

---

(١) الطبقات الكبرى ٦/٢٣٨، وتاريخ بغداد ٩/٣/٤٦١١، ووفيات الأعيان ١/٢١٣، وحلية الأولياء ٥/٤٦/٢٨٨، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٥٤/رقم ٢٦١٥، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/١٥٤، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٣١، وشذرات الذهب ١/ ٢٢٠، والعبر للذهبى ١/٢٠٩، ولسان الميزان ٦/٥٦٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٤، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢/ ١٠.

(٢) قال يحيى بن القطان: كان من النساك، وكان محافظًا على الصلاة فى الجماعة، وعلى الصف الأول.

السخاوى أنه لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء فى مجلس أحقر منهم فى مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائة للهجرة، ولما كان مولده سنة إحدى وستين يكون قد عاش ستًا وثمانين سنة (على الصحيح الراجح).

من مأثوراته ولطائفه:

١- أعظم الخيانة أداء الأمانة إلى الخائنين.

٢- نقض العهد وفاء العهد لمن ليس له عهد.

٣- ويلكم، والله ما أعرف أحداً أجعل عرضى دونه، فكيف أجعل دينى دونه؟!!

٤- يوشك أن أحتبس على الموت إذا وجدته بالثمن الذى اشتريته.

٥- آية الثقيل الوسوسة، لأن أهل الكتابين لا يدرون بالوسوسة، وذلك لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء.

٦- قيل له فى مرض موته: ندعو لك الطبيب؟ فقال: ما أصنع به فوالله لو كانت نفسى بيدى لطرحتها فى الحش، إذا أنا مت، فلا تؤذنن بى أحدًا، واذهب بى واطرحنى فى لحدى.

٧- أبى أن يحدث نفراً من المساكين قائلاً: من يعلق الدر على نحور الخنازير.

٨- كان إذا حدث يخشع ويعظم العلم.

٧٤- مسْعَر بن كدَام [١]
(ت ١٥٢ هـ / ٧٦٩م)

اسمه ولقبه وكنيته:

مِسْعَر بن كِدَام (بسكر أوله وتخفيف ثانيه) ابن ظهير الهلالى العامرى، أبو سلمة الكوفى.

علمه وفضله وشهادة العلماء الأعلام له:

كان ثقةً ثبتًا فاضلاً مأمونًا. قال الثورى: كنا إذا اختلفنا فى شىء سألنا عنه مسعرًا[٢]، وقال شعبة: كنا نسمى مسعرًا المصحف.

وفاته:

توفى سة اثنتين وخمسين ومائة، وقيل: ثلاث وخمسين، وقد كان رحمه الله للحق ناصحًا ودودًا وفى عبادة ربه كادحًا كدودًا.

من مأثوراته وحكمه:

قيل له: أتحب أن يخبرك أحدُ بعيوبك؟ قال: نعم إن كان ناصحًا، وإن كان يريد أن يؤنبنى، فلا، وسمع ينشد:

ألا قد فسد الدهر ... وأضحى حلوه مُرًّا
وقد جرَّبت من أهوى ... فقد أنكرتهم طرًّا
فألزم نفسك اليأس ... من الناس تعشْ حُرًّا

---

(١) حلية الأولياء ٧/٢٠٩/٣٨٩، وتهذيب التهذيب ١٠/١١٣، وذكر الخزرجى وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة. التذهيب ٣٢٠، وذكر غيره غير ذلك، تذكرة الحفاظ للذهبى ١/١٨٨، والتقريب ص ٥٢٨/٦٦٠٥، والعبر للذهبى ١/١٢٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص٨٨/ رقم ١٧٣.

(٢) قال سفيان بن عيينة: ما رأيت أفضل من مسعر. وقال أيضًا: كان مسعر من معادن الصدق.

٧٥- سفيان بن سعيد الثورى[١]
(ت ١٦١ هـ / ٧٧٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، أبو عبدالله الكوفى، من بنى ثور ابن عبد مناة، من مضر.

نشأته ومولده:

ولد ونشأ بالكوفة، وكان مولده سنة سبع وتسعين.

درجته العالية فى الحديث:

قيل: إن سفيان الثورى هو أمير المؤمنين فى الحديث[٢]، وكان سيد أهل زمانه فى علوم الدين، والورع والتقوى. قال عنه السيوطى: سفيان أحد الأئمة الأعلام[٣]، وقال عنه ابن مهدى: ما رأيت أحفظ للحديث من الثورى.

أبو جعفر المنصور يراوده على الحكم:

راود أبو جعفر المنصور سفيان الثورى على أن يلى الحكم فأبى، ثم خرج من الكوفة سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة فسكن مكة والمدينة.

---

(١) حلية الأولياء ٦/٣٥٦/٣٨٧، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١/ ٤٧٦٣، وتقريب التهذيب ٢٤٤/ ٢٤٤٥، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٩٥/رقم ١٨٨، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٠، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ١٨٦، والعبر للذهبى ١/ ٢٣٥، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢/ ٣٩.

(٢) قال ذلك شعبة وغير واحد من العلماء.

(٣) قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان، وقال شعبة: ساد سفيان الناس بالعلم والورع.

المهدى يطلب سفيان الثورى:

ثم طلبه المهدى، فتوارى، ثم أشخص مستخفيًا إلى البصرة، حتى مات فيها وهو فى استخفائه.

وفاتـه:

توفى سفيان الثورى سنة إحدى وستين ومائة عن أربع وستين سنة.

من مأثوراته ولطائفه وحكمه الفريدة:

١- إن الرجل كان لا يطلب الحديث حتى يتعبد قبله عشرين سنة.

٢- زينوا العلم بأنفسكم، ولا تزينوا بالعلم.

٣- الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فـإذا فسد العلماء، فمن يشفى الداء؟

٤- العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فـإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه، فمتى يداوى غيره؟

٥- ما أطاق أحد العبادة ولا قوى عليها إلا بشدة الخوف.

٦- إنما فضل العلم على غيره ليُتَّقَىَ الله به.

٧- حسن الأدب يطفىء غضب الرب.

٨- تعلموا هذا العلم، واكظمـوا وافرغوا عليـه، ولا تخلطوه بضحك فتجمد القلوب.

٩- أول العلم: الصـمت، والثانى: الاستـماع له وحفـظه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه.

١٠- ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

١١- فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة. ١

١٢- وَدِدْتُ أن أَنْجُوَ من هذا الأمر كفافًا لا لى، ولا على.

١٣- إن هذا الحديث عز، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة.

١٤- ليس شىء أنفع للناس من الحديث.

١٥- إنما العلم بالآثار.

١٦- طلب العلم خشية لله تعالى.

٧٦- وكيع بن الجراح[(١)]
(ت ١٩٧ هـ / ٨١٢م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى، أبو سفيان، ثبت كان محدث العراق فى عصره.

ولادته ونشأته:

ولد بالكوفة سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة، وكان أبوه ناظرًا على بيت المال فيها.

تفقهه وطلبه للعلم:

حفظ وكيع بن الجراح القرآن الكريم واستظهره صبيًا، ثم عمد إلى علم الحديث، فحفظ منه ما شاء الله له أن يحفظه، وكان له ما أراد.

أخلاقه وتواضعه وعبادته:

قال الإمام أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ، ولا رأيت معه كتابًا قط ولا رقعة[(٢)]، وكان ﷺ يصوم الدهر.

---

(١) حلية الأولياء ٨/٣٦٨/٤٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/٢٨٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ١٣/٤٦٦/ ٧٣٣٢، وتذكرة الحفاظ ١/٣٠٦، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٩١، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٥، وطبقات الحفاظ ١٣٣/ ٢٧٢، وشذرات الذهب ١/ ٣٤٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٧٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٥٣، والجواهر المضيئة ٢/ ٢٠٨، وفى هامشه: توفى وكيع سنة ١٩٢هـ. والرؤاسى: نسبة إلى رؤاس: وهو بطن من قيس عيلان.

(٢) وورد أيضًا عن أحمد قوله: وكيع إمام المسلمين.

وقال ابن معين: ما رأيت أفضل منه، كان يستقبل القبلة، ويحفظ حديثه[1]، ويقوم الليل، ويسرد الصوم، ويُفتى بقول أبى حنيفة.

امتنع عن قبول القضاء:

أراده الرشيد على قضاء الكوفة، فأبى وامتنع تورعًا.

وفاته:

توفى رحمه الله بفيد راجعًا من الحج، وكان ذلك سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة، وقيل ست وتسعين. والله أعلم.

من مأثوراته وحكمه ولطائف أقواله:

١- إنما العاقل من عقل عن الله أمره، ليس من عقل أمر دنياه.

٢- أغلظ رجل لوكيع بن الجراح، فدخل بيتًا فعفر وجهه فى التراب، ثم خرج إلى الرجل فقال: زد وكيعًا بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه.

٣- قال ابن جنادة: جالست وكيع بن الجراح سبع سنين، فما رأيته بزق، ولا مَسَّ حصاةً، ولا جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

٤- زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدتى السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة.

---

(١) لكن ابن المدينى قال: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بألفاظه، لكانت عجبًا، وأحصى له البلخى هنات.

٧٧- الأحنف بن قيس[١]
(ت ٧٢ هـ / ٦٩١م)

اسمه ولقبه وكنيته:

الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى، السعدى المنقرى التميمى، أبو بحر. سيد تميم، وهو من الدهاة العظماء الشجعان الفاتحين، الأكابر.

أخلاقه وكرمه وتواضعه:

كان الأحنف بن قيس مضروبًا به المثل فى التواضع والحلم.

مولده ونشأته وحياته:

وُلِدَ الأحنف بن قيس فى البصرة، وأدرك النبى ﷺ ولم يره، وقد وفد على عمر بن الخطاب حين آلت الخلافة وانتهت إليه فى المدينة، وقد استبقاه عمر فى المدينة عامًا ثم أذن له بالرحيل فعاد إلى البصرة، وقد اشتهر الأحنف برجاحة العقل ورزانة الحصاة.

درجته من العلم والفقه:

كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى: «. . . أما بعد، فأدن الأحنف وشاوره، واسمع منه. . . إلخ»[٢] وهذا خير دليل، وأقطع برهان على ثقة عمر به واطمئنانه على فهمه وعلو رتبته فى الفقه.

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/٣٠٩، وفيه تاريخ وفاته سنة اثنتين وسبعين هجرية، وجمهرة أنساب العرب ٢٠٦، وتهذيب التهذيب، وتهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠.

(٢) راجع الأعلام للزركلى ١/٢٧٦.

وشهد الفتوح فى خراسان[١]، ثم إنه اعتزل الفتنة يوم الجمل بين على ومعاوية، ثم شهد بعد ذلك موقعة صفين مع على[٢]، وقد ولِّىَ خراسان، وقد وفد عليه مصعب بن الزبير (أمير العراق) -وكان صديقًا له- بالكوفة، فتوفى فيها وهو عنده.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة اثنتين وسبعين للهجرة.

من مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١- ما ذكرت أحدًا بسوء بعد أن يقوم من عندى.

٢- لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا حيلة لبخيل، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

٣- اشتكى إليه ابن أخيه وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

٤- قيل له: ألا تأتى الأمراء؟ فأخرج جرة مكسورة فنكبها فإذا كسر، فقال: من كان يجزيه مثل هذا ما يصنع بإتيانهم.

٥- قيل لخالد بن صفوان: بم بلغ الأحنف بن قيس فيكم؟ قال: كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقًا، وكان موفقًا للخير، معصومًا من الشر، وكان أشد الناس على نفسه سلطانًا.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى، معجم البلدان لياقوت الحموى ٣/٤٠٩. بتصرف.

(٢) قيل: لما انتظم الأمر لمعاوية بن أبى سفيان عاتب الأحنف بن قيس، أغلظ له الأحنف فى القول، فلما سُئِلَ معاوية عن حلمه عليه وصبره، قال: هذا الذى إذا غَضبَ غَضبَ له مائة ألف، لا يدرون فيم غَضبَ. وهذا أقطع برهان على أن الرجل كان متربعًا فى قلوب الناس وضمائر القوم جميعًا.

٧٨- أبو رجاء العطاردى [1]
(ت ١٠٦ هـ / ٧٢٠م)

اسمه وكنيته ولقبه:

عمران بن ملْحان، ويقال: ابن تيم البصرى.

مولده ونشأته:

ولد ونشأ بالبصرة، وكانت ولادته سنة.

علمه وشخصيته:

كان عالمًا بالقرآن والرواية.

حياتـه:

عاش عمران بن ملحان (أبو رجاء العطاردى) مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر من ذلك.

وفاتـه:

توفى سنة مائة وست أو سبع.

من مأثوراته ولطائفه:

١- والله للمؤمن أذل فى نفسه من قعود إبل.

٢- دعا مـرة لأطفال عُـرِضُوا عليـه فقـال: اللهم قد أحـسنت نبتـهم فأحسن حصدتهم.

---

(١) تاريخ بغـداد ٤/ ٢٦٢/ ٤٠٠٢، وتذكـرة الحفـاظ للذهبـى ١/ ٦٦، وتهـذيب التـهـذيب ٨/ ١٤٠، والطبقات الكبـرى لابن سعد ٧/ ١٠٠، وطبقات الحفـاظ للسيوطى ٣٢ رقم ٥٥، وطبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٦٠٤، وحلية الأولياء ٢/ ٣٠٤/ ١٩٥.

٧٩- (أبو نعيم)
أحمد بن عبدالله بن أحمد [١]
(ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨م)

اسمه ولقبه وكنيته:

أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهانى، أبو نعيم.

مولده ونشأته:

ولد ونشأ بأصبهان، وكانت ولادته سنة ست وثلاثين وثلاثمائة للهجرة المشرفة، واستجاز له أبوه طائفة من شيوخ عصره تفرد عنهم[٢].

علمه وفضله:

كان أبو نعيم ثقة مأمونًا، حافظًا مؤرخًا، حجة فى الحفظ والرواية، وكتابه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» مصدر رئيسى ينهل منه الكتاب والعلماء والباحثون، وعليه عوَّلنا فى كثير من تراجمنا التى حررناها فى هذا الكتاب، وهو الذى لم يصنف أحدٌ كتابًا مثله لا قبله ولا بعده، ولأجل ذلك كان الرجل مرحولاً إليه فلم يكن فى الآفاق أحفظ منه، بل إن خير دليل وشاهد على علم الرجل وفضله وسعة علمه ودقة إحاطته بالدراية والرواية وعلم الرجال كتابه الموسوعى الدقيق هذا «حلية الأولياء» وفيه تتجلى براعته

---

(١) طبقات الشافعية ٣/ ٧، ولسان الميزان لابن حجر ١/ ٢٠١/ ٦٣٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦، وميزان الاعتدال ١/ ١١١/ ٤٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣/ ٣٠٥، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٤٦، وشذرات ابن العماد ٣/ ٢٤٥، وتاريخ بغداد ١/ ٤١٧/ ٤٢٠.

(٢) بل نقول تفرد عنهم وبذهم وشاءهم وتفوق عليهم، وممن أجازوه خيثمة بن سليمان (ت٣٤٣هـ) وجعفر الخلدى وعبدالله بن عمر بن شوذب الواسطى، والأصم النيسابورى، وأحمد بن عبدالرحيم القيْسرانى وجماعة من بغداد وجماعة من الشام.

فى الرواية من تمحيص، وتمحيص روايات الرواة، وهو فى كل ترجمة يصدرها بنفحة من الجليلة نعتبرها من الحكم الغالية والدرر النفيسة، والمأثورات الجليلة التى انفرد بها، وهى لا يستوعبها سفرٌ جامع.

قال الذهبى فى ترجمته له: «كان أحد الأعلام، ومن جمع الله له بين العلو فى الرواية والمعرفة التامة والدراية، رحل الحفاظ إليه من الأقطار، وألحق الصغار بالكبار»[1] اهـ.

وفى سير أعلام النبلاء[2] قال الذهبى: «لم يكن له غذاءٌ سوى التصنيف أو التسميع» اهـ.

ثم إن الفضل لا يعرفه لأولى الفضل إلا ذوو الفضل، فقد ذُكِرَ أن أصحاب الحديث كانوا يقولون: بقى أبو نُعَيْم أربع عشرة سنة بلا نظير، ولا يوجد شرقًا ولا غربًا أعلى إسنادًا منه، ولا أحفظ منه.

لكن أبا نعيم كان مهجوراً بسبب المذهب، حتى إنهم منعوه من الجلوس فى الجامع، وكان ذلك بسبب الفتنة التى استعرت بين الحنابلة والأشاعرة.

ثم إن المأخوذ على أبى نعيم أنه كان يتساهل فى السماع[3] فى بعض الأشياء، إذ كان يقول فى الإجازة «أخبرنا» من غير أن يبين، وهذا القول تزعمه الخطيب[4] وتبعه فى ذلك نفر غير قليل.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى بتحقيق الدكتور عمر عباس التدمرى، طبعة دار الكتاب العربى - بيروت لبنان ٢٩/ ٢٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٩.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (السابق) ١٧/ ٤٦٠، وتاريخ الإسلام ٢٩/٢٧٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٥.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١/ ٤١٧.

لكن ردَّ هذا الزعم بعضهم، وعـقب الذهبى على ذلك بقوله: إن هذا التساهل من أبى نعيم كان يقع نادرًا، وأوضح وضوحًا جليًا خطير الدلالة أن هذا التساهل لم يكن لقلة البضاعة ولا تعمد الخطأ، وقلة العلم، قال الذهبى[1] -وهو صادق-:

كان كثيرًا ما يقول: كتب إلىَّ جعفر الخلدى، كتب إلىَّ أبو العباس الأصم، أنبأنا عبدالله بن جعفر فيما قرئ عليه، والظاهر أن هذا إجازة، وقد حدثنى الحافظ أبو الحجاج القضاعى فقال: رأيت بخط ضياء الدين المقدسى الحافظ أنه وجد بخط أبى الحجاج يوسف بن خليل أنه قال: رأيت أصل سماع الحافظ أبى نعيم لجزء محمد بن عاصم، فبطل ما تخيله الخطيب.

وفاته:

توفى الحافظ أبو نعيم عليه رحمة الله ورضوانه لعشرين خلت من شهر المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة، وله أربع وتسعون سنة.

جملة من لطائفه ودرره ومأثوراته النفيسة:

١- فى وصفه أبى بكر ﷺ قال[2]: صار للمحن هدفًا، وللبلاء غرضًا، وزهد فيما عز له جوهرًا كان أو عرضًا، تفرد بالحق، عن الالتفات إلى الخلق.

٢- قال عن عمر بن الخطاب ﷺ[3]: كان للحق مائلاً وبالحق صائلاً، وللأثقال حاملاً، ولم يخف دون الله طائلاً، فرَّق الله به بين الفصل والهزل، وأيد بما قوَّاه به من لوامع الطول، ومهدله من منائح العضل شواهد التوحيد، ويدد به مواد التنديد، فظهرت الدعوة، ورسخت الكلمة.

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٩/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦١.
(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم ١/ ٢٨.
(٣) الحلية ١/ ٣٨.

٣ - وقال عن على كرم الله وجهه[١]: سيد القوم، محب المشهود، ومحبوب المعبود، رأس المخاطبات، ومستنبط الإشارات، راية المهتدين، ونور المطيعين، وولى المتقين، وإمام العادلين أقدمهم إجابة وإيمانًا، وأقومهم قضية وإيقانًا، وأعظمهم حلمًا، وأوفرهم علمًا.

وقال فيه أيضًا[٢]: صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، والأذن الواعى، والعهد الوافى، فقَّاءُ عيون الفتن، ووقى من فنون الزلل والمحن، فدفع الناكثين، ووضع القاسطين، ودفع المارقين، وردع الزائفين، ودمغ المارقين، الأخيشن فى دين الله، الممسوس فى ذات الله.

٤- قال عن عثمان بن مظعون[٣]: المتقشف المحزون، الممتحن فى عينه المطعون، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون، كان إلى الاستجابة سباقًا، وبمعالى الأحوال لاحقًا، وفى العبادة ناسكًا، وفى المحاربة فاتكًا، لم تنقصه الدنيا، ولم تحطه عن العليا... تعجل إلى المحبوب، فتسلى عن المكروب.

٥- قال عن عبدالله بن رواحة الأنصارى[٤]: المتفكر عند نزول الآيات، والمتصبر عند تناول الرايات، عبدالله بن رواحة الأنصارى، استشهد بالبلقاء، زاهدًا فى البقاء، راغبًا فى اللقاء.

٦- قال عن صهيب بن سنان[٥]: السابق المهاجر، المطعم التاجر، لماله بذول، ولنفسه قتول، ولدينه عقول، وبربه تعالى يجول ويصول.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٦١.
(٢) الحلية ١/ ٦٢.
(٣) الحلية ١/ ١٠٢، ١٠٣.
(٤) الحلية ١/ ١١٨.
(٥) الحلية ١/ ١٥١.

٧- قال عن أبى ذر الغفارىُّ[١]: العابد الزهيد، القـانت الوحيد، رابع الإسـلام، ورافض الأزلام، قـبل نزول الـشـرع والأحكام، وأول من حـيَّـا الرسول بتحـية الإسلام، لم تأخذه فى الحق لائمـة اللوام، ولا تفزعه سطوة الحكام، أول من تكلم فى علم البـقاء، وثبت علىٰ المـشقة والعنـاء، وحفظ العهود والوصايا وصبر على المحن والـرزايا، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حل بساحته المنايا.

٨- وقـال فى سلمان الفـارسى[٢]: سـابق الفرس، ورائق العـرس، الكادح الذى لا يبرح، والزاخر الذى لا يتزح، الحكيم والعابد العليم.

٩- قال عن معـاذ بن جبل[٣]: المحكم العدل، التارك للجـدل، مقدام العلماء، وإمـام الحكماء، ومطعم الكرماء، القارئ القـانت، المحب الثابت، السهل السرى، السمح السـخى، المولى المأمون، والوفى المصون، مؤتمن على العباد والأموال، ومصون من الموانع والأحوال.

١٠- وقال عن أبى موسى الأشعرى[٤]: العامل المعلم، صاحب القراءة والمزمار، الرابض نفسه بالسياحة فى المضمار، الأشعرى أبو موسى عبدالله بن قيس بن حضـار، كان بالأحكام والأقضية عالمًا، وفى أودية المحـبة والمشاهدة هائمًا، وبقراءة الـقرآن فى الحنادس مترنمًا وقائمًـا، وفى طول الأيام والحرور طاويًا وصائمًا.

١١- وقال عن عبـدالله بن العباس[٥]: اللقن المعلم، والفطن المفهم،

---

(١) الحلية ١/ ١٥٦.
(٢) الحلية ١/ ١٨٥.
(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٢٨.
(٤) الحلية ١/ ٢٥٦.
(٥) الحلية ١/ ٣١٤.

فخر الفخار، وبدر الأحبار، وقطب الأفلاك، وعنصر الأملاك، البحر الزخار، والعين الخرار، مفسر التنزيل، ومبين التأويل، المتفرس الحساس، والوضيء اللباس، مكرم الجلاس، ومطعم الأناس، عبدالله بن العباس.

١٢- قال عن أبى هريرة رضي الله عنه[١]: أشهر من سكن الصفة، واستوطنها طول عمر النبى ﷺ ولم ينتقل عنها، وكان عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين.

١٣- وقال عن الحسن البصرى[٢]: حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن، الفقيه الزاهد والمتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذًا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذًا[٣].

١٤- وقال عن محمد بن سيرين[٤]: ذو العقل الرصين، والورع المنين، المطعم للإخوان والزائرين، ومعظم الرجاء للمذنبين والموحدين، كان ذا ورع وأمانة، وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاءً نائحًا، وبالنهار بسامًا صائحًا يصوم يومًا ويفطر يومًا.

١٥- قال عن عبدالله بن عمر بن الخطاب[٥]: الزاهد فى الإمرة والمراتب، الراغب فى القربة والمناقب، المتعبد المتهجد، المتتبع للأثر المتشدد (لعله المتسدد، على ما ورد فى إحدى النسخ المخطوطة للحلية). نزيل الحصباء والمساجد، طويل الرغباء فى المشاهد، يعد نفسه فى الدنيا غريبًا، ويرى كل ما هو آت قريبًا، المستغفر التواب عبدالله بن عمر بن الخطاب.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٧٦.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٣١، ١٣٢.
(٣) واقذًا: اسم فاعل من (وقذ) والمعنى: ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت، وبابه وعد.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣.
(٥) حلية الأولياء ١/ ٢٩٢.

٨٠- محمد بن سيرين [1]
(ت ١١٠ هـ / ٧٢٩م)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

محمد بن سيرين البصرى، الأنصارى بالولاء، أبو بكر، تابعى من مشاهير التابعين، كان أبوه مولى لأنس بن مالك.

مولده ونشأته:

ولد الحسن البصرى سنة ثلاث وثلاثين للهجرة (لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ﷺ) فى البصرة حيث درج وعاش فيها وبين أرباضها، وكذلك كانت وفاته فى البصرة وكان قصيراً عظيم البطن، له وفرة، وكان يفرق شعره، كثير المزاح والضحك، يخضب بالحناء.

كان محمد بن سيرين يعمل بزّازًا، فى أذنه صمم، وقد كان من أكثر علماء عصره ورعًا وعلمًا وتقوى، لكنه كان مديونًا لكثير من الناس.

درجته فى العلم والدين وأقوال العلماء فيه:

نهل محمد بن سيرين من أفويق العلم منهومًا لا يشبع وصاديًا لا ينقع له غليل، حتى قيل: إنه شهد له الكثير من أعلام عصره ووقته بفرط علمه، وسخاء طبعه، وتقواه ورشده الذى بلغ مبلغًا لا يجارى فيه، وكان لنظافته يغتسل كل يوم، فكان نظيف الظاهر والباطن.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١/ ٢٨٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٧، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢١٤، وحلية الأولياء ٢/ ٢٦٣/ ١٩٣، وشذرات الذهب ١/ ١٢٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤٠، والعبر للذهبى ١/ ١٣٥، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١/ ٢٦٨، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٣٨/ ٧٢، والكامل لابن الأثير ٥/ ١٥٥، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/ ٣٥٦، وتاريخ ابن عساكر ١٥/ ٢١٣.

قال هشام: إن محمد بن سيرين قد أدرك ثلاثين صحابيًا[1].

وذكر الذهبى فى تاريخه[2]، والخطيب فى تاريخ بغداد[3] أن عَوْن بن عمـارة قال: حدثنا هشام بن هشـام، حدثنى أصدق من أدركت من البـشر، محمد بن سيرين اهـ.

وكان ابن عوْن يقول: ما رأيت مثل محمد بن سيرين.

بل إن أروع وأجمل الأوصـاف المنعوت بها ابن سـيرين ذلك الذى ورد على لسان مُوَرِّق العـجْلىّ: ما رأيت أحدًا أورع فى فقهه ولا أفـقه فى ورعه من محمد بن سيرين[4].

قال ابن شُبـرُمة: دخلت على محمد بن سـيرين بواسط، فلم أر أجبن منه عن فتيا، ولا أجرأ على رؤيا منه.

وذكر أبو نعيم وغـيره أن ابن سيرين لم يكن يعـرض له أمران فى دينه إلا أخذ بأوثقهما[5]. وكان أعلم الناس بالقضاء[6].

كان قويا شديدا على نفسه زاريا عليها محاسبا لها:

عاش محمد بن سيرين حياته كلها فقيرًا مُبتلى بالفاقة والعوز والحاجة، ولذلك كانت عليه ديونٌ كثيرة لم يقدر على النهوض بأدائها للغرماء... وهو بقوته على نفسه كان يزجرها ويحاسبها بشدة وصرامة... وما أشد ما عنفها وثَّربها ولامهـا أنها كانت وراء إفلاسه وابتـلائه بالعوز والفقر والحاجـة مبررًا ذلك بأنه عيَّر مرةً رجلاً بالفقر، فأبْتُلِى[7] به.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى ٧/ ٢٤٠ بتحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمرى.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ٧/ ٢٤٠.
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ٥/ ٣٣٤، ومابعدها. وكان خُلَيْف بن عـقبة يقول: كان ابن سيرين نسيج وحده اهـ. أى لا مثيل له ولا ضريب يحاكيه فى شخصه وعلمه وأدبه.
(٤) وردت بلفظ: أفقه فى ورعه، ولا أورع فى فقهه، فى كتاب الخطيب ٥/ ٣٣٤.
(٥) أخذًا بالأحوط. راجع حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.
(٦) كذا قال عثمان التيمى فيه: لم يكن أحدٌ بالبصرة أعلم منه بالقضاء.
(٧) ذكر الذهبى فى تاريـخه ٧/ ٢٤٤، وأبو نعيم فى حليـة الأولياء ٢/ ٢٧١، أن محـمد بن

من مأثوراته ومسموعاته ولطائفه:

١- كان ابن سيرين يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان الذي يفطر فيه يتغدى فلا يتعشى، ثم يتسحر ويصبح صائمًا.

٢- اتق الله في اليقظة، لا يضرك ما رأيت في المنام.

٣- الرمان بين الفاكهة مثل جبريل بين الملائكة.

٤- لما حضرته الوفاة قال لابنه: يابني اقضِ عني، وتقضَّ عني إلا الوفاء، قال: يا أبت: أعتق عنك؟ قال: إن الله تعالى لقادر أن يأجرني وإياك فيما صنعت من خير.

٥- قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين أُتوا، وكثرت ذنوبنا فلم نعرف من أين نؤتى.

٦- كان محمد بن سيرين مسجونًا، ورأى السجان من ورعه وتقواه ورشده، فأراد أن يكرمه ويحسن إليه، فقال له: «إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعالَ» فقال ابن سيرين: «لا، والله لا أُعينك على خيانة السلطان»(١).

٧- مالك جالست أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي ﷺ.

٨- إذا كان رجل مذكورًا من قومه أمام ابن سيرين بسيئة، ذكره هو (ابن سيرين) بأحسن ما يعلم عنه.

٩- جاءه قوم فقالوا: إنا نلنا منك، فاجعلنا في حِلٍّ.

١٠- وصيته لأهل بيته: «... أن تتقوا الله تعالى، وأن تُصْلِحُوا ذات بينكم، وأن تطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين».

رحم الله محمد بن سيرين ورضي عنه.

سيرين قال: إني لأعرف الذي حمل عليَّ الدين، قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مُفْلِس. قال أبو سليمان الداراني: وقد بلغه هذا فقال: قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا، وكثرة ذنوبنا فلم نعرف من أين نؤتى اهـ.

(١) الخطيب في تاريخه ٥/ ٣٣٤.

٨١- إيــاس بن معاوية[١]
(إياس القاضى)
(ت ١٢٢ هـ / ٦٤٠م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

إياس بن مـعاوية بن قـرة المزنى، أبو واثلة، أصله من قـبـيلة مضـر، مفخـرةً للقضاء والقضاة، ومفـخرة لكل مصرى وعربى، أنه قـاضى البصرة الشهـير الجـهيـر الصيت بالذكاء والـزكانة والفطنة وحـضور البديهـة وجليل الاستنباط.

فطنته وذكاؤه وفراسته فى القضاء:

كان آية من آيات الله، وأعجوبة من أعاجيب الزمان فى قوة الاستنباط، وحدة الذكـاء الفطرى، فكان مضـروبًا به المثل فى ذلك، إذ كانـوا يقولون: «أذكى من إياس»[٢].

ثم إن أخباره ونوادره مبسوطة فى دواوين الأدب العربى وكتب تراجم القضاة، وهى تنطوى على براعة فائقة، وحدة فى الذهن، وتوقد فى الحافظة حاضـرة لاستـدعاء مخـزونها فى طرفـة عين وفى أى وقت، وقـد كان فى فراسته أعجوبة الزمان وأخباره فى ذلك أكثر من أن تُحْصَى.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٢٣/ ٢٢٧، ومـيزان الاعتدال ١/ ١٣١، ووفيـات الأعيان لابن خلكان ١/ ٨١، والبيان والتبين للجاحظ ١/ ٥٦، وتـهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٧٥، وتهذيب ابن حجر ١/ ٣٩٠، وأخبار القضاة ١/ ٣٢، وآداب القضاة.

(٢) جمـهرة الأمـثال لأبي هلال العـسكرى ١/ ٤١٣/رقم٩٢٥، وفيـه ورد بلفظ: (أزكن من إياس). قـال الذهبى: كان إياس أحـد من يضـرب به المثل فى الذكاء والرأى والسـؤدد والعقل. تاريخ الإسلام ٨/ ٤٢ بتصرف.

قال المدائنى: كان إياس قاضيًا فائقًا ذكيًا، استقضاه عمر بن عبدالعزيز ثم هرب(١).

قيل إن ولايته القضاء كانت سنة واحدة، ثم ولى بعده الحسن القضاء مُكرهًا على غير رغبة منه.

من مواقفه المشهودة:

١- أورد وكيع بسنده عن سفيان بن حُسين قال: قال لى إياس بن معاوية: إن أمى كانت امرأة أعجمية فكانت تقول: «ونَروَد ونَروَد»(٢)، وإنى لا آمن أن يكون لا يحصى ذلك، فكفرتُ عنها ألف يمين(٣).

٢- من المواقف المثيرة أيضًا أنه ذات مرة دخل المسجد مع سفيان بن حسين، وكان صديقًا له، فقال إياس: إن أمى خرجت وهى علىَّ غضبى، وأنا أكره أن أصير إلى التعريف والدعاء، وهى غضبى، فقم لى حتى استرضيها، فدنا من ظلة أنسان، وخرجت إليه أمه، فجلس بين يديه، واضعًا يديه على خديه، منكسًا رأسه طويلاً، ثم قام فقال لى: اذهب بنا فقد رضيت.

هذه أخلاق الصفوة والسادة من أئمة الأمة الأعلام.

من أقوال العلماء فى إياس:

قال أيوب: ما رأينا قاضيًا يشبه إياس بن معاوية. وقال النميرى: كان

---

(١) واختُلفَ فى سبب هروب إياس من القضاء، فلعل أرجحها أنه ردَّ شهادة شريف مطاع، فآلى أن يقتله فهرب لذلك، راجع هذه فى كتاب «أخبار القضاة» لوكيع بن الجراح، الطبعة الأولى بنشر عالم الكتب ١/ ٣١٣-٣١٦.

(٢) وهذه لفظة فارسية مفادها ومؤداها ينطوى على معنى الذهاب، واليمين، لكنها غير واضحة هل هى يمين أو لا تعتبر يمينًا، لكنه من شدة حدبه على أمة وإشفاقه عليها اعتبر تلك يمينًا.

(٣) ذلك أخذًا بالأحوط، برًا بأمه.

رزق إياس بن معاوية مائة درهم. وقال عنه أبوه: نعم الابن كفانى أمر دنياى، وفرّغنى لأمر آخرتى.

قال الجاحظ: كان إياس بن معاوية من مفاخر مضر ومن متقدمى القضاة، كان صادق الحدس، نقّابًا، عجيب الفراسة، ملهمًا وجيهًا عند الخلفاء... ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لتأليف كتاب عنه إن شاء الله.

وفاته:

توفى إياس القاضى بواسط سنة اثنتين وعشرين ومائة.

من مأثوراته وحكمه ولطائفه:

١- ما أحب أن أكذب كذبة لا يطلع عليها إلا الله، ولا أؤاخذ بها يوم القيامة، وإن لى مفروحًا من الدنيا.

٢- كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق، قالوا: يا أبا واثلة، ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

٣- قيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك؟ قال: نعم الابن، كفانى أمر دنياى، وفرغنى لآخرتى.

٤- أنا أكلم الناس بنصف عقلى، فإذا اختصم إلىّ اثنان جمعت عقلى كله.

٥- سئل: ما الظلم؟ قال: أن يأخذ الإنسان ما ليس من حقه.

٦- كان أفضلهم عندى -يعنى الماضين- أسلمهم صدرًا، وأقلهم غيبة.

٧- ما كلمت أحدًا من أصحاب الأهواء بعقلى كله إلا القدرية.

٨- من عُدِمَ فضيلة العقل، فقد فُجِعَ بأكرم أخلاقه.

٩- كل ديانة أسست على غير ورع فهى هباء.

١٠- لست بخَبٍّ ولا يخدعنى الخَبُّ، ولا يخدع محمد بن سيرين، ولكنه يخدع أبى ويخدع الحسن، ويخدع عمر بن عبدالعزيز.

١١- ما بعد عهد قوم بنبيهم إلا كان أحسن لقولهم وأسوأ لفعلهم.

١٢- قيل له: إنك معجبٌ برأيك، فقال: لو لم أعجب به لم أقض به[(١)].

١٣- قال رجل لإياس: علمنى القضاء، قال: إن القضاء لا يُتَعَلَّم إنما القضاء فهم.

١٤- سُئِلَ إياس: ما عيبك؟ قال: الإكثار.

١٥- وقالوا لإياس: إنك تكثر الكلام!! قال: أفبصوابٍ أتكلم أم بخطأ؟ قالوا: بصواب. قال: فالإكثار من الصواب أفضل[(٢)].

١٦- لما ماتت أم إياس بكى، فقيل: ما يُبَكِّيك؟ قال: كان لى بابان مفتوحان من الجنة، فأغلق أحدهما[(٣)].

١٧- لا تزوج المرأة إذا كانت تُكلَّمُ فتسمع، ولا تمشى فتسرع ولا تزوج صغيرة الرأس، فإن عقلها فى رأسها.

١٨- لا خير فيمن لا يعرف عيب نفسه، قيل: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام[(٤)].

١٩- قال إياس لخالد بن صفوان: يا أبا صفوان، أنا وأنت ينبغى أن نجتمع، قال: أنت لا تريد أن تسكت، وأنا لا أريد أن أسمع.

٢٠- إياك وما يستبشع الناس الكلام، وعليك ما يعرف من القضاء.

---

(١) أخبار القضاة لوكيع ١/ ٣٤٦.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٣٤٤.
(٣) أخبار القضاة ١/ ٣٤٤.
(٤) المرجع السابق ١/ ٣٤٥، ٣٤٦.

٨٢- أيـوب السّختيانى (١)
(ت ١٣١ هـ / ٧٤٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى، البصرى، أبو بكر.

مولده ونشأته:

ولد سنة ست وستين للهجرة، وقضى حياته بالبصرة(٢).

عالم وفقيه عصره:

كان سيد فقهاء عصره عن جـدارة واستحقاق، وهو من أكابر التابعين، كان مشهوراً بالنسك والزهد والورع والتقوى والخشية والخشوع، وكان حافظًا ثقة(٣).

أقوال العلماء فيه:

قال ابن عيينة عنه: لم ألق مثله(٤)، وقال شعبة: كان سيد الفقهاء(٥)، وقال هشام بن عروة: لم أر فى البصرة مثل أيوب، وورد أن محمد بن سعد

(١) حلية الأوليـاء ٣/ ٣/ ٢٠١، وتهذيب التهـذيب ١/ ٢٩٧، والأعلام ٢/ ٣٨، وتاريخ أبى زرعة ١/ ٤٧٢، ٤٧٣، وتقريب التهذيب لابن حجر.

(٢) قال حماد بن زيد: كان يبيع الأدم، وورد أنه حج أربعين حـجة، وقال شعبة: ما وعدت أيوبًا موعدًا إلا وجدته قد سبقنى إليه.

(٣) سمع من عـمرو بن سلمـة الجرمى، أبا العليـة وسعـيد بن جبـير، وأبا قـلابة، والحسن البصـرى، وخلقًا سـواهم وعنه شعبـة والحمـادان والسفيـانان وخلق غيـرهم، قال ابن المدينى: له نحو من ثمانمائة حديث.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبى ٨/ ٣٨٠.

(٥) المصدر السابق.

قال: كان أيوب ثقةً ثبتًا فى الحديث، جامعًا كثير العلم حجة عدلاً، وقال أبو حاتم: أيوب ثقة لا يسأل عن مثله، وقال حماد: كان أيوب عندى أفضل من جالسته، وأشدهم اتباعًا للسنة.

وفاته:

توفى إيوب السختيانى شهيدًا فى طاعون البصرة الذى كان فى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله ثلاث وستون سنة.

من مواعظه ومأثوراته الجليلة:

١- لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم، فإنى وددت لو أنى أفلت من هذا الأمر كفافًا لا علىَّ ولا لى.

٢- لا يسود العبد حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما فى أيدى الناس، والتجاوز والتغافل عما يكون منهم.

٣- كان أيوب صديقًا ليزيد بن الوليد، فلما ولى الخلافة قال أيوب: اللهم أنسه ذكرى.

٤- لأن يستر الرجل الزهد، خير له من أن يظهره.

٥- والله ما صدق عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه.

٦- قيل له: أوصنى، فقال: أقل الكلام.

٧- اللهم اجعلنا ممن يتقيك ويخافك ويرجوك ويستحييك، واللهم استرنا بالعافية.

٨- إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدبًا حسنًا، فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عليه أمسك.

٩- ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً.

١٠- إنى ليبلغنى أن الرجل من أهل السنة مات فكأنما أفقد بعض أعضائى.

١١- جالس الناس، إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره.

١٢- إن قومًا ليتنعمون ويأبى الله إلا أن يضعهم، وإن أقوامًا يتواضعون ويأبى الله إلا أن يرفعهم.

١٣- لا خبيث أخبث من قارئ فاجر.

١٤- الزم سوقك، فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تكن محتاجًا إليهم.

١٥- ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص.

١٦- إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون.

١٧- كان أيوب إذا قدم من مكة أمر بجرادق، فخبزت وطبخ لحمًا سكباجًا، فكان كل من جاء يسلم عليه وضع بين يديه.

قال: فوضع بين أيدينا، فقال: كلوا، فقد أكلت اليوم بضع عشرة مرة -يعنى كل من جاء قعد فأكل معه-.

٨٣- حماد بن سلمة [(١)]
(ت ١٦٧ هـ / ٧٨٤م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

حماد بن سلمة بن دينار البصرى، الربعى، بالولاء، أبو سلمة، كان مولى بنى ربيعة، وفى ولائه أقوال.

نشأته وحياته:

ولد ونشأ بالبصرة، وكان من أكابر علمائها، ولم يعرف تاريخ مولده على التحديد.

علمه وفقهه وفضله:

كان من رجال الحديث، ومفتيًا بالبصرة، وكان نحويًا من النحاة، وكان حافظًا ثقةً مأمونًا، محتجًا برأيه[(٢)]، وقد أراد بعلمه هذا وجه الله تعالى، ولذلك كان منفوحًا منه، وقد ورد عن حماد بن سلمة أنه قال: سمعت ثابت البنانى يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شىء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شىء)**[(٣)].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٩/ ٣٧٢، وتهذيب التهذيب ٣/ ١١، وميزان الاعتدال ١/ ٢٧٧ والأعلام ٢/ ٢٧٢، ونزهة الألباء ٥٠، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ١٩١، وصفة الصفوة ٣/ ٣٦١/ ٥٥٢.

(٢) بيد أنه لما كبر وتقدمت به السن ساء حفظه فكان ينسى ويهم فى بعض الأحيان، ولذلك تركه البخارى، ولكن مسلمًا أخذ منه الروايات الوثيقة قبل اختلاطه وتغيره، وكان حماد إمامًا فى اللغة العربية.

(٣) أخرجه بإسناده أبو نعيم فى الحلية ٦/ ٢٥٠، والرقى فى أحاسن المحاسن ٤/ ٣٦٣.

أقوال العلماء فى حماد بن سلمة:

قال أحمد بن حنبل: هو أعلم الناس بثابت البنانى، وقال ابن معين: هو أعلم من غيره بحديث على بن زيد[١].

كان حماد بن سلمة أيضًا حجة فى اللغة العربية، فصيحًا بليغًا ذا مكانة ومنزلة رفيعة فى اللغة والبيان، شديدًا على المبتدعة والضالين متمسك بالأثر المنقول. وورد فى معجم الأدباء[٢] أن على بن المدينى قال: «من تكلم فى حماد بن سلمة فاتهموه» اهـ. قال عمرو بن عاصم[٣]: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفًا.

وفاته:

توفى حماد بن سلمة سنة سبع وستين ومائة للهجرة المشرفة، قال البخارى فى تاريخه الكبير ذلك لكن عزا إليه الذهبى أنه قال: توفى حماد بن سلمة حين بقى من سنة سبع وستين أحد عشر يومًا ولم ندر من أين أتى الذهبى بهذا؟ قيل: قبض وهو فى المسجد يصلى.

من لطائفه ورقائق أقواله ومأثوراته:

١- إذا دعاك الأمير أن تقرأ عليه قل هو الله أحد فلا تأته.

٢- من طلب الحديث لغير الله مكر به.

٣- كان يدخل السوق فيربح دانقين فى ثوب واحد فيرجع فإذا ربح لو عرض له ديناران ما عرض لهما.

---

(١) راجع الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٣/ ١٤١، وفيه أيضًا ذكر علي بن المدَينيّ: كان عند يحيى بن ضريس من حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث اهـ. وفيه ٣/ ١٤٢: «هو عندي حجة في رجال، وقال ابن معين أيضًا: حماد بن سلمة ثقة» اهـ. بتصرف.

(٢) راجعه ١٠/ ٢٥٧ بتصرف، فى «بغية الوعاة» للسيوطي ١/ ٥٤٨، قال يونس النحوى: من حماد بن سلمة تعلمت العربية اهـ.

(٣) معجم الأدباء ١٠/ ٢٥٦، وفيه تحريف من النساخ فى الاسم إذا ورد «عمرو بن سلمة» والتصحيح من تاريخ الإسلام ١٠/ ١٥٠.

٨٤- عبدالرحمن بن مهدى [1]
(ت ١٩٨ هـ / ٨١٤م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبدالرحمن بن مهدى بن حسَّان بن عبدالرحمن العنبرى موالهم، أبو سعيد البصرى، اللؤلؤى الحافظ، وقيل: مولى الأزد، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة على ما ذكره أحمد.

روايته:

روى عن أئمة فضلاء أمثال شعبة ومالك والحمادين وخلق، وروى عنه ابنه موسى، وابن المبارك وابن وهب وابن المدينى وخلق.

شهادة العلماء له:

شهد له العلماء بالتفوق والتبريز، فقال ابن المدينى: عبدالرحمن بن مهدى كان أعلم الناس بالحديث.

وقال أبو حاتم: كان إمامًا وثقة، وهو أثبت من يحيى بن سعيد وأتقن من وكيع، قال القواريري: أملى على عبدالرحمن بن مهدى عشرين ألف حديث حفظًا، وقال الإمام أحمد: إذا حدَّث ابن مهدى عن رجل، فهو حجة[2].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٠/ ٥٣٦٦، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٩، وحلية الأولياء ٩/ ٣/ ٤١٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، وطبقات الحفاظ للسيوطى ١٤٤/رقم ٣٠١، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٥، والعبر ١/ ٣٢٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢/ ١٥٩، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ١٩، ٧٣، ٢٤٥، وصفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٥/ ٥٦٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢/ ٥٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٥٩.

(٢) وأخرج أبو نعيم فى الحلية بإسناده من طريق محمد بن إسحاق قال: سمعت الهناء بن يحيى يقول: سألت أحمد بن حنبل أيهما أفقه عبدالرحمن أو يحيى بن سعيد؟ فقال: =

وذكر الخطيب[١]، والذهبى[٢]، وغيرهما أن ابن المدينى كان يقول: أعلم الناس بالحديث عبدالرحمن بن مهدى[٣].

ذكر أبو نعيم قول ابن المدينى: كان علم عبدالرحمن بن مهدى فى الحديث كالسحر[٤]، وذكر ابن أبى حاتم قول أحمد بن حنبل: ابن مهدى ثقة خيارٍ، من معادن الصدق، صالح[٥]، وقال ابن الجوزى: قال على: كان ورد عبدالرحمن بن مهدى كل ليلة نصف القرآن[٦].

حجه كل عام:

كان عبدالرحمن بن مهدى يحج كل عام، فمات أبوه وأوصى إليه فأقام على أيتامه، فسمعته يقول: ابتليت بهؤلاء الأيتام، فاستقرضت من يحيى بن سعيد أربعمائة دينار احتجت إليها فى مصلحة أرضهم.

هكذا كان السلف رضي الله عنهم:

قال رسته: سألت ابن مهدى عن الرجل يبنى بأهله، يترك الجماعة أيامًا؟ قال: لا، ولا صلاة واحدة.

وقال الإمام أحمد: سمعت عبدالرحمن بن مهدى يقول: من زعم أن الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه.

=عبدالرحمن بن مهدى، أفقه من يحيى بن سعيد الحلية ٩/ ٣، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٢ بتصرف.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) تاريخ الإسلام ١٣/ ٢٨١.

(٣) كذا فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٥/ ٢٨٩.

(٤) الحلية ٩/ ٤ ووافقه الخطيب ١٠/ ٢٤٦، والذهبى ١٣/ ٢٨٢.

(٥) الجرح والتعديل ٥/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٢٨٥.

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٥، وذكر هذا أيضًا الخطيب فى تاريخه ١٠/ ٢٤٧.

وفاته:

توفى بالبصرة فى شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة عن ثلاث وستين سنة.

من مأثوراته وحكمه ومواقفه(١):

١- الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الأكل والشرب.

٢- مسألة حديث أحب إلى من أن أستفيد عشرة أحاديث.

٣- يحرم على الرجل أن يُفتى إلا فى شىء سمعه من ثقة.

٤- من قال إن القرآن مخلوق فلا تُصَلِّ خلفه، ولا تمشى معه فى طريق، ولا تناكحه.

٥- لو استشارنى السلطان فى الجهمية، لأشرت عليه أن يستتيبهم، فإن تابوا وإلا ضرب أعناقهم.

٦- لا يقبل الله (أى عملاً) إلا ما كان على الأمر (أى الكتاب والسنة).

٧- لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

٨- ولولا أن أكره أن يعصى الله لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحداً إلا وقع فىّ واغتابنى، وأى شىء أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته يوم القيامة، يعملها ولم يعلم بها!

---

(١) أفرد أبو نعيم الأصفهانى نحواً من ستين صفحة كاملة من موسوعته الفريدة القيمة حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩/ ٣-٦٣، وقد تصرفنا فيما ذكره من المأثورات والحكم التى نقلها بأسانيدها عن عبدالرحمن بن مهدى، والله المستعان.

٩- ما أرى بأسًا من الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه.

١٠- خيانة العلم أشد من خيانة المال.

١١- لا يكون إمامًا فى العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إمامًا فى العلم من يحدث بالشاذ من العلم والحفظ الإتقان.

١٢- العلم كثيرٌ والعلماء قليل.

١٣- قال عن الجهمية: ما كنت لأصلى خلفهم ولا أناكحهم.

١٤- لا يقبل الله من العبادة إلا ما كان على الأمر (الكتاب والسنة). فالزم الطريق والسنة.

١٥- قيل له: إن فلانًا قد صنَّف كتابًا فى السنة ردًا على فلان، فقال عبدالرحمن: ردًا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟ قيل: بكلام، فقال: رد باطلاً بباطل.

١٦- كان يكره أبا حنيفة لقوله بالرأى، وكان يراه مبتدعًا، فكان يقول: ما كان يدرى أبو حنيفة ما العلم.

١٧- قال عبدالرحمن: سمعت الحسن يقول: إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل.

١٨- من الأحاديث التى حدث بها عبدالرحمن بن مهدى عن عبدالملك ابن زيد عن محمد بن أبى بكر عن أبيه عن عمرة عن عائشة، أن النبى ﷺ قال: (**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا من الحدود**)[١].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٩/ ٤٣ والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٧٣، وكشف الخفاء للعلجونى ١/ ١٦١/ ٤٨٨، سنن أبى داود ٤/ ٥٤٠/ ٤٣٧٥، والفوائد المجموعة للشوكانى ٢٠٢، وصحيح الجامع الصغير ١/ ٣٨٢/ ١١٩٦، إذ حسنه السيوطى فى جامعه الصغير ١/ ٨٥/ ١٣٦٣ عن عائشة.

٨٥- أبو زرعة الرازى[١]
(ت ٢٦٤ هـ / ٨٧٨م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ، المخزومى، بالولاء، أبو زرعة الرازى.

ولادته ونشأته:

ولد أبو زرعة الرازى فى الرى سنة مائتين للهجرة، وما إن شب عن الطوق حتى حفظ القرآن واستظهره صبيًا، ثم عمد إلى علم الحديث فحفظ عشرات الآلوف من الأحاديث حتى صار حافظًا[٢] مرموقًا ومشخوصًا إليه، وقد زار بغداد وحدَّث بها، وجالس الإمام أحمد بن حنبل.

رواياته:

روى عن أبى نعيم وقبيصة وغيرهما وعنه مسلم والترمذى والنسائى وخلق.

شهادة الأئمة له:

يقال: إن كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل[٣]، وقال الإمام أحمد: ما جاوز الجسر أفقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحفظ من أبى زرعة.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦/ ٥٤٦٩، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٠/ ٦٢، وصفة الصفوة ٤/ ٨٨/ ٦٧٣، والمنتظم ٥/ ٤٧/ ١٠٩، وتاريخ الخميس للديار بكرى ٢/ ٣٨٣، وطبقات الحنابلة ١/ ١٩٩، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٢/ ٥٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٥/ ٤٨، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢٠/ ١٢٤/ ١٠٠.

(٢) ورد أنه كان يحفظ مائة ألف حديث.

(٣) قاله إسحاق بن راهويه، وزاد عليه: لا يوجد أحفظ من أبى زرعة الرازى.

قال الإمام الذهبى: كان من أفراد العالم ذكاءً وحفظًا ودينًا وفضلاً[١].

وروى عنه مسلم فى صحيحه، والترمذى فى جامعه الصحيح، والنسائى فى السنن وابن ماجه أيضًا وغيرهم خلق كثير.

قال النجاد: سمعت عبدالله بن أحمد يقول: لما ورد علينا أبو زرعة نزل عندنا، فقال لى أبى: يا بُنَىَّ، قد اعتضت بنوافلى مذاكرة هذا الشيخ[٢]، وقال صالح جرزة: سمعت أبا زرعة الرازى يقول: كتبت عن إبراهيم بن موسى الرازى مائة ألف حديث، وعن أبى بكر بن أبى شيبة مائة ألف، فقلت له: بلغنى أنك تحفظ مائة ألف حديث، تقدر أن تُملىَ على ألف حديث من حفظك؟ قال: لا، ولكن إذا ألقى علىَّ عرفت[٣].

وثبت بإسناده عن أبى بكر بن أبى شيبة قال: ما رأيت أحفظ من أبى زرعة[٤].

قال يونس بن عبدالأعلى: ما رأيت أكثر تواضعًا من أبى زرعة، وقال: إن أبا زرعة أشهر فى الدنيا من الدنيا.

وفاته:

قال ابن أبى حاتم: سمعت أبى يقول: مات أبو زرعة مطعونًا مبطونًا، يعرق الجبين منه فى النزع، فقلت لمحمد بن مسلم: ما تحفظ فى تلقين الموتى: لا إله إلا الله؟ قال: يروى عن معاذ.

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٠/١٢٥، وفيه ذكر الذهبى أن من أقرانه: أبو حاتم (الرازى) ابن خالته، ومسلم بن الحجاج، وأبو زرعة الدمشقى وإبراهيم الحربى، ومن الحفاظ والمحدثين خلقٌ كثير.

(٢) تاريخ الإسلام ٢٠/١٢٦، والمنتظم لابن الجوزى ٥/٤٧، وهذا نفسه ما ذهب إليه الإمام الشافعى الذى قال بأن مدارسة العلم تجب النافلة.

(٣) ذكره الخطيب فى تاريخه ١٠/٣٢٧، والذهبى فى تاريخ الإسلام ٢٠/١٢٧.

(٤) المنتظم لابن الجوزى ٥/٤٧.

فرفع أبو زرعة رأسه، وهو فى النزع فقال: روى عبدالحميد بن جعفر، عن صالح بن أبى عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ، عن النبى ﷺ: (من **كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**)(١).

فصار فى البيت ضجة ببكاء من حضر.

وقيل: إنه توفى فى آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين، على خلاف ما ذكره ابن حبان من أن وفاته كانت سنة ثمان وستين.

من مأثوراته وما ورد عنه:

١- رؤى أبو زرعة فى المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربى عز وجل، فقال لى: يا أبا زرعة، إنى أوتى بالطفل فأمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادى، تبوأ من الجنة حيث شئت.

٢- قال أبو العباس السَّراج: سمعت ابن وارة يقول: رأيت أبا زرعة فى المنام، فقلت: ما حالك؟ قال: أحمد الله على الأحوال كلها، إنى وقفت بين يدى الله تعالى، فقال لى: يا عبيد الله، لم تذرعت فى القول فى عبادى؟ قلت: يارب إنهم حَاذِلوا دينك. قال: صدقت.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد ٩١٦، ومن حديث أبى هريرة رقم ٩١٧، والترمذى فى جامعه الصحيح ٩٧٦، وأبو داود فى السنن ٣١١٧، والنسائى فى سننه ٤/٥، والذهبى فى تاريخ الإسلام ٢٠/١٣١، وابن الجوزى فى المنتظم ٥/٤٨.

٨٦- عبدالله بن المبارك (١)
(ت ١٨١ هـ / ٧٩٧م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبد الله بن المبارك بن واضح، الحنظلى بالولاء، التميمى، المروزى أبو عبدالرحمن كانت أمه من خوارزم، الحافظ، شيخ الإسلام التاجر المجاهد.

نشأته ورحلاته وأسفاره:

ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، نشأ ودرج فى خراسان، عمل بالتجارة، ونشط واجتهد فى طلب العلم، وقد أفنى عمره فيه، وكان كلفًا مولعًا بالأسفار إذ عمد إلى جمع الحديث والفقه وعلوم العربية.

كما اشتهر بالنهم لعلوم الدين فتوسع فى القراءة فيها حتى صار عالمًا وإمامًا متبوعًا من الأعلام المشار إليهم بالبنان.

أقوال العلماء فيه:

قال ابن مهدى: الأئمة أربعة: سفيان، ومالك، وحماد بن زيد وعبدالله بن المبارك، وقال أيضًا: ولا أقدم على ابن المبارك أحدًا، وقال الإمام أحمد بن حنبل: لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب منه للعلم، وكان صاحب حديث حافظًا(٢).

---

(١) حلية الأولياء ٨/١٦٢/٣٩٧، وشذرات الذهب ١/٢٩٥، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/٢٥٣، وتاريخ بغداد ١٠/١٥٢/٥٣٠٦، وتذهيب تهذيب الكمال ١٧٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/١٠٤، والعبر ١/ ٢٨٠، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢/١٠٣، والمعارف لابن قتيبة ٥١١، والأعلام ٤/١١٥، وفى تاريخ بغداد ١٠/١٥٧: «ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك» معزوًا إلى إسماعيل بن عياش.

(٢) الحافظ: فى مصطلح الحديث لا تطلق إلا على من قد حفظ مائة ألف حديث عن=

وذكر الخطيب فـى تاريخه[١] بسنده عن يحيـى بن آدم قوله: كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجـده فى كتب ابن المبارك آيست منه[٢]، وقيل إنه كان أعلم من الثورى[٣].

ذكر الذهبى[٤] عن فضالة الـفسوى قال: كنت أجالسـهم فى الكوفة، فإذا تشاجـروا فى حديث قالوا: مروا إلى هذا الطبيب حـتى نسأله يعنون ابن المبارك.

كمـا ذكر الذهبى قـول الفضيل بن عـياض: ورب هذا البـيت ما رأت عيناى مثل عبدالله بن المبارك[٥].

كذا قـال نعيم: ما رأيت أعقل من ابن المبـارك، ولا أكثر اجتـهاداً فى العبادة منه.

وأورد الـذهبى وأبـو نـعيم فى حليتـه بإسناده عن عـبـدالله بن سنان قـال: قدم ابـن المبارك مكــة وأنابها، فـلمـا أن خـرج شـيَّعـه ابـن عـيـينة والفضيل وودعاه، وقال أحدهما: هذا فقـيه أهل المشرق، فقال الآخر: وفقيه أهل المغرب.

هذه الفضائل والمناقب اجتـمعت جميعها من زهد وورع وتقـاة وخشية وإخبات فى هذه الأمة فى هذا الإمام ابن المبارك. . .

=رسول الله ﷺ، وقد قال ابن مـعين: ما رأيت من محـدث إلا ستة: . . . . منهم ابن المبارك، وكان ثقة، عالمًا ثبتًا، صحيح الحديث، وكانت كتبه التى حديث بها عشرين ألفًا.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٦.

(٢) المصدر السابق ١٠/ ١٦١.

(٣) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٢٦ كذا ذكره الخطيب فى تاريخه ١٠/ ١٥٦.

(٤) السابق.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٦٥.

وفاته:

توفى عبدالله بن المبارك منصرفًا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة.

من مأثوراته وحكمه ولطائفه وعظاته:

١- كان عبدالله بن المبارك يتمثل دائمًا بقول محمد بن الحنفية: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدًا حتى يجعل الله له فرجًا (أو قال: مخرجًا) قال عبدالله بن المبارك: هذا مثلى ومثلكم.

٢- ليكن الذى يعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأى ما يفسر الحديث لكم.

٣- من بخل بالعلم ابتلى بثلاث: إما موت فيذهب علمه، وإما ينسى، وإما يصحب فيذهب علمه[1].

٤- سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشى، فقال: ليس هذا من توقير العلم، قال بشر بن الحارث: فاستحسنته جداً.

٥- أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضًا. (الحلية ٨/ ١٦٦).

٦- إن ابتُليتَ بالقضاء فعليك بالأثر.

٧- قال رجل لابن المبارك: هل بقى من ينصح؟ فقال: هل بقى من يقبل النصحية؟ (الحلية ٨/ ١٦٦).

٨- إذا داخل حب الدنيا القلب، واحتوشته الذنوب، فمتى يصل الخير إليه؟[2].

---

(١) السابق.

(٢) الحلية ٨/ ١٦٧.

٩- أطيب ما فى الدنيا ذكر الله عز وجل.

١٠- سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن السَّفِلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

١١- أكثركم علمًا يجب أن يكون أشدكم خوفًا، استعد للموت ولما بعد الموت.

١٢- ما أعيانى شىء كما أعيانى أن لا أجد أخًا فى الله[١].

١٣- طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون. (الحلية ٨/ ١٦٩).

١٤- سأله حبيب الجلاب[٢] فقال: سألته: ما خير ما أعطى الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شقيق يستشيره. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

١٥- إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن[٣].

١٦- لنا فى صحيح الحديث شغل عن سقيمه[٤]. وكان يشتد فى طلب الحديث.

١٧- سأله رجل: عمن نأخذ؟ فقال: قد تلقى الرجل ثقة يحديث عن غير ثقة، وتلقى الرجل غير ثقة يحدث عن ثقة، لكن ينبغى أن يكون ثقة عن ثقة[٥].

---

(١) الحلية ٨/ ١٦٨.
(٢) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.
(٣) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٢٥.
(٤) السابق، وصفة الصفوة وحلية الأولياء ٨/ ١٦٦.
(٥) حلية الأولياء لأبى نعيم.

١٨- السيف الذى كان بين الصحابة كان فتنة، ولا أقول لأحد منهم مفتون[١].

١٩- قال الإمام إحمد بن حنبل: كان ابن المبارك يحدث من كتاب، فلم يكن له سقط كبير[٢] «وكان وكيع يحدث من حفظه فكان يكون له سقط، كم يكون حفظ الرجل»[٣].

٢٠- من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر بالله العظيم.

٢١- شرب ابن المبارك من ماء زمزم موليًا وجهه إلى الكعبة قائلاً: اللهم إن ابن أبى المَوَّال، ثنا عن ابن المنكدر، عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال: **(ماء زمزم لما شرب له)** وهذا أشربه لعطشى يوم القيامة كذا[٤].

٢٢- قيل لابن المبارك: هل تحفظ الحديث؟ قال: ما تحفظت حديثًا قط، إما آخذ الكتاب فأنظر، فما اشتهيته علق بقلبى.

٢٣- من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمر ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

٢٤- قدم الرشيد الرَّقَّة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد للخليفة، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان[٥].

٢٥- أكثر الجلوس والاحتباس فى بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ قال: كيف استوحش وأنا مع النبى ﷺ وأصحابه[٦].

---

(١) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٢٧. (٢) ابن الجوزى فى صفة الصفوة ٤/ ٢٨.
(٣) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٠.
(٤) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣١، وابن الجوزى ٤/ ١٢٧، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٦، وحلية الأولياء.
(٥) صفة الصفوة ٤/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٢، وتاريخ بغداد للخطيب ١٠/ ١٥٧.
(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٤.

٢٦- ذكر شقيق البلخى: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تقف «لم تجلس»[١] قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس[٢].

٢٧- لو أن رجلاً اتَّقَى مائة شيء ولم يتق شيئًا واحدًا لم يكن من المتقين، ولو تورَّع عن مائة شيء سوى شيء لم يكن من الورعين، ومن كانت فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين[٣]، أما سمعت الله تعالى يقول لنوح عليه السلام فى شأن ابنه: ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.

٢٨- ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة. فكان يحذر من مخالطة أهل البدع ويتهمهم فى دينهم.

٢٩- إذا عرف الرجل نفسه صار أذل من الكلب[٤]..

٣٠- أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شرٌّ منهم ثم أنشأ يقول:

الصمت أزين بالفتى ... من منطق فى غير حينه
والصدق أجمل بالفتى ... فى القول عندى من يمينه[٥]

٣١- رب عمل صغير تكبره النية، ورب عمل كبير تصغره النية.

٣٢- سئل عن كتابة العلم، فقال: لولا الكتاب ما حفظنا.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة عند ابن الجوزى ٤/ ١٢٦.
(٢) بتصرف واختصار من صفة الصفوة ٤/ ١٢٧، وحلية الأولياء ٨/ ١٦٤، ١٦٥.
(٣) تاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٦، وحلية الأولياء ٨/ ١٦٧.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٦٨، والذهبى ١٢/ ٢٣٦.
(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٧٠، ومنها أجتزأنا هذين البيتين، كذا وردت ستة أبيات أولها هذين البيتين فى تاريخ الذهبى ١٢/ ٢٣٧.

٣٣- الجبر فى الثوب خُلُوقُ العلماء.

٣٤- تواطؤ الجيران على شيء أحب إليَّ عَدْلَيْن.

٣٥- لما بلغ الرشيد موت ابن المبارك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يافضل(١)، ائذن للناس يعزونا فى ابن المبارك.

فلما رأى الرشيد استهوالاً من الفضل، قال له الرشيد: أليس هو القائل:

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وذكر هذين البيتين، ثم قال الرشيد بعد ذلك: من الذى يسمع هذا من ابن المبارك ولا يعرف حقنا(٢).

لقد تأثر الرشيد تأثرًا كبيرًا لموت ابن المبارك، ثم قال: مات اليوم سيد العلماء.

كان ابن المبارك يعرف للسلطان حقه، وأنه له حق الطاعة على الرعية.

٣٦- وكان ﵀ سخيًا جوادًا، فقد ذكر المسيِّب بن وضّاح أن ابن المبارك أرسل إلى أبى بكر بن عياش أربعة آلاف درهم وقال: سُدَّ بها فتنة القوم عنك.

وذكر الذهبى أنه كان يصل العلماء ويعطيهم وكان غيره لا يقدر على ذلك(٣)، أكرم الله من أكرم العلماء، وأذل من أذلهم.

---

(١) هو الفضل بن الربيع وزير الرشيد، راجع حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٢٤١.

(٣) الذهبى ١٢/ ٢٣٩. بتصرف.

٨٧- (الضَّحاك)
الضَّحاك بن مزاحم[١]
(ت ١٠٥ هـ / ٧٢٣م)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو الضحاك بن مزاحم الهلالى، البلخى، الخراسانى، أبو محمد (وقيل: أبو القاسم) له أخوان: محمد، ومسلم، كان يكون بسمرقند وبلخ.

مولده ونشأته:

ولد ببلخ سنة خمس ومائة للهجرة.

حياته وعلمه وفضله:

استظهر القرآن الكريم صبيًا، وتبحر فى علوم الدين، ونهم بالتفسير حتى كان مرموزًا إليه فى مسائل التفسير، ومع كونه مفسرًا، كان فقيهًا أيضًا ومؤدم صبيان[٢]، قيل: كان فى مدرسته ثلاثة آلاف صبى.

قال الذهبى عنه: كان يطوف عليهم على حمار[٣].

شهادة العلماء الأعلام للضحاك:

وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، لكن ضعَّفه يحيى القطان وغيره،

---

(١) العبر للذهبى ١/ ١٢٤، وورد فيه أنه توفى سنة اثنتين ومائة، وتاريخ الخميس ٢/ ٣١٨، وميزان الاعتدال ١/ ٤٧١، والأعلام ٣/ ٢١٥، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨/ ٢٣٨، والكنى والأسماء للدولابى ٢/ ٩٨، والكامل لابن الأثير فى التاريخ ٥/ ١٢٦.

(٢) قال ابن حبيب: «كان الضحاك من أشراف المعلمين وفقهائهم».

(٣) نقلاً عن كتاب تهذيب الكمال للخزرجى ٢/ ٦١٨، وتاريخ الإسلام للذهبى ٧/ ١١٣، وذكر فيه أيضًا أنه كان يعلم ولا يأخذ أجرًا اهـ.

واحتج به النسائى وغيره، واتهم بالتدليس، قال الذهبى: وله يدٌ طولى فى التفسير والقصص[1].

وفاته:

توفى الضَّحاك بن مزاحم سنة اثنتين ومائة[2]. قاله غير واحد.

من مأثوراته وحكمه ولطائفه:

١- كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى، فيقال له: فيقول: لا أدرى ما صعد اليوم من عملى.

٢- أدركتهم وما يتعلمون إلا الورع.

٣- كان هجِّيراه[3] إذا سكت: لا حول ولا قوة إلا بالله.

٤- حقٌ على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا. قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وقال أبو نعيم الكوفى: توفى سنة خمس ومائة، وقال الحسين بن الوليد: سنة ست ومائة. تاريخ الإسلام ٧/ ١١٤ بتصرف.

(٣) هجِّيراه: دأبه وعادته.

(٤) آل عمران: ٧٩.

٨٨- إبراهيم بن أدهم [(١)]
(ت ١٦١ هـ / ٧٧٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى، البلخى، أبو إسحاق، كان أبوه غنيًا ميسورًا من أهل بلخ قيل حج أبوه وأمه حامل به فولدته بمكة.

نشأته ورحلاته:

ولد إبراهيم بن أدهم فى بلخ، فتفقه ودرس وحصل علوم الدين ثم رحل إلى بغداد، وعمد إلى أقطار العراق وأرباضها الأخرى، ثم رحل إلى الشام وبلاد الحجاز طالبًا للعلم متلقيًا له.

كان مصدر رزقه فى حياته من العمل بالحصاد، وحفظ الحوائط (البساتين) والحمل وطحن الحبوب من الأرز والحنطة والبر (الشعير) وغيره.

زهده وورعه وتقواه:

كان زاهدًا ورعًا وتقيًا رشيدًا، اشترك فى قتال الروم، وقيل: جاءه إلى المصيصة (كيليكيا) عبد كان مملوكًا لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم، ويخبره أن أباه قد مات فى بلخ، وخلف له مالاً كثيرًا، فما كان

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧/ ٣٩٤، ثم ٨/ ٥٨، وتهذيب ابن عساكر ٢/ ١٦٧، والأعلام ١/ ٣١، والكنى والأسماء للدولابى ١/ ٩٩، وصفة الصفوة ٤/ ١٥٢/ ٧٠١، وتاريخ بغداد ٦/ ٤٧/ ٣٠٧٠، وفيه دخلت ترجمته فى ترجمة خادمه إبراهيم بن بشار بن محمد الخراسانى الصوفى، وقيل إن إبراهيم بن أدهم منسوب إلى بنى عجل، فهو عجلى على تاريخ ابن معين ٢/ ٦.

منه إلا أن أعتق العبد ووهبه الدراهم(١)، ولم يحفل بموروثه من مال أبيه(٢).

كان صوامًا قوامًا:

كان إبراهيم بن أدهم صوامًا قوامًا، حتى إنه كان يصوم فى الإقامة والسفر، فيحرم نفسه من رخصة الإفطار فى السفر.

حبه للعربية الفصحى:

كان يحب التكلم بالعربية الفصحى فلم يلحن البتة، وقيل إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ، أوجز سفيان فى كلامه مخافة أن يزل.

وفاته:

الراجح أنه توفى فى سوقين (حصن من بلاد الروم)(٣) وكان ذلك سنة إحدى وستين ومائة للهجرة المشرفة.

من مأثوراته ولطائفه ومواقفه:

١- نزلت الشام منذ أربع وعشرين سنةً ما نزلتها إلا لأشبع من رزق حلال.

---

(١) وكان يلبس فى الشتاء فروًا لا قميص تحته ولا يتعمم فى الصيف، ولا يحتذى، انظر حلية الأولياء ٧/ ٣٧٣، وتهذيب ابن عساكر ٢/ ١٨٢، بتصرف.

(٢) قيل كان أبوه شريفًا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة (جمع بازى وهو الصقر) وبينما كان إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته وهو يركض على فرسه ناداه مناد من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا. هذه الواقعة مسرودة مبسوطة فى حلية أبى نعيم ٧/ ٣٦٨ وما بعدها، وتاريخ الذهبى ١٠/ ٤٥، وابن الجوزى ٤/ ١٥٢.

(٣) تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٩٩.

٢- كان فـى رمضان يـحصد الزرع بـالنهار، ويصلى بالليل، فـمكث ثلاثين يومًا لا ينام بالليل ولا بالنهار(١).

٣- عالجت العبادة فلم أجد شيئًا أشد عليَّ من نزاع النفس إلى الوطن.

٤- ما قاسيت فيما تركت شيئًا أشد عليَّ من مفارقة الأوطان.

٥- استكفـيت الله سوء مغالبـة هواى فكفانى، فوالله مـاآسى على ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها.

٦- ضاعت نفقة إبراهيم بن أدهم بمكة فمكث خمسة عشر يومًا يستف الرمل(٢)، وقيل: ظل إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يومًا(٣).

٧- قال مروان: كان إبراهيم بن أدهم سخيًا جدًا.

٨- ما فاق إبراهيم إلا بالصدق والسخاء.

٩- من أراد التوبة؛ فليـخرج من المظالم، وليدع مـخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد(٤).

١٠- الزهد منه فرضه، وهو ترك الحـرام، وزهد بسلام وهو الزهد فى الشبهات، وزهد فضل، وهو الزهد فى الحلال(٥).

١١- أخـاف أن لا يكون لى أجـر فى تركى أطايب الطعـام، لأنى لا أشتـهيـه وكان إذا جلس على طيب طـعام رمى إلى إصحـابه، وقنع بالخـبز والزيتون(٦).

---

(١) الحلية ٧.
(٢) الحلية ٧/ ٣٨١، وتهذيب ابن عساكر ٢/ ١٧٩.
(٣) الحلية السابق.
(٤) تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٧٥ وحلية الأولياء.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبى ١٠/ ٤٧، وابن عساكر فى التهذيب ٢/ ١٧٧، وحلية الأولياء ٨/ ٢٦.
(٦) تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٧٨.

١٢- ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة.

١٣- لو أن مؤمنًا مستكمل الإيمان هزَّ الجبل لزال(١).

١٤- كان راكبًا البحر، فهبت ريح عاتية عاصفة، وهاجت الأمواج فاضطربت السفينة، وبكى الناس، فقالوا: يا أبا إسحاق، ما ترى الناس فيه؟ فرفع رأسه وقال: (وقد أشرفوا على الهلاك): يا حى حين لا حى، وياحى قبل كل حى، وياحى بعد كل حى، ياحى يا قيوم، يامحسن، يامجمل، قد أريتنا قدرتك؛ فأرنا عفوك، قيل: فهدأت السفينة من ساعته(٢).

١٥- والله ما الحياة بثقة يرجى نومها، ولا المنية بغدر يؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال؟ وفيم الإبطاء [التقاعس]؟ وقد رضينا من أعمالنا بالمعانى، ومن طلب التوبة بالتوانى، ومن العيش الباقى بالعيش الفانى(٣).

١٦- رزق الله مضمون سيأتيك، ونحن والله الملوك الأغنياء(٤).

١٧- أشار إلى قبر حُمَيْد(٥)، وقال: هذا قبر حُمَيْد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق فى بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها(٦).

١٨- ما قاسيت من أمر الدنيا شيئًا، ما قاسيت من نفسى، مرةً لى ومرةً علىَّ.

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ٨/ ٣.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٨٩، وتاريخ الإسلام ١٠/ ٥٠.
(٣) تاريخ الذهبى ١٠/ ٥١، وحلية الأولياء.
(٤) اجتزأنا هذا الخبر من خبر مطول فى الحلية ٧/ ٣٧٠.
(٥) كذا فى التذكرة الحمدونية ١/ ١٧٤/ ٤٠١، وتاريخ الإسلام للذهبى ١٠/ ٥٢، بتحقيق د. التدمرى، وفى تهذيب ابن عساكر ورد (حمد) وهو تحريف من النساخ لا يُلتفتُ إليه.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٨.

١٩- من تعود أفخاذ النساء لم يُفلِح(١).

٢٠- من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربه، اشتغل بربه عن غيره.

٢١- حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم ترك الدنيا(٢).

٢٢- اهربوا من الناس كهروبكم من السَّبُع الضوارى، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة(٣).

٢٣- أيحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد؟!

٢٤- على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل(٤).

---

(١) الحلية ٨/ ١١.
(٢) الحلية ٨/ ١٩.
(٣) تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٨٥.
(٤) طبقات الأولياء، لابن الملقن ٧/ ٢.

٨٩- (الأوزاعى)
عبدالرحمن بن عمرو [١]
(ت ١٥٧ هـ / ٧٧٤م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعى، أبو عمرو، من قبيلة الأوزاع[٢]، وهى بطن من همذان، وأصله من سبى السند.

ولادته ونشأته:

ولد عبدالرحمن الأوزاعى فى بعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة[٣]، ونشأ فى البقاع، وسكن بيروت[٤]، وتوفى بها، وقيل عنه إنه إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، نهل من موارد العلم والحديث والفقه، كان يسكن بظاهر باب الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم ما لبث أن تحول إلى بيروت، فظل مرابطًا بها إلى أن مات.

صفاته ومناقبه وخلاله وأقوال العلماء فيه:

كان الأوزاعى ثقة مأمونًا وفاضلاً وتقيًا رشيدًا، كما كان حجة فى العلم والحديث والفقه.

---

(١) شذرات الذهب ١/ ٢٤١، وحلية الأولياء ٦/ ١٣٥/ ٣٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٥، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٦٨، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨، والعبر ١/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧/ ٤٨، وتهذيب ابن عساكر ٢٣/ ١٢٧، والتاريخ لابن معين ٢/ ٣٥٣/ ٩٤٦، وتاريخ الإسلام للذهبى ٩/ ٤٨٣.

(٢) قال البخارى: لم يكن من الأوزاع، بل كان نزيلاً فيهم.

(٣) قال ضُمرة: سمعت الأوزاعى يقول: كنت كالمحتلم فى خلافة عمر بن عبدالعزيز.

(٤) قيل: ولد ببعلبك، ونشأ بالبقاع، ونقلته أمه إلى بيروت. من الذهبى ٩/ ٤٨٥.

روى عن عطاء بن رباح وغيره، وعنه الزهرى ويحيى بن أبى كثير وخلق.

ولقد كان الأوزاعى فقير النشأة، حيث كان معدمًا فقيراً في حجر أمه، عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه فى نفسه.

قال الهقل[1] بن زياد: أجاب الأوزاعى فى سبعين ألف مسألة أو نحوها. قال الإمام أحمد: الأوزاعى إمام.

وورد عن مالك قوله: الأوزاعي إمام يقتدى به.

وكان إسماعيل بن عياش يقول: سمعت الناس يقولون فى سنة أربعين ومائة: الأوزاعي هو اليوم عالم الأمة.

قال الوليد: ما رأيت أكثر اجتهاداً فى العبادة منه. وقال عبدالرحمن بن مهدى: إنما الناس (أو العلماء) فى زمانهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة، والثورى بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعى بالشام[2].

وقال صدقة السمين: ما رأيت أحداً أحلم ولا أكمل ولا أجمل من الأوزاعى.

قال أبو أسامة: رأيت سفيان الثورى والأوزاعى، ولو أنى خُيِّرت لاخترت الأوزاعي؛ لأنه كان أعلم الرجلين.

وفاته:

توفى الأوزاعى في بيروت سنة سبع وخمسين ومائة للهجرة وله تسع وستون سنة. قال السيوطى: مات فى الحمام[3].

---

(١) كاتب الأوزاعي.

(٢) وقال إسحاق: إذا اجتمع الثورى والأوزاعي ومالك على أمر فهو سنة، وورد أن مروان ابن محمد قال: كان الأوزاعى من العبادة على شيء لم يُسْمَع بأحد قوى عليه، ما أتى عليه زوال قط إلا وهو قائم يصلي.

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٨٦ بتصرف، وقيل: اتفقوا على وفاته سنة سبع وخمسين ومائة، وزاد بعض أهل العلم: في صفر، رحمه الله وأرضاه.

من مأثوراته وحكمه ولطائفه ووصاياه:

١- احذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به[١].

٢- لهو العلماء خيرٌ من حكمة الجهلة (أو الجهلاء)[٢].

٣- إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلاً[٣].

٤- من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه.

٥- لو قبلنا من الناس كلما يعطونا لهنا عليهم[٤].

٦- كان الأوزاعى لا يكلم أحدًا بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله. (الحلية ٦/ ١٤٣).

٧- اصبر نفسك على السنة، واسلك سبيل سلفك الصالح.

٨- ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهى معروضة على العبد يوم القيامة يومًا فيومًا وساعة فساعة، فلا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم[٥].

٩- تقوَّوْا بهذه النعم التى أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة.

١٠- لا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأمل، وغره طول الأجل.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ١٤٠.
(٢) كذا فى الحلية ٦/ ١٤١.
(٣) الحلية ٦/ ١٤٢.
(٤) الحلية ٦/ ١٤٣.
(٥) الحلية ٦/ ١٤٢.

١١- العافية عشرة أجزاء، تسعة منها صمت، وجزء منها هو الهرب من الناس.

١٢- ما رأيت درجة أرفع من درجة العلم.

١٣- إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل.

١٤- كنا نضحك ونمزح، لما صرنا يُقْتدىَ بنا خشينا أن لا يسعنا التبسم.

١٥- من أطال قيام الليل، هَوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة(١).

١٦- قال لابنه محمد: يا بنى، لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم(٢).

١٧- العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن الصحابة فليس بعلم.

١٨- لا يجتمع حب على وعثمان إلا فى قلب مؤمن.

١٩- قال الأوزاعى: كتب إلىَّ قتادة: إن كانت الدار فرَّقت بيننا، فإن ألفة الإسلام جامعةٌ بين أهلها(٣).

٢٠- من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قل كلامه(٤).

٢١- إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره.

٢٢- من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام.

---

(١) تاريخ الإسلام ٩/ ٤٨٩.
(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٠.
(٣) تارخ الإسلام ٩/ ٤٩٠.
(٤) تاريخ الإسلام ٩/ ٤٩١.

٢٣- ما ابتدع أحد بدعة إلا سُلِبَ ورعه.

٢٤- قال سلمة بن كلثوم: كتب أبو حنيفة إلى الأوزاعى تسعين مسألة، فما أجاب منها إلا بمسألتين[١].

٢٥- إننا لا ننقم على أبى حنيفة أنه رأى، كلنا نرى، ولكننا ننقم عليه أنه رأى الشيء عن النبى ﷺ وخالفه[٢].

٢٦- المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، والمنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً[٣].

٢٧- ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات[٤].

٢٨- اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة[٥].

رحم الله الأوزاعى ورضى عنه فى الصابرين السالكين المحتسبين وخير مذكور عنه ما سطره وحرره أبو نعيم فى حلية الأولياء عندما قال: العلم المنشور، والحكم المشهور، الإمام المبجل، والإمام المفضل، عبدالرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعى، رضى الله تعالى عنه كان واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه، كان ممن لا يخاف فى الله لومة لائم، مقوالاً بالحق لا يخاف سطوة العظائم.

---

(١) تاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٢.
(٢) تاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٢.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٤٢.
(٤) تاريخ الذهبى ٩/ ٤٩٣.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ١٤٤.

٩٠- ذو النون المِصرى
ثوبان بن إبراهيم (١)
(ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى، أبو الفيَّاض، أو أبو الفيض من مشاهير الزهاد.

أصله ومولده ونشأته:

مصرى الأصل، ومن بلاد النوبة، أصله من الموالى، لم يُعَرف تاريخ مولده على التحديد.

من الزهاد العباد المشهورين:

كان ذو النون المصرى من الزهاد والعباد المشهورين المشهود لهم بالورع والتقوى، وقيل: إنه أول من تكلم بمصر فى «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية»(٢).

كما كانت له فصاحة وحكمة وشعر رصين.

اتهامه بالزندقة:

اتهمه المتوكل العباسى بالزندقة، فاستدعاه لسؤاله فى هذا الشأن، ويبدو أنه اقتنع إلى دفاعه عن نفسه، فأطلق سراحه.

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٣١/ ٤٥٦ ثم ١٠/ ٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣/ ٤٤٩٧، وميزان الاعتدال ١/ ٣٣١، ولسان الميزان ٢/ ٤٣٧، والأعلام ٢/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام للذهبى ١٨/ ١٤.

(٢) وقد أنكر عليه ذلك عبدالله بن عبدالحكم.

وفاته:

توفى ثوبان بن إبراهيم فى مصر وكان قد عاد إليها بعد أن أطلق المتوكل سراحه، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة.

من مأثوراته ولطائفه وحكمه:

١- يا خير من قدر، وأرأف من رحم وعفا.

٢- تُنال المعرفة بثلاث: بالنظر فى الأمور كيف دبرها، وفى المقادير كيف قدرها، وفى الخلائق كيف خلقها.

٣- قرأت فى باب مصر بالسريانية، فتدبرته فإذا فيه: يقدر المقدرون، والقضاء يضحك[1]. (ويقدرون وتضحك الأقدار).

٤- إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته وهيجّ أرواحهم بالشوق إلى رؤيته.

٥- العاقل يعترف بذنبه، ويحس بذنب غيره، ويجود بما لديه، ويزهد فيما عند غيره، ويكف آذاه ويحتمل الأذى من غيره، والكريم يُعطى قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال؟ ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعد الاعتذار؟ ويعف قبل الامتناع فكيف يطمع فى الازدياد؟.

٦- ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا فى المكروه، وحسن الظن بالمجهول، والتحسين فى الاختيار فى المحذور.

٧- سبب الذنب النظرة، ومن النظرة الخطرة.

٨- إن الطبيعة النقية هى التى يكفيها من العظمة رائحتها ومن الحكمة الإشارة إليها.

---

(١) حلية الأولياء ٩/٣٣٩.

٩- تعلق الناس بالأسباب، وتعلق الصديقون بولى الأسباب.

١٠- احذر أن تكون مخدوعًا تنظر إلى عطاياه ولا تنظر إليه.

١١- أدوم الناس عناءً أسوؤهم خلقًا وآية ذلك كثرة الخلاف.

١٢- الخير مجموع فى القرين الصالح إن نسيت ذكَّرك، وإن ذكرت أعانك.

١٣- اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص، واستقوْا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، لججوا فى بحر النجاة، ورسوا بشط الإخلاص(١).

١٤- اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم فى العلا، وحطت همم قلوبهم فى عاريات التقى حتى أناخوا رياض النعيم، وجنوا من رياض ثمار التسنيم، وخاضوا لجة السرور وشربوا بكأس العيش، واستظلوا تحت العرش فى الكرامة(٢).

١٥- إلهى وسيلتى إليك نعمك على، وشفيعى إليك إحسانك إلىَّ.

١٦- اللهم إليك تقصد رغبتى، وإياك أسأل حاجتى، ومنك أرجو نجاح طلبتى، وبيدك مفاتيح مسألتى، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه إلا منك ولا أرجوه من غيرك، ولا أيأس من روحى بعد معرفتى بفضلك، يامن جمع كل شىء فى حكمته، ويامن نفذ فى كل شىء حكمه(٣).

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٣٢.
(٢) الحلية ٩/ ٣٣٢.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٣٣، ٣٣٤.

١٧- إلهى لتعزنى بإدخالى فى طاعتك، ولتنظر إلىّ نظر من ناديته فأجابك، واستعملته بمعرفتك فأطاعك.

١٨- اللهم اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا، ونظروا فأبصروا، وسمعوا فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها؛ ففتقوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات، وفتحوا أبواب مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء[1].

١٩- اللهم إليك توجهنا، وبفنائك أنخنا، ولمعروفك تعرضنا، وبقربك نزلنا، ياحبيب التائبين، وياسرور العابدين، وياأنيس المقربين، وياحرز اللاجئين، وياظهير المنقطعين، ويامن حبَّب إليه قلوب العارفين، وبه أنست أفئدة الصديقين، وعليه عطفت رهبة الخائفين، يامن أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد له، [والأنس به] وحلاوة الانقطاع إليه[2].

٢٠- تنال المعرفة بثلاث: بالنظر فى الأمور كيف دبرها، وفى المقادير كيف قدرها، وفى الخلائق كيف خلقها؟[3].

٢١- ما ظنك بأقوام أخيار، أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة واستراحوا من وثائق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة.

٢٢- لا تكن كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر.

٢٣- كم من مطيع مستأنس، وكم عاص مستوحش، وكم محب ذليل، وكل راج طالب.

٢٤- اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه، ويعرف ذنب غيره، ويجود بما

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٣٥.

(٢) الحلية ٩/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(٣) الحلية ٩/ ٣٣٩.

لديه، ويزهد فيما عند غيره، ويكف أذاه، ويحتمل الأذى من غيره، والكريم يعطى قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال؟!

٢٥- ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا فى المكروه، وحسن الظن فى المجهول، والتحسين فى الاختيار فى المحذور.

٢٦- ثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلى الله تعالى فى كل شىء، والرجوع إليه فى كل أمر، والاستعانة به فى كل حال.

٢٧- إلهى ما أصغى إلى صوت حيوان، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترنم طائر، ولا تنعم ظل، ولا دوى ريح، ولا قعقعة رعد إلا وجدتها شاهدة بواحدانيتك.

٢٨- علمه بمرادك ينبغى أن يغنيك عن مسألته.

٢٩- إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً إليه، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب.

٣٠- قال ذو النون: كتب رجل إلى عالم: ما الذى أكسبك علمك من ربك؟ وما أفادك فى نفسك؟ فكتب إليه العالم: أثبت العلم الحجة، وقطع عمود الشك الشبهة، وشغلت أيام عمرى بطلبه، ولم أدرك منه ما فاتنى، أبليت إليه فى طلبه جدة الشباب، وأدركنى حين علمت الضعف عن العمل به، ولو اقتصرت منه على القليل كان لى فيه مرشد إلى السبيل.

٣١- المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه.

٣٢- من أدرك طريق الآخرة فليكثر مساءلة الحكماء ومشاورتهم.

٣٣- لكل قوم عقوبة، وعقوبة العارف من ذكر الله.

٣٤- علامة سوء الخلق كثرة الخلاف، والسفلة: من لا يبالى ما قال ولا ما قيل فيه.

٩١- الإمام القرطبى (المفسر) [١]
محمد بن أحمد
(ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرْح الأنصارى، الخزرجى، الأندلسى أبو عبدالله القرطبى.

نشأته وحياته وعلمه:

من أهل قرطبة، لم يُعرف تاريخ ولادته، ورحل إلى بلاد المشرق، وحضر إلى مصر المحروسة، فاستقر بمنية ابن خصيب فى شمالى أسيوط بمصر، وعاش فيها بقية حياته.

كان مفسراً من كبار المفسرين الذى يشار إليهم بالبنان، وتعقد عليهم الخناصر، وتضرب إليهم أكباد الأبل، ويرحل إليه من أقاصى البلدان لفضله وعلمه وكرامته.

ومن أهم كتبه تفسير القرآن المسمى بـ «الجامع لأحكام القرآن»[٢] وله مؤلفات أخرى جليلة النفع والعائدة.

---

(١) نفح الطيب ١/ ٤٢٨، ومقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

(٢) هذا التفسير الجامع سفر شهير جهير الصيت ذائع الفضل، منشور الفضل لا يجهل قدره أحد، لانطوائه على جهد نفيس فوق الطاقة وفوق الاحتمال من جمع للنصوص والآراء والأقوال وتمحيص هذه النصوص، والعمق الدقيق فى بحث المسائل والأقضية المختلفة مما يجلى براعة المؤلف وسعة أفقه، وثروته الشرة، ورصيده من العلم والإحاطة بلطائف الشريعة ومقصودها، وهو يحتوى على شواهد من أشعار العرب وأمثالهم.

وفاتــه:

توفى بمصر سنة إحدى وسبعين وسـتمائة وكان ذلك ليلة الاثنين التاسع من شوال.

جملة من لطائفه وأقواله:

١- جعل الله تعـالى أمثـال كتـابه عبرًا لمن تدبرهـا، وأوامره هدى لمن استبصرها.

٢- خاطب الله بالقرآن أولياءه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا.

٣- قَـرَأةُ (قُرَّاء) الـقرآن هم حـملة سـر الله المكنون، وحـفظة علمـه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه.

٤- القرآن شهيد على من خالف من أهل الملل.

٥- الحجة على من علم القرآن فأغفله [أشد] وأوكد منها على من قصَّر عنه وجهله.

٦- من أوتى علم القـرآن فلم يـنتـفع، وزجـرته نواهيـه فلم يرتدع، وارتكب من المآثم قبـيحًا، ومن الجـرائم فضوحًا، كـان القرآن حجـة عليه، وخصمًا لديه.

٧- واجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.

٨- من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

٩- أول ما يلوح من فضل القرآن مجرد الشعور بأنه كلام رب العالمين، غير مخـلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفة من ليس له شـبيه ولا ند، فهو من نور ذاته عز وجل.

٩٢- الإمام النـووى
يحيى بن شرف (١)
(ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

يحيى بن شـرف بن مُرِّى (بضم الميم وكسر الراء) إبن حـسن -الحزامى الحورانى، النووى الشافعى، أبو زكريا، محيى الدين.

نشأته ومولده:

ولد أبو زكريا سنة إحدى وثلاثين وستمـائة للهجرة المشرفة فى (نوا)(٢) وقد تلقى تعليمه الأولى بدمشق، وأطال المقام فيها زمنًا طويلاً.

وقد عُنِىَ والده -وكان رجلاً فاضلاً- بتربيـته التربية الصالحة الرشيدة، فاستحثه وحرضـه وحضَّه على طلب العلم، لما أن رأى فى طلعته من النجابة والنباهة والذكاء الفطرى.

كان يحـيى وهو طفل وصـبى صغيـر يهرب من اللعب مـع الأطفال، ويميل إلى البعد عنهم، ليلوذ بقراءة القرآن الذى وقـرت واستقرت محبته فى قلبه.

---

(١) طبقات الشافعيـة للسبكى ٥/ ١٦٥، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧/ ٢٧٨، وتذكرة الحفـاظ للذهبى ٤/ ١٤٧، وشـذرات الذهب لابن العمـاد ٥/ ٣٤٥، ومفـتاح السـعادة لطاسن كبرى زاده ٢/ ١٤٦.

(٢) نوا: من قرى ود ساكر حوران بسوريا، وإليها يعتزى وينتسب ويقال نسبة إلى (نوا) نووى ويجوز أن يقال: نواوى. قيل: كان جده الأعلى حزامًا، نزلها على عادة العرب، فألقى بها عصاه، وقد أعقب ذرية كثيرة.

فما كـاد أن يناهز الحلم حتى ختم القرآن الكريم، وحـلت بركة القرآن عليه صبـيًا، وهو إذ ذاك يعمل فى دكان كان جعله أبوه فـيه، لكن عمله فى هذا الدكان لم يصرفه عن الانقطاع إلى حفظ القرآن الكريم واستظهاره.

لما أن لاحت بوادر العـبقرية علـى أسارير هذا الصبـى، وقد رآها أبوه واضحة للعيان، وبتقـديره الشخصى وتقويمه أن «نوى» لا تشبع نهم ابنه ولا تروى ظمـأه العلمى وطموحـه فقـرر هذا الأب الفاضل والرجل الصـالح أن يتـحول بابنه إلى دمـشق الحـاضرة الفـتيـة[١] فى ذلك الوقت من سنة تسع وأربعين وستمائة للهجرة، وكان عمر ابنه وقتذاك زهاء تسع عشرة سنة، ومن شدة اجتهاده فى طلب العلم لابنه أن ظاهره وعاونه عليه.

حياته العلمية فى دمشق:

انطلق فى مـسيـرته العلميـة فى دمشق لـم يتلبث، ولم يلو على شيء ليشبع نهـمته، ويقضى وطره، إذ تتلمـذ لشيوخ أعلام أجـلاء فى عصره فى علوم الفقه والأصول والحديث والعربيـة ومختلف فنون العلم والمعرفة، وكان لا ينام من الليل إلا لمامًا.

مسموعاته على المشايخ:

كان من مسمـوعاته على المشايخ الكتب المعتبـرة فى السنة وعلى رأسها وفى مقدمتـها: صحيح البخارى، وصحيح مـسلم، وجامع الترمذى، وسنن أبى داود، وسنن النسـائى، وسنن ابن ماجه، ومـوطأ الإمام مـالك، ومسند الشافعى، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمى، وغيرها وغيرها.

---

(١) كانت دمشق وقتـذاك موئلاً للعلماء والفضلاء ومنتزعًا وقبلة لطلاب العلم، لما توفـر فيها من عشرات المدارس التى قيل إنها كانت تربو على ثلاثمائة مدرسة.

كان شيخا لدار الحديث:

ثم لما أن ولى -رحمه الله- مشيخة دار الحديث الأشرفية[1] سنة خمس وستين وستمائة، أفاد الطلبة والدارسين والباحثين علمًا جمًا نافعًا، وقد تقلد مذهب الشافعى[2] وقيد نفسه بالتخريج على أصوله.

أخلاقه وتواضعه:

كان النووى -رحمه الله- مخلصًا لله وللعلم فى توجهه، فكان مضروبًا به المثل فى إقباله على العلم والإكباب عليه، والتجرد له بكل ما أوتى من مؤهلات نفسية وذهنية، ومن البدهى أن يكون مثله -ولا ضريب له فى عصره- أن يكون مستمتعًا بذخيرة وفيرة من الأخلاق الطيبة والشمائل المرضية.

كان على درجة عالية من التقوى والإنابة، والورع، بعيدًا عن اللهو والمجانة، منصرفًا إلى قراءة القرآن والعبادة، والتقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال، آية فى الزهد.

وفاته:

توفى رحمه الله ليلة الأربعاء فى الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة.

أقوال العلماء الأعلام فيه:

قال الذهبى: ولى النووى دار الحديث، وكان لا يتناول من معلومها

---

(١) دار الحديث الأشرفية: كانت فى دمشق بجوار باب القلعة الشرقى غربى العصرونية، كان بناها الملك الأشرف الأيوبى، من ملوك دولة بنى أيوب (٥٧٩-٦٣٥هـ).

(٢) بل يعتبر النووى من كبار الحافظين لمذهب الشافعى، العارفين بأدلته، القائمين بتقريرها.

شيئًا، بل يتقنع بالقليل مما يبعث به إليـه أبوه، وكان لا يأخذ من أحد شيئًا، ولا يقبل إلا من تحقق دينه ومعرفته[(١)]، وقد أثنى عليه جلة العلماء.

قال السيوطى: كان إمامًا بارعًـا حافظًا متقنًا، أتقن علومًا شتى، وبارك الله فى علمـه وتصانيـفه لحسـن قصده، وكـان شديد الورع والزهـد، أمارًا بالمعـروف ناهيًا عـن المنكر، تهابه المـلوك، تاركًا لجـمـيع ملاذ الدنيـا، ولم يتزوج[(٢)].

وقد رثاه بعد موته جماعة يبلغون عشـرين نفسًا بأكثر من ستمائة بيت، وتأسفت عليه دمشق كلها، ونوى وأجمع البلدان على فقده.

من نصائحه ووصاياه ولطائفه[(٣)]:

١- من ينصب نفسـه للتعليم عليـه أن يقصد به وجـه الله تعالى، ولا يقصد به توسلاً إلى غرض دنيوى.

٢- على العالم أن يتحلى بالشيم المرضـية، ويتخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها من تزهد فى الدنيا والتقلل منها، وعدم المبالاة بفواتها.

٣- الحذر من الحسد والرياء والإعجاب.

٤- يجب أن يعلم أن الخلق لا ينفعونه ولا يضرونه حقيقة، فلا تنشغل ولا تتشـاغل بمراعاتـهم، فتتـعب نفسك، وتـضر دينك، فـيحبط عـملك، وترتكب سخط الله، ويفوتك رضاه.

٥- من السعادة دوام مراقبة الله تعالى فى السر والعلانية والمحافظة على قراءة القرآن والأذكار والدعوات.

---

(١) العبر للذهبى ٥/٣١٣ بتصرف.
(٢) طبقات الحفاظ ص ٥١٣ بتصرف.
(٣) المجموع للنووى ١/٤٦ وما بعدها بتصرف.

٦- ينبغى لمن أراد العلم أن يعتنى بالتصنيف إذا تأهل له، فبه يطلع على حقائق العلم ودقائقه، وبه يرتفع عن الجمود على محض التقليد، وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف مالم يتأهل له، فإن ذلك يضره فى دينه وعلمه وعرضه.

٧- يجب على المعلم ألا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره، وهذه مصيبة يُبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله.

٨- ينبغى للمعلم أن يحرض طلابه على الاشتغال فى كل وقت، ويطالبهم فى حفظ ما يلزم حفظه، وينير أذهانهم بطرح الأسئلة المهمة عليهم، فيثنى على المجتهد منهم والنابغة فيهم ترغيبًا له، وشحذًا لهمم الآخرين، ويوجه إلى المقصر اللوم غير المنفر، ويبسط له ما أُشْكِلَ عليه ليتضح له، وعليه أن ينصفهم فى البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيراً، ولا يحسد أحدًا منهم لوفرة تحصيله ومحصوله، وحدة ذهنه، وحضور بديهته فإن الحسد حرام لغير طلابه، وهنا أشد.

٩٣- الشوكانى
محمد بن على بن محمد (١)
(ت ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكانى، من أهل اليمن.

مولده ونشأته:

ولد بهجرة شوكان(٢)، ثم نشأ بصنعاء، وكانت ولادته سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف للهجرة، وقد تربى فى حجر أبيه على العفاف والطهارة.

علمه وفقهه وقدراته التأليفية:

تبحر محمد بن على الشوكانى فى العلم الشرعى (علوم الدين) حتى إنه ندر أن يوجد مثيل له أو ضريب فى عصره، وخير دليل على ذلك ما تركه من المصنفات النافعة والأضاميم النفيسة، والأضابير المفيدة، بلغت كتبه زهاء مائة وأربعة عشر ألفًا ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة وقد انتظمت على علم الفقه والحديث وأصول الفقه(٣).

---

(١) البدر الطالع٢/ ٢١٤، ومعجم المطبوعات العربية ١١٦٠، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٩٨، ومقدمته فى كتابه النفيس «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، وكان رحمه الله فقيهًا فى مذهب الزيدية وهو مذهب أهل البيت متمسكًا بالسنة.

(٢) هجرة شوكان: إحدى بلاد خولان باليمن.

(٣) حفظ كثيرًا من المختصرات فى صباه الباكر بعد استظهاره القرآن الكريم ووعى كثيرًا من المتون الرصينة فى مختلف العلوم والفنون، قيل إن حفظه للمتون والمختصرات كان قبل=

وفاته:

توفي ﷺ سنة ألف ومائتين وخمسين من الهجرة المشرفة.

من لطائفه وغرر مسموعاته:

١- كان رحمه الله معنيًا بفقه أهل البيت من الزيدية، حتى صار قدوة فيه، وكان شديد النعي والتنديد على المقلدين الجامدين، الواقفين على التعصب الذميم في الأصول والفروع.

٢- لابد من النظر في الدليل، وله مصنف قيم اسمه: «دار السحاب بما لا يخالج بعده ريبة المرتاب».

=شروعه في الطلب، كذلك قبل شروعه في الطلب كان مكبًا على الاشتغال بمطالعة التاريخ ومجاميع الأدب، وظل ينهل من هذا كله حتى صار إمامًا يشار إليه بالبنان.

٩٤- ابن الجوزى
عبدالرحمن بن على [١]
(ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى[٢]، القرشى، التيمى البكرى، البغدادى، أبو الفرج علامة عصره، وإمام دهره فى علمى الحديث والتاريخ.

مولده ووفاته:

ولد ابن الجوزى سنة ثمان وخمسمائة بواسط ببغداد بمحلة «مشرعة الجوز» من محال بغداد، وكان إمام عصره فى الحديث والوعظ[٣] والرقائق.

وقد توفى ببغداد أيضًا سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة عن تسع وثمانين سنة.

رحلته فى طلب العلم:

استظهر القرآن الكريم صبيًا، وتعلق بالعلم فى وقت الطلب فجعله

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١٣، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢٢٨/١٠، وآداب اللغة ٩٩/٣، وابن الوردى ١١٨/٢، والنجوم الزاهرة ١٧٤/٦، وتذكرة الحفاظ ١٣١/٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى.

(٢) ورد فى ذيل الروضتين: «الجوزى نسبة إلى فرضة من فرض البصرة، يقال لها جوزة، وجوزة النهر هى ثلمته التى يستقى منها» قيل: المنسوب إليها جده السابع جعفر بن عبدالله اهـ. بتصرف نقلاً عن هامش (١) من الأعلام ٣١٧/٣، ذكروا أنه تلقى العلم عن سبعة وثمانين شيخًا.

(٣) قيل: إنه قضى زهاء خمسين عامًا فى الوعظ والإرشاد وكان مستمعوه فى مجالسه من الوزراء والوجهاء والمرموقين.

قبلته ومطلبه، فانصرف إليه ولم يلو على غيره، وتبحر فى فقه الإمام أحمد ابن حنبل، ولذلك قيل إنه البغدادى مولدًا، وإقامة، الحنبلى مذهبًا، كما توسع فى دراسة الفقة والحديث، وولع بالوعظ والإرشاد، فكانت مجالس وعظه مشهودة مشهورة.

لقد أخذ العلم عن جملة من جلة الشيوخ الأعلام، فى أكثر العلوم والفنون، وقد كان معروفًا بحدة الذهن وتوقده وحضور البديهة.

أقوال العلماء الأعلام فى ابن الجوزى:

قال شيخ المؤرخين ابن خلكان: كان ابن الجوزى علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ[١].

قال ابن كثير: أحد أفراد العلماء، برز فى علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره»[٢] وقال: كان فيه بهاء وترفع اهـ. ثم قال: «وكان له فى العلوم كلها اليد الطولى»[٣].

وقال الذهبى: «ما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل».

من لطائفه ومواعظه ونصائحه:

١- من اللطائف الجليلة التى تدل على حدة الذهن، وحضور البديهة، والقدرة على السيطرة على الموقف بحسن التصرف، ولطف المخرج، وفى كثير من المسائل صعبة المآتى يتعذر على اللبيب الفطن الخروج منها، ومن

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩.
(٢) البداية والنهاية بتصرف.
(٣) البداية والنهاية بتصرف.

تلك المواقف ما ذكره ابن خلكان[١] من أنه كان هناك نزاع فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى، وقد وقع بين أهل السنة والشيعة فى عهد ابن الجوزى... فرضى الكل بما يجيب به الشيخ، فأقاموا شخصًا يسأله عن ذلك وسط مجلس وعظه، فقال: «أفضلهما من كانت ابنته تحته» ثم نزل فى الحال حتى لا يُراجع فى السؤال، فقال السنية: أراد أبا بكر، لأن ابنته عائشة تحت النبى ﷺ، وقال الشيعة: أراد عليًّا؛ لأن ابنته فاطمة كانت تحت على، ثم علق ابن خلكان على ذلك بقوله: «وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان فى غاية الحسن فضلاً عن البديهة».

٢- يا معشر بنى آدم، اعلموا أن الموت لا يترك أحدًا، ولا يرحم والدًا ولا ولدًا، فاجعلوه بين أعينكم منصوبًا، فإنه لا يترك الفرح كيئبًا مكروبًا، فيقيننا يقين من لا يموت، كأن يقيننا بالموت مشوبٌ بالشك، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجٌ بالإفك.

٣- الأعمار عوارٍ، والعارية لا تبقى[٢].

٤- الله الله يا أعراض المنية، ويا أبواب البلية، ويامعادن الرزية، أفيقوا من هذا الوسن، قبل أن تزودا من أموالكم بحنوط وكفن.

٥- الله الله عباد الله، استعدوا للموت، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان، وأيتم الولدان، وفرق الإخوان.

٦- ما خلق الله الدنيا إلا للزوال، وجعلها سجنًا لأوليائه، وجنة لأعدائه، فراحة الأولياء الموت، وعذاب أعدائه الموت.

---

(١) فى كتابه الشهير «وفيان الأعيان».

(٢) لقوله ﷺ: «العارية مؤداة».

٧- إلى متى الصدود، عن طاعة الملك المعبود، والغفلة عن بحر الموت المورود، فارحموا، أنفسكم قبل التلف، وابكوا عليها قبل الأسف، فإن السفر بعيد، وهول المطلع فظيع شديد، والزاد قليل، والهم والحزن طويل.

٨- عجبي لمن يغفل وهو غير مغفول عنه.

٩- عباد الله، أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور وطاعة الشيطان المثبور، واعملوا لضيق اللحود والقبور.

١٠- ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب، فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل، ولا يشفق على من غرَّه طول الأمل، ولا من ضيع أيام المهل.

١١- تذكروا هول المقابر، والمصير إلى ضيق الحفائر.

١٢- البخيل شريك الشيطان اللعين، فكونوا من الأسخياء الصالحين، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين.

٩٥- ابن تيمية
أحمد بن عبدالحليم [١]
(ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبى القاسم الخضرى النميرى، الحرانى، الدمشقى الحنبلى، أبو العباس، تقى الدين ابن تيمية.

مولده ونشأته وإمامته:

ولد ابن تيمية فى حران[٢]، ثم تحول به أبوه عنها، فأشخص إلى دمشق[٣] حيث نبغ واشتهر، وعلا نجمه، لتحصيله عديدًا من العلوم الشرعية وتبريزه فيها فى مدارسها الحافلة بها وقتذاك وبالعلماء الأعلام وتتلمذ لمائتى شيخ بها.

طلبه الدخول مصر:

طلب إليه القدوم إلى مصر، لأجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فألب عليه لفيف من العلماء وغيرهم ووشوا به حتى سجن مدة، ثم نقل إلى الأسكندرية، ثم بعدها أطلق سراحه، فعمد إلى دمشق سنة اثنتى عشرة وسبعمائة للهجرة، ثم اعتقل بها بعد ثمانى سنوات «أى سنة عشرين وسبعمائة» ثم أطلق سراحه بعد ذلك، ولم يلبث حتى عاد.

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ١٤٤، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٥، الوفيات ١/ ٢٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٢) وكان ذلك سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة.

(٣) وكان ذلك له ست سنوات فقط أى سنة سبع وستين وستمائة.

زهده وتقشفه وعفته وورعه:

كان عـزوفًا عن الدنيا مـشيحًـا عنها، مـقبلاً على الآخـرة ساعيًـا لها سعيها.

فى السجن:

إلى السـجن مرة أخـرى ولم يخـرج منه حـيث توفى فـيه سنة ثمـان وعشرين وسبـعمائة للهجرة، وكان سجنه هو قلـعة دمشق، وتوفى وله سبع وستون سنة(١).

علامة موسوعى من الندرى أن يشاكله ضريب:

كان هذا الرجل آية من آيات الله فى الإحاطة الدقيقـة الموعبة الموسوعية بالمسائل والقضايا الشرعية، فهو بحر لا ساحل له أو محيط بلا قاع فى علوم التفسير، والفقه والأصول والحديث، وبرع بصفة خاصة فى التفسير.

وذكر العلمـاء أنه برع فى الإفتاء وهو لا يتعـدى العشرين عامًـا، كما عمل بـالتدريس مدة من الـزمن، وقد بلغت مـؤلفاته نحوًا مـن أربعة آلاف كراسة.

قال العلماء: كـان استوعب الحديث وله بضع عـشرة سنة، وكان ذكى الفؤاد، قوى الحـافظة، قوى العارضة، حاضر البـديهة، صلب الرأى، قوى الحجة.

شروعه فى التأليف والتصنيف والمناظرة:

شرع فى التأليف والتصنيف والمناظرة، وهو ابن بضع عشرة سنة.

---

(١) قيل: إن دمشق كلها خرجت فى جنازته.

من أقواله المأثورة عنه:

١- من آذانى فأنا فى حِلٍّ من جهته.

٢- حبسى خلوة، ونفيى سياحة، وقتلى شهادة.

٣- لا يحل للمسلم أن يرتكب ظلمًا محققًا ليدفع ظلمًا مظنونًا أو متوقعًا.

٤- الذى ينشد الحكمة فى غير كتاب الله ضال مضل.

٥- ما يحرم سداً للذريعة، يباح للمصلحة الراجحة.

٦- الإيمان بالقدر واجب، ولكن الاحتجاج به محظور.

٧- الأنبياء معصمون منزهون عن كل ما يقدح فى نبوتهم.

٨- النفى فى الخمر تعزير يسوغ للإمام فعله باجتهاده، وقد ضرب الصحابة فى الخمر أربعين، وضربوا ثمانين.

٩٦- ابن قيم الجوزية (١)
محمد بن أبى بكر
(ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

شمس الدين أبو عبدالله، محمد بن أبى بكر بن أيوب بن قيم الجوزية الزرعى الدمشقى الحنبلى.

مولده ونشأته:

ولد فى دمشق سنة ٦٩١ إحدى وتسعين وستمائة، وتتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكان رافقه إلى مصر فى إشخاصه إليها.

تهذيب كتب شيخه:

عمد ابن قيم الجوزية إلى تهذيب كتب أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية، فكان لا يخرج عن أقواله، بل كان ينتصر له فى جميع ما يصدر عنه.

سجن مع شيخه فى قلعة دمشق:

سجن الشيخان فى قلعة دمشق، وقد لاقى ابن قيم الجوزية ما لاقاه من عسف وعنف وتعذيب بسبب رفقته لشيخه وانتصاره لآرائه، حتى إنه طيف به على حمار (وقيل على جمل) مضروبًا بالعصى.

إطلاق سراحه:

ولم يطلق سراحه من السجن إلى بعد موت شيخه فى السجن.

---

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠، ومعجم يوسف إليان سركيس «المطبوعات» ٢٢٢، وشذرات الذهب لابن العماد ٦/ ١٦٨، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٩.

أخلاق ابن القيم:

كان الشيخ ابن القيم يتمتع بخلق كريم رفيع -رحمه الله- فكان هادئ الطبيعة، سرى الأخلاق، محبوبًا من جمهرة الناس، وكان محبًا للكتب، فكان لديه منها رصيد كبير.

وفاته:

توفى ﷺ ورحمه سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة أى بعد وفاة شيخه بثلاث وعشرين سنة، وكان للشيخ ابن القيم عند وفاته ستون عامًا.

من لطائفه ومواقفه ومأثوراته:

١- أهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لامع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه.

٢- ما من أحد (من المعتزلة والأشاعرة) إلا معه حق وباطل، ونحن نساعد كل فريق على حقه ونضير إليه، ونبطل ما معه من الباطل ونرده عليه.

٣- لم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد آناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض فى غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل فى كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عقيدة كل فرقة...

٤- السلف أفضل الناس مذهبًا، وأهداهم طريقًا، وهم خير أمة محمد ﷺ، وأكمل الأمة الإسلامية إيمانًا وعلمًا، وإن مذهبهم هو خير المذاهب وأسلمها.

٥- ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى.

٦- إن الله تعالى فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه.

٧- أفعال العباد فعل لهم حقيقة، والله سبحانه وتعالى هو الخالق لها[١].

٨- الناس قسمان: مقر بالحق تعالى، وجاحد له، فتضمن الفاتحة لإثبات الخالق تعالى، والرد على من جحده، بإثبات ربوبيته تعالى للعالمين، وتأمل حال العالم كله[٢].

٩- إن وجود الرب تعالى أظهر للعقول السليمة والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما.

١٠- لو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به، فتكون كلها سواء، ولم يكن فرقٌ بين مدلولاتها، وهذا مكابرة صريحة[٣].

١١- التحقيق أن صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه.

١٢- نحن ندين بالقدر وإن سُمِّي جبرًا، وندين بإثبات الصفات وحقائق الأسماء، وأن سُمِّيَ تجسيمًا، ولندين بإثبات علو الله على عرشه فوق سماواته وإن سمى تحيزاً أو جهة، وندين بإثبات وجهه الأعلى ويديه المبسوطتين وإن سمى تركيبًا[٤].

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٥٠.
(٢) مدارج السالكين ١/٣٣.
(٣) مدارج السالكين ١/١٦.
(٣) السابق ٣/٢٥٨.

٩٧- الإمام السخاوى [١]
محمد بن عبدالرحمن
(ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن عبدالرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوى.

مولده ونشأته:

أصله من قريه سخا[٢]، وهى إحدى قرى مصر، لكنه ولد بالقاهرة فى ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، بحارة بهاء الدين، علو الدرب المجاور لمدرسة شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى محل أبيه[٣].

حبه العلم وتحصيله وقت الطلب:

ولقد كان من نشأته الأولى، منذ نعومة أظفاره، وقبل أن يشب عن الطوق محبًا للعلم شغوفًا به منهومًا بأسبابه.

استظهر السخاوى القرآن الكريم صبيًا، وجوَّده على جماعة معتبرة من شيوخ عصره، فحلت عليه بركاته ونزلت به نفحات كتاب الله الكريم فأوغل فى العلم إيغالاً لافتًا للنظر، مشاراً إليه بالتفوق[٤]، والتبريز فى الفقه والحديث وعلوم العربية، لكنه تبحر بصفة خاصة فى علم الحديث.

---

(١) الضوء اللامع من تأليفه ٨/ ٢ وشذرات الذهب ٨/ ١٥، ومعجم المطبوعات العربية ٥٠٠، وخطط مبارك ١٢/ ١٥، وتاريخ ابن إياس ٢/ ٣٢١،

(٢) سخا: مدينة قديمة فى مصر، وهى حاليًا إحدى قرى محافظة الغربية.

(٣) قيل: إنه تحول بعد ذلك وهو فى سن الرابعة مع أبويه إلى ملك كان أبوه اشتراه مجاوراً لسكن شيخه وأستاذه ابن حجر العسقلانى.

(٤) قال ابن إياس: كان السخاوى عالمًا فاضلاً بارعًا فى الحديث، وقال السيوطى: أكب السخاوى على التاريخ فأفنى فيه عمره، وأغرق فيه عمله، وسلق فيه أعراض الناس وملأه بمساوئ الخلق. اهـ رحم الله الشيخين.

رحلاته في طلب العلم:

لما أن توفى شيخه ابن حجر عمد الشيخ السخاوى إلى دمياط حيث سمع عن أعلام الشيوخ فى الحديث هناك فأراد أن يتلقى عنهم.

ثم إنه عند أدائه فريضة الحج لقى فى طريقه لفيفًا من العلماء المرموقين فحرص على الأخذ منهم أيضًا.

لقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من أترابه وأضرابه الذين لم تُتَحْ لهم الظروف لينهلوا من هؤلاء الأكابر من علماء الأقطار هنا وهناك، وعن قفوله إلى القاهرة مرة أخرى توجه إلى فيشا الصغرى ثم إلى الأسكندرية، ثم دسوق، وفوة، ورشيد، وسمنود، وغيرها وغيرها لم يتلبث ولم يعرج على شيء، قرأ وسمع وناقش وحاور، ثم عمد إلى حلب وغيرها من البلدان فى عزيمة وصبر وجلادة يحتمل المشاق والصعاب لا يصرفه صارف، ولا يلفته لافت عن تحصيل مبتغاه، وتحقيق مراده وتأميله ومطلوبه.

ولم يكن هناك مصرف من أن يلقى عصاه آخر حياته فى مصر المحروسة ويتحلق الناس حوله لينهلوا من معين علمه وفضله.

وفاته:

لكنه فى مجاورته الأخيرة بالمدينة المشرفة، أدركه الحتم المجاب فلم يتردد فى الاستجابة اشتياقًا للقاء الله، وكان ذلك عصر يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اثنتين وتسعمائة للهجرة. فرضى الله عنه وأرضاه.

من لطائفه ومأثوراته ومسموعاته:

١- كان السخاوى شديد اللهجة، عنيف الحدة على العلماء وقد انبرى إلى الكثير منهم فوقع فيهم وبسط لسانه فى أعراضهم فكان لذلك محل اعتراض واستهجان من هذه الناحية، وقد اتهم السيوطى بالنزق والسرقة، واتهمه السيوطى بالجهل... وإلى هنا يجمل السكوت والإمساك ويرحم الله الجميع.

٩٨- أبو حنيفة
النعمان بن ثابت [(١)]
(ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

النعمان بن ثابت، التيمى بالولاء، أبو حنيفة، إمام الحنفية صاحب المذهب الحنفى المعروف، الفقيه المجتهد المحقق.

ترجع أصوله إلى بلاد فارس، لكنه ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة ونشأ بها.

عمل أبى حنيفة:

عمل أبو حنيفة بزازًا، وكان يبيع الخز فى صباه، وفى نفس الوقت كان يسعى جاهدًا لتحصيل العلم، فلما استوى عوده، واستعجمت قناته، وقويت شوكته بالعلم، انقطع إلى الإفتاء والتدريس.

امتناعه عن تولى القضاء تورعًا:

امتنع أبو حنيفة عن تولى القضاء تورعًا، عندما أراده إلى ذلك المنصب الخطير عمر بن هبيرة «أمير العراقيين»، كما امتنع أيضًا عندما ندبه إليه أبو جعفر المنصور العباسى، وحاول أن يحمله عنوة على تولى قضاء بغداد فأبى وامتنع تورعًا.

مواجهة بينه وبين المنصور:

لما احتدت واحتدمت المناقشة بن أبى حنيفة والمنصور، الثانى مصر على

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٦٣، والجواهر المضيئة ١/ ٢٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٢٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣/ ٧٢٩٧.

أن يتولى أبو حنيفة وهو يصر على الرفض حلف المنصور بالله أن يتم هذا الأمر، فقوبل بحلف أبى حنيفة بألا يتولى ذلك الأمر.

فقال المنصور مغضبًا: كيف أحلف بالله تعالى، وترد عليَّ بالحلف فى المقابل بالرفض.

لكن أبا حنيفة الفقيه المدره لم يفعل ذلك إباءً واستعلاء أو استكباراً كما داخل أبا جعفر، إنما كان ذلك على سبيل الخوف من التبعة الدينية، ورهبة من المسئولية مع أنه أقدر من يتحملها من غيره عشرات المرات.

أجاب أبو حنيفة على استفسار المنصور، فقال: إن أمير المؤمنين أقدر منى على فداء يمينه.

لكن كان بدهيًا أن يشرف السجن، فيودع فيه لعصيانه أمير المؤمنين بعد أن قال مستعطفًا: يا أمير المؤمنين، أنا لا أصلح...

وقال المنصور: أنت كذَّاب.

قال أبو حنيفة: لو كنت كذابًا كما ترى فكيف تولى الفضاء كاذباً؟ وإن كنت صادقًا، فأنا لا أصلح باعترافى على نفسى... إلى هنا لم تكن ثمة حيلة فى إسدال الستار على المحاورة.

ضُرِبَ أبو حنيفة ضربًا مبرحًا وسيق إلى محبسه حتى مات فيه كما ذكر ابن خلكان(١).

صفاته وأخلاقه:

كان أبو حنيفة رجلاً مهذبًا كريم الشمائل سرى الأخلاق، مرضى النفس، مهيب الجانب، حميد الخلال، شديد الذكاء، حاضر البديهة، يستخدم ذكاءه، وحضور بديهته فى إفحام الخصوم، وإلجام الممارين المجادلين، ومن ثم فإنه جدير بأن يكون إمام أهل الرأى، وصاحب القياس.

---

(١) فى وفيات الأعيان. وهذا هو الصحيح.

وفـاته:

توفي أبو حنيفة رحمه الله سنة مائة وخمسين للهجرة عن سبعين عامًا.

أقوال العلماء فيه:

قال الشافعي: الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة. وقال ابن المبارك: إن كان الأثر قد عرف واحتيج إلى الرأى، فرأى مـالك وسفيان وأبى حنيفة، وأبو حنيفة أحـسنهم وأدقهم فطنة، وأغوصهم على الفقه وهو أفـقه الثلاثة. وقال النضـر بن شمـيل المازنى (ت٨١٩م): كان الناس نيامًـا فى الفقـه حتى أيقظهم أبو حنيفة.

قال سفـيان بن عيينة: شيـئان مما ظننت أنهما يـجاوزان قنطرة الكوفة: قراءة حمزة، ورأى أبى حنـيفة. وقال يزيد بن هارون: سفيان أحـفظ للفقه، وأبو حنيفة أفقه. وقال الحكم بن عـبدالله: ما رأيت صاحب حديث أفقه من سفيان الثورى، وأبو حنيـفة أفقه منه. من ثم لم يكن أروع ولا أورع من أبى حنيفة فى عصره.

من فرائد وغرر أقواله:

١- اللهم من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له.

٢- قولنا هذا رأى، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا، فهو أولى بالصواب منا.

٣- قيل لـه: قولك الذى تُفتـى به أهو الحق الذى لا شك فيـه؟ قال: والله لا أدرى، لعله الباطل الذى لا شك فيه.

٤- يا أبا يوسف، لا تكتب كل مـا تسـمع منى، فإنى قـد أرى الرأى اليوم وأرجع فيه غدًا، وأرى الرأى غدًا، وقد أتركه بعد غد.

٩٩- الإمام مالك
مالك بن أنس [(١)]
(ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن غيمان بن خيثل بن عمرو بن الحارث، من حلفاء بنى تيم بن مرة، أبو عبدالله المدنى. شيخ الأئمة، وإمام دار الهجرة، ومفتى المدينة، وإمام أهل الحجاز، واحد العلماء الفضلاء، وأوحد الفقهاء السبعة صاحب المذهب المعروف به.

نشأته:

نشأ مالك نشأة طيبة مباركة، فقد ولد سنة ثلاث وتسعين للهجرة، وقد كان سليل شرف وفخار، فإن جده الأول «مالك بن أبى عامر» واحد من كبار التابعين، وكانت كنيته «أبو أنس» وكان طويل القامة كبير الهامة، أبيض اللون، أصلع، أشم الأنف، حسن الصورة، يحب العطور والطيب، مهيبًا، بيد أن مالكًا عانى فى بداية حياته من الفاقة والعسر والعوز، حتى إن ابنته كانت تبكى من شدة الجوع، بيد أن الله سبحانه وتعالى أغناه بعد ذلك فكانت تأتيه الهدايا والألطاف من كل حدب[(٢)] وصوب.

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥، وتاريخ الخميس، ٢/ ٣٣٢، وصفة الصفوة ٢/ ٩٩، ومن أعلام الإسلام للدكتور محمد بن عبدالمنعم خفاجى، والسيد الجميلى ص ٤٧، وما بعدها، والأنساب للسمعانى ١٤١، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ٢٠٧، وتهذيب الأسماء واللغات للنووى ٢/ ٧٥، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢٨٩، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٩٦/رقم ١٨٩، وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦/ ٣٨٦.

(٢) قيل: إن هارون الرشيد بعث إليه ذات مرة بثلاثة آلاف دينار.

درجته فى العلم:

تبحر مالك فى العلم، إذ أكب على التحصيل إكبابًا ملحوظًا لفت إليه الأنظار، لم يضارعه فيه ضريب فى عصره ووقته[١]، وقد صنف «الموطأ» الذى طبقت شهرته الآفاق، وقال: لقد عرضته على سبعين عالمًا من علماء المدينة فتواطأوا عليه، فسميته الموطأ. وكان صاحب أناة[٢] وروية عند الإفتاء، ومن نشأته الروحية المنفوحة نبت هذا الغراس الكريم الطيب متمثلاً فى الإمام مالك، حيث حفظ القرآن الكريم واستظهره صبيًا، ثم اندفع بقوة وعزيمة مشحوذة، وهمة مطرورة إلى حفظ حديث رسول الله ﷺ والتبحر فيه بغير حدود[٣].

أخذ العلم من ستمائة شيخ من جلة وعمالقة الشيوخ فى عصره، فقد كان من شيوخه «نافع» مولى عبدالله بن عمر، وقد قيل: إن أصح الأسانيد هى مالك عن نافع عن ابن عمر.

شهادة العلماء لمالك:

قرر علماء الحديث وأئمة أهل السنة أن مالكًا ثقةٌ ضابطٌ عدلٌ مدقق فى اختيار من يروى عنهم[٤].

---

(١) فقد أخذ عن نافع ومحمد بن المنكدر، وجعفر الصادق وخلق، وعنه الشافعى وخلائق لا حصر لها.

(٢) كان رحمه الله إذا سئل فى الافتاء تريث، وتمهل، ولم يندفع أخذًا بالأحوط بعد طول أناة وعميق تدبر، كما كان يتمسك بالمأثور ولا يحب الجدل والمماراة، وكان يكره الخوض فى القضايا الفرضية أو التصورية.

(٣) قال مالك: كتبت بيدى مائة ألف حديث.

(٤) كان مالك يأخذ بفتوى الصحابة رضي الله عنهم كما كان يأخذ بالإجماع، وبعمل أهل المدينة، فإن لم يجد نصًا مقطوعًا به أخذ بالقياس، ثم بالاستحسان، والعرف، وسد الذرائع، ثم بالمصالح المرسلة، لكن الأخذ بالمصالح المرسلة عنده مشروط بأن لا تتعارض مع أصول الدين وأن تكون لرفع الحرج.

سأل عبدالله بن أحمد بن حنبل أباه: من أثبت أصحاب الزهرى؟ قال أحمد: مالك أثبت فى كل شيء.

وقال البخارى: أصح الأسانيد مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال الشافعى: إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال: ما هبت أحدًا قط هيبتى من مالك بن أنس(١).

وفاته:

توفى مالك بن أنس رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة.

قال السيوطى: وحمل به ثلاث سنين(٢)، وقال غيره: أربع سنين.

من مأثوراته ولطائفه الجليلة:

١- كتب إليه يحيى بن يزيد النوفلى يعترض عليه فى توسعه فى النفقة فى الطيبات من الملذات كالأثاث الفاخر من نمارق ووسائد وبسط وأهرة ومتاع، بعد أن مرت به فى حياته فترات حرج وضيق... وبلغت رسالته مالكًا فرد عليه ردًا جليلاً بالغًا فى الأدب والشكر على النصحية بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس، إلى يحيى بن يزيد... سلام الله عليك، أما بعد، فقد وصل إلىَّ كتابك، فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب، أمتعك الله بالتقوى، وجزاك بالنصيحة خيرًا، وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم....

(١) وكان الشافعى يتلقى العلم على مالك بن أنس وكانت سِنُّ الشافعى وقتئذ ثلاث عشرة سنة.

(٢) طبقات الحفاظ ص ٩٦.

فإما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق، وألبس الدقاق، وأحتجب، وأجلس على الوطيء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] وإنى لأعلم أن ترك ذلك خيرٌ من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك، فلسنا ندعك من كتابنا والسلام»[2].

٢- لما سئل مالك عن الاستواء، سكت عن السائل، فعاود السؤال بعد ذلك فقال له فى الثالثة: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

٣- كل مخلوق مأخوذ من قوله ومردود عليه ماخلا صاحب الروضة الشريفة ﷺ.

٤- العلم نورٌ يجعله الله حيث يشاء، ليس بكثرة الرواية.

٥- الداء العضال هو الخبث فى الدين.

٦- ما كنت لاعبًا فلا تلعب بدينك.

٧- إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير.

٨- إن عندى لأحاديث ما حدثت بها قط، ولا سمعت منى، ولا أحدث بها حتى أموت.

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) تأمل قول مالك: «وإنى لأعلم أن ترك ذلك خيرٌ من الدخول فيه» اهـ إذ يعترف مالك بأن الخير فى تركه عنه من الدخول فيه فكانت فتوى مالكية بالإباحة... والترك أفضل من الفعل.. ثم إنه يبلغ الغاية من الورع والعفة والطهارة فى قوله: «فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى».

٩- إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينة وخشية وأن يكون متبعًا لأثر من مضى قبله، ثم قال: «كتبت بيدى مائة ألف حديث».

١٠- من كاد الدين فليس من أهله[1].

١١- القرآن كلام الله غير المخلوق، لأن كلام الله من الله.

١٢- قال عن القدرية: يستتابوا، فإن تابوا وإلا قُتِلُوا...

١٣- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

١٤- إنى لأفكر فى مسألة منذ بضع عشرة سنة، ما اتفق لى فيها رأى إلى الآن.

١٥- سُئِلَ مالك عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب عن اثنتين وثلاثين منها «أى عن ثلثيها» بقوله: لا أدرى، ولم يجب إلا عن ست عشرة مسألة فقط من الثمان والأربعين مسألة.

١٦- يجب «ينبغى» أن يورث العالم جلساءه قول: «لا أدرى».

وفاته:

توفى مالك بن أنس ﷺ سنة تسع وسبعين ومائة عن ست وثمانين سنة.

(١) ومن مأثوراته: «... لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين «وأشار إلى أعمدة المسجد» فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن».

١٠٠- الفخر الرازى [١]
(ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠م)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى، أبو عبدالله فخر الدين الرازى، المفسر الإمام أوحد زمانه وسيد أقرانه فى المعقول والمنقول، وعلوم الأولين، صاحب التفسير الكبير وغيره من المصنفات الرائعة.

أصله وولادته ونشأته:

أصل الإمام الفخر الرازى من «طبرستان»[٢] لكنه ولد فى «الرى»[٣] وإليها انتسب واعتزى، ولذلك كان يسمى بـ «ابن خطيب الرى» وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجرة، وكان والده من كبار علماء الرى.

رحلته إلى خوارزم وغيرها:

قيل إنه رحل إلى خوارزم وبلاد ما وراء النهر وخراسان، وحصَّل من العلوم ما شاء الله له التحصيل، وقد صنف وأبدع فى التصنيف، ولعل أروع وأجمل وأجمع مؤلفاته تفسره الكبير المسمى بـ «مفاتيح الغيب»، و«المسائل الخمسون فى أصول الكلام»، و«المحصول فى علم الأصول».

---

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٢/ ٢٣، ووفيات الأعيان ١/ ٤٧٤، وابن الوردى ٢/ ١٢٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٣، ولسان الميزان لابن حجر ٤/ ٤٢٦، وآداب اللغة ٣/ ٩٤، والعبر ١٨، وشذرات الذهب ٥/ ٢١.

(٢) طبرستان: بلاد واقعة فى إيران جنوبى بحر قزوين، شمال جبال البرز، فتحها العرب المسلمون فى عهد عثمان بن عفان ﷺ على يد سعيد بن العاص سنة ٦٥٠م وأطلقوا عليها اسم طبرستان، من مدنها آمل وبابُل.

(٣) الرى: من المدن القديمة شمالى إيران (جنوب شرقى طهران).

أقوال العلماء فى الفخر الرازى وفضائله وعلمه:

قال فيه ابن خلكان شيخ المؤرخين: «. . . كان فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات» اهـ.

قال القفطى: «. . . جيد الفطرة، حاد الذهن، حسن العبادة، كثير البراعة، قوى النظر فى صناعة الطب ومباحثها»(١).

وقال الذهبى: «الفخر الرازى، الشافعى، المفسر، المتكلم، صاحب التصانيف المشهورة»(٢).

قال السبكى فى طبقات الشافعية: «. . . أما الكلام، فالكل ساكت خلفه، . . . وأما علوم الحكماء، فقد تدرع بجلبابها، وتلفع بأثوابها»(٣) اهـ.

وهو صاحب التفسير الكبير والمسمى بمفاتيح الغيب(٤).

من مأثور أقواله ومسموعاته:

١- كل شيء ماسوى الله تعالى فإنه حصل بإيجاد الله وجوده وإحسانه، وقد ثبت أن الوجود نعمة ورحمة وإحسان، والنعمة والرحمة والإحسان موجبة للحمد والشكر.

٢- إن الاستعاذة بالله من المعاصى دليل على أن العبد غيرُ راضٍ بها، ولو كانت المعاصى تحصل بتخليق الله تعالى وقضائه وحكمه، وجب على العبد كونه راضيًا بها، لما ثبت بالإجماع أن الرضا بقضاء الله واجب.

---

(١) طبقات الأطباء ٢/٢٣.

(٢) العبر للذهبى ٥/١٨.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١).

(٤) طبقات المفسرين للداودى ٢/٢١٦.

٣- الحق حالة متوسطة بين الجبر والقدر، وهو الكسب.

٤- إن العلم بكونه لذيذًا إنما يوجب حصول الميل والرغبة فى تحصيله.

٥- الشيطان اسم والرجيم صفة، وإنه سبحانه وتعالى فى قوله جل شأنه: ﴿الشيطان الرجيم﴾ لم يقتصر على ذكر الاسم، بل ذكر الصفة معه أيضًا.

٦- أحوال القلب أربعة: الاعتقاد المطابق المستفاد عن الدليل، وهو العلم، والاعتقاد المطابق المستفاد لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد، والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل.

٧- أحوال اللسان ثلاثة: الإقرار، والإنكار، والسكوت.

٨- قوله تعالى: ﴿نزلنا﴾ على لفظ التنزيل دون الإنزال، لأن التنزيل المراد به النزول على سبيل التدريج، أما قوله: ﴿أنزلنا﴾ من الإنزال، فهو مراد به مرة واحدة أو دفعة واحدة.

٩- فعل الإيمان والطاعة يوجب استحقاق الثواب الدائم، وفعل الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بينهما محال.

١٠- الضلال والإضلال هو العذاب والتعذيب.

١١- الحكمة فى القرآن على أربعة وجوه: أحدها: مواعظ القرآن فى قوله: ﴿وأنزل عليكم الكتاب والحكمة﴾ النساء. وبمعنى الفهم والعلم فى قوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾ وقوله: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ لقمان. وثالثها: النبوة على ما فى سورة النساء ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾، ورابعها: القرآن على ما فى النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾.

١٠١- ابن كثير
إسماعيل بن عمر [1]
(ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشى، البُصْرَوِىّ، عماد الدين، أبو الفداء، الإمام المحدث الحافظ.

مولده ونشأته:

ولد أبو الفداء، عماد الدين بن كثير فى دمشق سنة إحدى وسبعمائة للهجرة[2] وقيل سنة سبعمائة للهجرة[3] قيل ولد فى قرية بصرى بالشام[4]، وتلقى العلوم الدينية والحديثية وبرع فى تحصيلها، ثم انتقل مع أخيه إلى دمشق مرتحلاً لطلب العلم.

قيل إنه لزم يوسف المزى وتتلمذ له، وتخرج على يديه.

أستاذ الحديث:

تم تعيينه أستاذ للحديث فى مسجد أم صالح، ثم فى الأشرفية، وكان ذلك سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. قال الذهبى[5] عنه: ثقة متفنن محدث

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ٣٩٩، والبدر الطالع ١/ ١٥٣، وآداب اللغة ٣/ ١٩٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٢٣١، وتذكرة الحفاظ ٥٧، وطبقات الشافعية ٩٠، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١/ ١٢٣، وطبقات الحفاظ ص ٥٣٣/ ١١٦١، وحسن المحاضرة للسيوطى ١/ ١٦٨.

(٢) كذا فى الأعلام للزركلى ١/ ٣٢٠.

(٣) كذا فى «آداب اللغة» ٣/ ٢٠٨.

(٤) من آداب اللغة بتصرف.

(٥) من طبقات الحفاظ للسيوطى بتصرف.

متقن، وهو صاحب التفسير المشهور المسمى باسمه وتاريخه المعروف «البداية والنهاية» وغيره من المصنفات النفيسة القيمة.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة.

من مسموعاته ومروياته:

١- فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾[1].

قال ابن كثير: المراد بالوحى هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوى إليها، ومن الشجر ومما يعرشون، ثم هى محكمة فى غاية الإتقان فى تسديسها ورصها بحيث يكون فى بيتها خلل، ثم أذن لها تعالى إذنًا قدريا تسخيريًا أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التى جعلها الله تعالى مذللة لها، أى مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبرارى الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها ومالها فيه من فراخ وعسل، فتبنى الشمع من أجنحتها، وتقيء العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها.

---

(١) سورة النحل: الآيتين ٦٨-٦٩.

١٠٢- ابن حــزم
على بن أحمــد[(١)]
(ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

على بن أحمـد بن سعيـد بن حزم، أبو مـحمد، المعـروف بابن حزم الظاهرى عالم الأندلس وشيخها المشهور الذائع الصيت، أحد أئمة الإسلام.

مولده ونشأته وحياته:

ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة بمدينة قرطبة، ونشأ محبًا لأهل العلم من العلماء، كـذا أكب على تحصيل العلم إكبـابًا وقد ولى أبوه الوزارة وقيل: كـان رئيسًا للوزارة، والتى تولاها هو أيضـًا، (أبو محمد)، واعـتزى إلى مذهبه الظاهرى عديد وخلق كثـير من أهل الأندلس يقال لهم: «الحزمية» لكنه انصرف عن رياسـة الوزارة وتدبير المملكة، منصـرفًا عاكـفًا على العلم والتأليف والتصنيف.

علمه وفضله:

كان ابن حزم عالمًا فقيهًا[(٢)] جليلاً لكنه كان شديد الحمل على خصومه فى الرأى والمذهب، قوى المعارضة شديد الحدة مما أثار حفائظهم فوجدوا عليه

---

(١) لسـان الميـزان ٤/١٩٨، ونفح الطيب ١/ ٣٦٤، وآداب اللغـة ٣/٩٦، وتذكـرة الحفـاظ ٣/١١٤٦، وشذرات الذهب لابن العـماد ٣/ ٢٩٩، والعبر للذهبى ٣/ ٢٣٩، ووفـيات الأعيان ١/ ٣٤٠، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٩٨١.

(٢) قال ابنه الفـضل: اجتمع عندى بخط أبى من تآليـفه نحو أربعـمائة مصنف تشـتمل على قـريب من ثمانين ألف ورقـة، من مـؤلفاته النفـيسة «المحلى»، و«الإحكام فى أصـول الأحكام»، وغيره، قال السيوطى: كان أولاً شافعيًا ثم تحول ظاهريًا.

ووشوْا به وسعَوْا بينه وبين السلاطين[١] وحذروهم من خطره، فأقصته الملوك وطاردوه حتى فرَّ هاربًا إلى بادية (لَبْلَة) من بلاد الأندلس[٢].

وفاتـه:

وتوفى ببادية (لبلة) سنة ست وخمسين وأربعمائة عن سبعين سنة[٣].

من مسموعاته ومأثوراته:

١- ركَّبَ الله عز وجل فى النفس الإنسانيـة قوة مختلفة، فـمنها عدلٌ يزين لها الإنصاف ويحبب إليها موافقة الحق، ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور ويعميانها عن طريق الرشد.

٢- الفاضل يُسَرَّ لمعرفته بمقـدار ما منحه الله تعالى، والجاهل يسر لما لا يدرى حقيقة وجهه ولما فيه وباله فى أخراه وهلاكه فى معاده.

٣- طاعة الله عـز وجل هى جمـاع الفضائل واجـتناب الرذائل، وهى السيرة الفاضلة على الحقيـقة التى تخيرها لنا واهب النعم لا إله إلا هو، فلا فضيلة إلا اتباع ما هو مـأمور به من الله تعالى، أو نزَّه به أو حضَّ عليه، ولا رذيلة إلا ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه، أو نزَّه منه.

٤- تارك الحق ومتبع الغرور سخيف الاختيار، ضعيف العقل، فاسد التمييز.

٥- إن كل ما يشتغل به أهل فـساد التمييز من كـسب المال المنتقل عما قريب فـضول، إلا مـا أقام القـوت، وأمسك الرمق، وأنفق فى وجـوه البر والموصلة إلى الفوز فى دار البقاء.

٦- من وفَّقه الله تعالى لبيـان ما يتضاعف فيه أجر المعتـقد والعامل بما عضده البرهان فقد عرَّضه لخير كثير، امتنَّ عليه بتزايد الأجر، وهو فى التراب رميم.

٧- إن الدين كله لا يؤخذ إلا عن الله عز وجل، وعن رسوله ﷺ.

---

(١) لذلك قالوا: إن لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيـقان، مبالغة فى نعته ووصمه بالعنف والصرامة فى مقاله.

(٢) كذا فى الأعلام وغيره.

(٣) وقال السيوطى: مات فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

١٠٣- ابن قتيبة عبدالله بن مسلم (١) (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م)

اسمه وكنيته ولقبه:

عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (وقيل: المروزى الكاتب نزيل بغداد) أبو محمد، المسمى بأديب الفقهاء، وفقيه الأدباء.

مولده ونشأته:

ولد ببغداد حاضرة الأدب سنة ثلاث عشرة ومائتين، وأقام بالكوفة(٢)، ونهل من كتب العلم وتتلمذ على جلة الشيوخ الأعلام فى عصره، فكان له نصيب وحظ وفير فى التتلمذ على الجاحظ الذى أجازه برواية كتبه.

علمه وفقهه:

كان رحمه الله عالمًا فقيهًا أديبًا عالمًا بالعربية والأخبار وأيام الناس.

توليته القضاء:

ونظرًا لذكائه وفطنته وعلمه الوفير وفهمه اللطيف الدقيق وورعه وتقواه اختير لولاية قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، وصنف مكتبة جامعة تتميز بميزات تنفرد بها دون غيرها وقد تبحر فى علوم التفسير والحديث والأصول وفروق اللغة العربية.

---

(١) لسان الميزان ٣/ ٣٥٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥١، وآداب اللغة ٢/ ١٧٠، والأعلام ٤/ ١٣٧، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠/ ٣٩: ٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٦/ ١٣٨، وبغية الوعاة للسيوطى ٢/ ٧٦٣/ ١٤٤٤، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٢٤١، وشذرات الذهب لابن العماد ٢/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام للذهبى بتحقيق د. عمر عبدالسلام التدمرى ٢٠/ ٣٨١، وكان ولى قضاء الدينور مدة. انظر أخبار القضاة لوكيع.

(٢) كان ابن قتيبة رحمه الله أبيض اللحية طويلها، جميل الطلعة، حسن البَزَّة.

أقوال العلماء فيه:

قال الخطيب البغدادى: كان ابن قتيبة ثقةً ديِّنًا فاضلاً[١] بيد أن هذا الرجل العبقرى العملاق الفذ كان كثير الحساد كثير الأعداء، وليس غريبًا ولا مستبعدًا أن يستطيلوا عليه ويقعوا فيه ظلمًا وعدوانًا.

قال البيهقى: كان كرَّاميًا. وقال الدارقطنى: كان يميل إلى التشبيه[٢]، لكن الذى يكشف إرجاف الدارقطنى وظلمه أن ابن قتيبة له مؤلف فى الرد على المشبهة، ويبدو أن الدارقطنى لم يقرأه، ولم يسمع عنه، وذهب الحاكم إلى منطقة فى غاية الحرج والحساسية إذ قال فى الرجل قولاً عنيفًا وحكم عليه حكمًا قاسيًا بقوله: اجتمعت الأمة على أنه كذاب[٣]، لكن لم نعرف قولاً للأمة مجتمعًا على تكذيبه إلا قول الحاكم وحده.

وحسب ابن قتيبة فخرًا وشرفًا وعزًا أن شهد له إمام الحفاظ، وشيخ العلماء ومفخرة المحدثين الذهبى بقوله: ما علمت أحدًا اتَّهم القتيبىّ فى نقله، ومع أن الخطيب قد وثَّقه، وما أعلم الأمة اجمعت إلا على كذب الدجال ومسيلمة[٤].

لكن يريد الذهبى أن يبتَّ الأمر، ويحسم القضية فيقول: وهذه مجازفة بشعة من الحاكم، وما علمت أحدًا اتهم ابن قتيبة فى نقل، مع أن أبا بكر الخطيب قد وثقه[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ بتصرف. وفيه أيضًا قال الخطيب: كان رأسًا فى العربية واللغة وأيام الناس.

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ٢/ ٦٣ بتصرف.

(٣) راجع هذا القول فى تاريخ بغداد ١٠/ ١٧١، وبغية الوعاة ٢/ ٦٣.

(٤) الذى ذكره الذهبى فيه القول الفصل والجواب البليغ على إرجاف الظالمين، ثم إن الذهبى هو نفسه الذى استدرك على الحاكم وكشف أخطاءه فى «المستدرك» وعالجها بموافقته المتحفظة على البعض ورده للبعض الآخر، لتساهل الحاكم فى تقويمه واستنباطاته، راجع قول الذهبى هذا فى تاريخ الإسلام له ٢٠/ ٣٨٣ بتصرف.

(٥) تاريخ الإسلام ٢٠/ ٣٨٣.

ثم إن قول الذهبى: «ما علمت أحدًا اتهمه فى نقل» تعتبر شهادة لها ثقلها ولها وزنها فى مجال تقويم الرجل إنصافًا له ووضعًا للحق فى نصابه الصحيح. فكيف عرف الحاكم ما لم يعرفه الذهبى شيخ الحفاظ، لكن يشير الذهبى فى تاريخه إلى لطيفة فى غاية الأهمية فيقول: «... غير أن ابن قتيبة كثير النقل من الصحف كدأب الإخباريين، وقل ما روى من الحديث»[١] اهـ.

قال ابن تيمية: ابن قتيبة لأهل السنة، مثل الجاحظ للمعتزلة. اهـ.

وفاته:

مات ابن قتيبة فجأة، صاح صيحة سمعت من بُعْدٍ، ثم أُغْمِىَ عليه، وكان أكل هريسة، فأصاب حرارة، فبقى إلى الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما يزال يتشهد إلى السحر، ومات ﷺ ورحمه الله فى رجب سنة ست وسبعين ومائتين[٢].

من مسموعاته ومأثوراته:

١- إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفَهِمَ مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب.

٢- لو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفًا حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر.

٣- مع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة، فإن عيب الغنى يورث البَلَه، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة.

---

(١) السابق.

(٢) من السابق ومقدمة كتابه: «أدب الكاتب» بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد.

٤- كان ابن قتيبة يتمثل دائمًا بقول أكثم بن صيفى: ما يسرنى أنى مكفىٌّ كل أمر الدنيا، قيل له: ولِمَ؟ قال: أكره عادة العجز.

٥- من العلوم ما يجل، ومنها ما يدق؛ ليرتقى المعلم رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه، ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية.

٦- لو كان كل فن من العلوم شيئًا واحدًا، لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفى ولا جلى؛ لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها.

٧- علم الله تعالى نوعان: أحدهما علم ما يكون من إيمان المؤمنين وكفر الكافرين، وذنوب العاصين، وطاعات المطيعين قبل أن تكون، وهذا علم لا تجب به حجة، ولا تقع عليه مثوبة ولا عقوبة.

والآخر: علم هذه الأمور ظاهرة موجودة، فيحق القول، ويقع بوقوعها الجزاء.

٨- كل من تحير فى أمر قد اشتبه عليه واستبهم، أخرجه من الحيرة فيه: أن يسأل ويناظر، ثم يفكر ويعتبر.

٩- للشعر دواع تحث البطىء وتبعث المتكلف، منها الطمع ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب.

١٠- للشعر أوقاتٌ يُسرِعُ فيها أَتِيُّهُ، ويسمحُ أبيُّهُ، منها أول الليل قبل أن تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها شرب الدواء، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير.

١١- تتبين التكلف فى الشعر بأن ترى البيت فيه مقرونًا بغير جاره، ومضمومًا إلى غير لِفْقِه، (وهذه ملحوظة قيمة).

١٢- المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر بيته عجزه، وفى فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشى الغريزة.

١٣- أرجو أن لا يطلع ذو النهى منى على تعمدٍ لتمويه، ولا إيثار لهوى، ولا ظلم لخصم.

١٤- لو أنهم (يقصد أصحاب الرأى والجدل والكلام) ردوا المشكل إلى أهل العلم، وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة، وحب الاتباع.

١٥- لو كان اختلافهم (أى أهل الرأى) فى الفروع والسنن، لاتسع لهم العذر عندنا، وإن كان لا عذر لهم، مع مايدعونه لأنفسهم كما اتسع لأهل الفقه، ووقعت لهم الأسوة بهم.

١٦- لم تكمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشىء وضده، ليعرف كل واحد منهما بصاحبه.

١٧- كيف يطرد لك القياس فى فروع لا تتفق أصولها، والفرع تابع للأصل؟!

١٠٤- الإمام السيوطى (١)
(ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى، جلال الدين. المفسر الحافظ المحدث العلامة المؤرخ الأديب.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد فى القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة، ونشأ يتيمًا إذ توفى والده وله خمس سنوات، واجتهد فى طلب العلم حتى كان له ما رغب وطمح إليه من التفوق والتبريز، تفوق فى علم التفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة وفقهها.

مؤلفاته:

ألف السيوطى وصنف مئات الكتب والرسائل فى مختلف العلوم والمعارف، وعمل بالتدريس لكن لما رأى أنه يشغله ويعوقه عن التأليف ترك التدريس وهجره كذا اعتذر من عدم الإفتاء لنفس السبب وكتب «النفيس فى الاعتذار عن الفتيا والتدريس» وحورب وعودى من أعلام عصره(٢).

---

(١) شذرات الذهب ٨/ ٥١، والضوء اللامع ٤/ ٦٥، وحسن المحاضرة ١/ ١٨٨، وآداب اللغة ٣/ ٢٢٨، والكواكب السائرة ١/ ٢٢٦، ومعجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس ١٠٧٣، والأعلام ٣/ ٣٠٢.

(٢) وكان على رأس أعدائه ومعارضيه شمس الدين السخاوى، إذا بلغت الخصومة أوجها وذروتها بين هذين العالمين الكبيرين، وتبودلت الاتهامات القاسية العنيفة بينهما، لكن المرجو أن يغفر الله لكلا العالمين فإن الحسنات يذهبن السيئات. راجع تفصيل هذه القضية فى مقدمتنا لكتاب «ترتيب سور القرآن» للسيوطى الذى حققناه منذ فترة بعيدة.

اعتزاله المجتمع والناس:

حبس السيوطى نفسه فى بيته فى روضة المقياس بالقاهرة، وكان له عندئذ أربعون سنة وعاش مختليًا بنفسه منزويًا عن أصدقائه متجردًا للعبادة، منقطعًا لله تعالى، معرضًا عن الدنيا متنكرًا لكل ما فيها ومن فيها، مقتصراً على التأليف والتصنيف.

ثم كانت إقامته فى سجنه الاختيارى الذى وضع نفسه فيه بإرادته الحرة فى بيته فى روضة المقياس بالقاهرة - حتى آخر عمره.

وفاته:

توفى إلى رحمة الله سحر ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة فى منزله بروضة المقياس وكان مرض قبل موته بسبعة أيام بورم شديد فى ذراعه الأيسر، وتوفى رحمه الله عن إحدى وستين سنة، وعشرة أشهر، وثمانية عشر يومًا، ودفن فى حوش قوصون، خارج باب القرافة، رحمه الله رحمة واسعة.

من لطائفه ومواقفه وأقواله:

١- علم الفقه بحوره زاخرة، ورياضه ناضرة، ونجومه زاهرة، وأصوله ثابتة مقررة، وفروعه ثابتة محررة.

٢- جميع مسائل الفقه ترجع إلى خمس قواعد:

أ- اليقين لا يزال بالشك. ب- المشقة تجلب التيسير.

ج- الضرر يزال. د- العادة محكمة. هـ- الأمور بمقاصدها.

٣- لو اختلف اللسان والقلب، فالعبرة بما فى القلب.

٤- لايشترط مع نية القلب التلفظ.

٥- العرف الذى تُحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن السابق دون المتأخر.

٦- كل ما ورد به الشرع مطلقًا ولا ضابط فيه، ولا فى اللغة، يرجع فيه إلى العرف.

١٠٥- الشيخ محمود شلتوت (١)
(ت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م)

اسمه وكنيته ولقبه:

محمود شلتوت، الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ الإمام شلتوت فى مينة بنى منصور بالبحيرة سنة عشر وثلاثمائة وألف للهجرة، ثم اجتهد فى طلب العلم صغيرًا بعد أن استظهر القرآن الكريم وحصل العلوم الشرعية والدينية وتفوق فيها، وقد كان رحمه الله آية فى التواضع وحسن الخلق.

درجته العلمية ومكانته ورحلته العملية:

تخرج فى الأزهر سنة ثمان عشرة وتسعمائة وألف للميلاد، ثم عمل بالتدريس طرفًا من الزمان، ثم نقل إلى القسم العالى بالأزهر سة ١٩٢٧م.

وتزعم موضوع فتح باب الاجتهاد وتوسع فى هذا المطلب حتى عورض من مشايخ الأزهر وعلمائه فطردوه ورفاقه، فعمل بالمحاماة لمدة أربع سنوات (من ١٩٣١م-١٩٣٥) ثم أعيدَ إلى الأزهر، ثم عُيِّن وكيلاً لكلية الشريعة، ثم اختير عضواً بهيئة كبار العلماء (مجمع البحوث الإسلامية حاليًا) ثم اختير عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م. ثم شيخًا للأزهر سنة ١٩٥٨م، وقد ألف زهاء ستة وعشرين كتابًا.

---

(١) المجمعيون فى خمسين عامًا للدكتور محمد مهدى علام ص ٣٤٠، والأزهر فى ألف عام ٣/ ١١٢، والأعلام للزركلى ٧/ ١٧٣، وشيوخ الأزهر لعلى عبدالعظيم ٢/ ١٨١، وما بعدها.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة (١٩٦٣م) عن سبعين عامًا.

من مأثورات الشيخ شلتوت وآثاره ومواقفه:

١- تقدم الشيخ شلتوت برسالة إلى مؤتمر القانون الدولى المقارن[1]، المنعقد بمدينة هولاى فى هولندا سة ١٩٣٧ موضوعها عن: «المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية فنالت الرسالة استحسان أعضاء المؤتمر وإعجابهم، فأصدروا قرارًا بصلاحية الشريعة الإسلامية للتطور، وأنها مصدر من مصادر التشريع الحديث، كما أصدر المؤتمر قرارًا بأن تكون اللغة العربية - لغة هذه الشريعة- إحدى لغات المؤتمر فى دوراته المقبلة.

٢- من آثاره البيضاء أنه هو الذى أسس مجمع البحوث الإسلامية، ووضع مشروع إنشائه ولائحته التنفيذية.

٣- كان يتطلع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، وإذابة الفروق المذهبية، فكانت دعوته إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٤- من مأثوراته المحفوظة له قوله: «إن دعوة التقريب هى دعوة التوحيد والوحدة، هى دعوة الإسلام والسلام».

٥- إن الإسلام لا يوجب على أحد اتباع مذهب معين، بل إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد بادئ ذى بدء أيًا من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحًا، ولا حرج عليه فى ذلك.

---

(١) وكان الشيخ اختير عضو فى الوفد المبعوث للاشتراك فى هذا المؤتمر ممثلاً للأزهر الشريف، وكان هذا فى أغسطس سنة ١٩٣٧ سبع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد.

١٠٦- محمد حسنين مخلوف[١]
(ت ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م)

اسمه ولقبه:

محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى، الفقيه الزاهد العارف الإمام القدوة العالم الجليل بالتفسير والفقه والأدب والإفتاء.

مولده ونشأته:

ولد محمد حسنين مخلوف سة سبع وسبعين ومائتين وألف للهجرة فى قرية بنى عدى من أعمال منفلوط، ثم استظهر القرآن صغيرًا، وتلقى العلم فى قَريته ثم انتقل إلى القاهرة لتلقى العلم فى الأزهر الشريف، ولقد كان جزوة فى تحصيل العلم والإكباب عليه[٢].

فى الأزهر:

تخرج الشيخ محمد حسنين مخلوف فى الأزهر سنة خمس وثلاثمائة وألف للهجرة، ثم عمل مدرسًا به، وكان عضواً فى مجلس إدارته، وهو الذى أسس المكتبة الأزهرية ونظمها، ثم عين بعد ذلك شيخًا للجامع الأحمدى بطنطا، ثم مديرًا عامًا للمعاهد الدينية ووكيلاً للأزهر، ثم انقطع

---

(١) معجم الشيوخ ١/ ٩٤، ومعجم المطبوعات العربية ١٦٤٨، والأعلام للزركلى ٦/ ٩٦، وكتاب من أعلام الإسلام للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى والسيد الجميلى ص ١٧٥.

(٢) وخير دليل على فحولته العلمية ورسوخ أقدامه، وطول باعه، وعمق إحاطته، قوة أسلوبه، ورصانة أدواته فى مقالاته وكتبه ومحرراته، إذ كانت له عناية فائقة بالأسلوب الأدبى فى السياق العلمى وغيره، لاعتقاده بأن فقه اللغة العربية وبلاغتها هى المفتاح إلى دقة الأداء وحسن التأتى للولوج إلى كتاب الله تعالى وفهم معانيه.

لتدريس التوحيد والفلسفة والأصول وأنجب سبعة وثلاثين مصنفًا، نالت القبول والرضى وحسن الثناء، ولقد كان الشيخ وقورًا مهيبًا.

وفاته:

توفى إلى رحمة الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة عن خمس وسبعين سنة.

تكريم العلماء له عرفانا بفضله:

نظرًا لما تحلى به الشيخ حسنين مخلوف من علم غزير وخلق كريم وحياء بالغ ورقة ولطف فى الشعور ومهابة ووقار وجلال، نظرًا لهذا كله كان مرموزًا إليه مشارًا إلى علمه وفضله، فقد أسدى خدمات جليلة للفكر الإسلامى.

من أعماله البيضاء وآثاره الكريمة:

١- كاتب الشيخ حسنين مخلوف الملك عبدالعزيز والملك سعود والملك فيصل فى شتى الشئون الإسلامية، كما كاتب الحبيب بورقيبة ناصحًا ومذكرًا، كذا الملك محمد الخامس، والحسن الثانى والملك إدريس السنوسى، وغيرهم وغيرهم.

٢- حارب الشيخ حسنين مخلوف البدع والخرافات التى لها مساس بالدين وجوهر العقيدة.

٣- حارب الشيخ الفكر المنحرف مثل فكر البهائية والقاديانية والإسماعيلية وغيرها.

١٠٧- محمد متولى الشعراوى [1]
(ت ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م)

اسمه وكنيته ولقبه:

محمد متولى الشعراوى، أبو سامى.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ فى أول إبريل سنة ١٩١١م إحدى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد بقرية دقادوس مركز ميت غمر، من أعمال مديرية الدقهلية.

رحلته العلمية:

حفظ القرآن الكريم صبيًا، ثم فى معهد الزقازيق الدينى تلقى تعليمه الأولى الابتدائى ثم الثانوى ثم التحق بكلية اللغة العربية، حصل على الإجازة العالية سنة ١٩٤١م، ثم حصل على العالمية مع تخصص التدريس سنة ١٩٤٢م، ثم عيِّن مدرسًا بمعهد طنطا الأزهرى وعمل به فترة، ثم نُقِلَ إلى معهد الأسكندرية، ثم معهد الزقازيق، أعير بعد ذلك للعمل بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٠م حيث شغل وظيفة مدرس بكلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة، ثم قفل إلى القاهرة فعمل وكيلاً لمعهد طنطا الدينى سنة ١٩٦٠م ثم عيِّن مُفتشًا للعلوم العربية بالأزهر سنة ١٩٦٢، ثم عين مديراً لمكتب الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر سنة ١٩٦٤م، فرئيسًا لبعثة الأزهر للجزائر سنة ١٩٦٦، ثم أستاذًا زائرًا بجامعة

(١) من كتاب «الفتاوى» كل ما يهم المسلم فى حياته ويومه وغده للشيخ محمد متولى الشعراوى، أعده وعلق عليه وقدم له السيد الجميلى وكتاب «الشيخ الشعراوى حياته وفقهه» للسيد الجميلى، وكتاب «المأثورات» تأليف فاطمة السحراوى.

الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠م، ثم عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٧٦م فعضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م، وعضواً بمجلس الشورى ١٩٨٠م.

وفاته:

توفى الشيخ فى فجر يوم الأربعاء ٢٢ صفر سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٧ من يونيو سنة ١٩٩٨م بعد أن ترك وراءه تراثًا ضخمًا من الفكر الإسلامى الغزير.

جملة من مأثوراته ودرر أقواله ومواعظه:

١- الأفق الضيق يملؤه قليل العلم.

٢- احترم قضاء الله وقدره فى خلقه.

٣- ليس عند أحد علم ذاتى، فلا تتعالى على من لم يعلم، ولكن ارتفع به إلى أن يصير مثلك.

٤- عزفت عن الدنيا وأنا فى الشباب محتاج إلى المال، فسعت إلىَّ فى الكبر وأنا عارفٌ عنها.

٥- بين الكبرياء والاعتزاز بالنفس شعرة لا يحلها إلا التواضع.

٦- إياك والتعالم، فإنه يُحْفِظُ عليك من يهبك ذلك العلم.

٧- إن العلم أسس استيعابه التواضع؛ لأن العلم جمهرته إلهام، ومالم تتطامن للملهم تخطئك فيوضات المنعم، يضن عليك بالضرورى منه.

٨- ألويت وجهى عن الشهرة، فسعت إلىَّ فى الكبر.

٩- الذى يكذبك فيما تعلم لا تصدقه فيما لا تعلم.

١٠- الله يريد قلوبًا، لا أن يخضع أجسامًا، فإن إخضاع الأجسام بالقسر والقهر، أما إخضاع القلوب فلا يكون إلا بالحب.

١١- الآخرة جزاء الدنيا(١).

١٢- أبعد الناس عن الدين من كان مرتبطًا بفكر البشر..

١٣- أحب الناس إلى قلبى الذى لا يجاملنى بإخفاء عيب فِيَّ.

١٤- أزهروا المدارس ولا تمدرسوا الأزهر.

١٥- إذا أراد الله لمبدأ من مبادئ الحق أن يسود، فلابد أن تكون للحق قوة: قوة تقنع بالبرهان، وقوة تردع بالسنان.

١٦- إذا فقد المؤمن أنس دنياه، فعليه ألا يفقد آخرته.

١٧- الإسراف حتى فى الخير مكروه.

١٨- الإسلام هو الانقياد السلوكى لأوامر الله.

١٩- الإسلام يريد قلوبًا تخشع وليس قوالب تخضع.

٢٠- أعاننى الفقر على العلم وعصمنى.

٢١- الاغتيال جبنٌ عن مواجهة المغتال.

٢٢- أفضل أنواع الحكم أن يحكم الحاكم نفسه أولاً.

٢٣- أقرب الناس إلى الله أوثقهم بمنهجه.

٢٤- امتدح المستشرقون الإسلام ودسوا السم بين السطور.

٢٥- أهل مصر فى رباط دائم مع الله.

---

(١) راجع كتاب: «الشعراوى- القيثارة الإيمانية» للأستاذ كمال محمد على.

٢٦- البرزخ عرض للعذاب لا دخول فيه.

٢٧- التجربة فى الكلام النظرى ينعم بها صاحبها ويشقى المجتمع.

٢٨- تخلف المسلمين راجع لأنهم مسلمون جغرافيًا.

٢٩- التطرف جهلٌ مركب.

٣٠- الجبابرة يفعلون ما يريدون دون مراجعة، والمجنون أيضًا يفعل ذلك.

٣١- الجمال الحقيقى هو الجمال الذى لا يورث قبحًا فى الوجود.

٣٢- التعصب جبروت مستتر.

٣٣- الجوارح تعمل والقلوب تتوكل.

٣٤- حج بقلبك إذا عجزت أن تحج بنفسك.

٣٥- الحياة هى الفرصة التى لا نعرفها إلا بعد أن نفتقدها.

٣٦- خبث العلماء أطهر من طهارة الأتقياء.

٣٧- دوام الاتفاق نفاق، وكثرة الخلاف اعتساف.

٣٨- رمضان شهر حرمان للنفس لتستقبل عطاء الرب.

٣٩- رمضان شهر للصيام وليس هيامًا بالطعام.

٤٠- نهار رمضان صيام، وليله قيام.

٤١- الطفل لابد أن يشاهد قضايا الدين مفعولةً، قبل أن يسمعها مقولة.

٤٢- طلب الرحمة والمغفرة مطلوب من المؤمن مهما كان إيمانه.

٤٣- عبودية البشر للبشر استعباد، وعبوديتهم لله عزة.

٤٤- الفضل فوق العدل.

٤٥- عندما تنتهى يد المخلوق تبدأ يد الخالق.

٤٦- القيم لا تبلغ حظها من السمو إلا إذا طبع السلوك على مقتضى هذه القيم.

٤٧- الكلمة من الرأس بعد اللقمة من الفأس.

٤٨- لا تطرف فى الدين، المجتمع هو المتطرف.

٤٩- لا خير فى خير بعده النار، ولا شر فى شر بعده الجنة.

٥٠- لا يصح أن نقول رجال دين، الصحيح أن نقول: علماء دين.

٥١- لم نحارب إسرائيل من منطلق إسلامى، ولذلك طالت الحرب.

٥٢- لن تذهبوا بى إلى مكان ليس فيه الله.

٥٣- الدين دستور لكل ما هو جميل.

٥٤- متعة المؤمن الذلة بين يدى الله، والعزة أمام غير الله.

٥٥- المجتمع الذى يسوده النفاق والمحسوبية تتصادم فيه حركة الإنسان مع الآخرين.

٥٦- المريض يكون فى صحبة المنعم، والسليم يكون فى صحبة نعمة المنعم.

٥٧- مطلوب الألوهية تكليف، ومعطى الربوبية تشريف.

٥٨- من أحكام صوم رمضان أن نستديم لأنفسنا حلاوة العبادة بخروجنا عن مألوف العادة.

٥٩- من أراد تطبيق الحكم الإسلامى، فليبدأ بنفسه أولاً.

٦٠- من الخطأ القول: الدين للجميع، والصحيح أن نقول: التدين للجميع.

٦١- الموت هو الحقيقة التى عشنا نشك فيها.

٦٢- منهج الله أدق الموازين.

٦٣- الناس نوعان: نوع عاقل تقنعه الحجة والبرهان، ونوع جاهل يتمادى فى جهالته نكرانًا للإقناع وعدم الانصياع للحجة.

٦٤- نفخة واحدة تطفئ ونفخة واحدة تؤجج.

٦٥- الصلاة اندمج فيها كل أركان الإسلام(١).

٦٦- القيم هى القيم حتى عند المنحرف، فالصادق محترمٌ حتى عند الكاذب، والخائن يحترم الأمين.

٦٧- من عظمة الله ألاَّ تدركه، فإذا أدركته انقلب القادر مقدورًا، والمقدور قادرًا... وهذا لا يمكن أبدًا.

٦٨- إخفاء الداء لا يشفيه، لكن مجاهرتك لطبيبك بدائك تعينه على تشخيص المرض وإيجاد العلاج.

٦٩- من أخذ ما ليس له، حمَّله الله ما ليس عليه.

٧٠- القدر هو ما يجرى عليك، لا ما تجريه أنت على نفسك.

٧١- قبل أن تطلب من الحاكم أن يكون شجاعًا فى الحق، يجب أن يكون المحكوم عليه أيضًا شجاعًا فى ألاَّ يجانب الحق.

---

(١) راجع كتاب «المأثورات» للشيخ الشعراوى - رؤية خاصة فاطمة السحراوى ط. الأهرام ١٩٩٠. بتصرف.

٧٢- لا إكــراه فى الدين. . . أنت حــرٌ فى أن تؤمن أو لا تؤمن ولكن إذا آمنت فالتزم بالمنهج.

٧٣- الشيء الذى له بديل يـجب ألا يكون ميـئـوسًـا منه وذلك على تقدير العوض فيه.

٧٤- السلام والإخاء فى المعاملات بين الناس لا يتأتى إلا بتوفير الطاقة فى التساند لا التعاند.

٧٥- البركة يعـنى وجود يد الله فى الأسباب، أى أن يوجـد من الخير فى الشيء أكثر مما هو مظنون فيه.

٧٦- أتحدى أن توجـد جزئيـة وقف عليهـا إنسان إلى جـانب حق الله وناله سوء.

٧٧- مَالَكَ سوف يأتيك، فرزقك من المال والشهرة أعرف بمكانك منك بمكانك.

٧٨- العبودية هى ألا تشغلك الأسباب عن خالق الأسباب.

٧٩- لا يوجد واجب يضاد واجبًا؛ لأن الواجـبات تتساند لا تتلاحق، فكل واجب يسلمك لواجب آخر ليسانده.

٨٠- الطاعــة هى الالتزام بالأمـر والنهى فيـما آمنت به فى افـعل ولا تفعل، والطاعة إصلاح كل حركة فى الحياة، كما أن المعصية إفساد فى حركة الحياة.

٨١- حين نكون متـفقين على أن نخطئ، نكون قد احـترمنا الصواب فى الاتفاق، لكن الخطأ فى ذاته يبقى خطأً.

٨٢- معرفة الإنسان بسيئاته ونقصه يقين، ومعرفته بنقص غيره ظن.

٨٣- حدود الله جوابر للمذنب، وزواجر لغيره.

٨٤- الثقة المطلقة بالنفس جنون.

٨٥- الذى يعطى الإنسان ميلادًا لا تطرأ عليه وفاة... هو أن يربط نفسه بباقٍ، ولا بقاء إلا لله وحده.

٨٦- عمر الدنيا هو قدر بقائك فيها.

٨٧- نظام الكون يحتاج إلى مواهب متكاملة... لا مواهب متكررة.

٨٨- المؤمن لا يغيب عنه التفاؤل إلا حين يغفل عن إيمانه بالله.

٨٩- الشيطان ليس لديه قوة القهر فيمنع، ولا قوة الحجة فيقنع.

٩٠- من مظاهر استطراق العبودية... أن المصلين يخلعون أقدارهم خارج المسجد مع نعالهم.

٩١- الدين تدبير لحركات الناس وليس تبريرًا لأخطائهم.

٩٢- فزع الإنسان فى الدنيا أن يفوت نعيمها أو بفوته نعيمها، أما نعيم الآخرة فلا يفيد المقدور له من المؤمنين.

٩٣- الدين مهمته الدنيا، والآخرة جزاء على عملك فيها.

٩٤- خلاص العالم من متاعبه... أساسه الرجوع إلى الله.

٩٥- الحق هو الثابت الذى لا يتغير.

٩٦- القرب من الله تعالى أمره بيدك بأن تذكره ليذكرك.

٩٧- الصلاة هى الإعلان الدائم للولاء لله، ولأهميتها هذه لا تسقط أبدًا.

٩٨- يجب أن لا توجد فتوى فردية.

٩٩- المصاب من حُرِمَ الثواب.

١٠٠- الحقائق مرة فاستعيروا لها خفة البيان.

١٠١- احترم قدر الله فى خلق الله.

١٠٢- التأمل بداية اليقين.

١٠٣- إذا عزت علىَّ أسبابى أقول: لأكرب وأنت رب.

١٠٤- الفكر هو حيوية العقل.

١٠٥- الحياة أهم من أن تُنْسى، ولكنها أقل من أن تكون غاية.

١٠٦- لا شىء فوق مدد الله.

١٠٧- إذا طلبت لنفسك الحرية، فلا تحرم غيرك منها، فالحرية إطلاق تصرف يحترم إطلاق تصرفات الآخرين.

١٠٨- نهاية العلم مبتداه.

١٠٩- الوهم شغلٌ بما لا يجدى.

١١٠- الفن عشق الجمال بما لا يورث قبحًا.

١١١- الرجل من كان له فى الحرب شجاعة وفى السلم وداعة.

١١٢- الثائر الحق هو الذى يثور ليهدم الفساد، ثم يهدأ ليبني الأمجاد. [وإلا لو استمرت ثورة الثائر لانقلب يهدم مابنى].

١١٣- العبادة التزام العابد بأمر المعبود.

١١٤- البشرى إخبار صادق عن غاية مستحبة.

١١٥- الأمان غاية الإيمان.

١١٦- النبوغ هو أن يصادف العمل الموهبة.

١١٧- الماضى إن لم يمكْن إرجاعه، فلا أقل من أن نفيد منه.

١١٨- التسامح ذكر ما فى يد الله المعوض عن كل إيذاء.

١١٩- الأوجب من الحزن على ماذهب، حمد الله على مابقى.

١٢٠- اتساع دائرة الخير الذى يقدمه الإنسان هو مقياس موهبته ومكانته.

١٢١- البلاءات لون من لفت العابد إلى خالقه.

١٢٢- الذى يختار الطاعة وهو قادر على المعصية، خيرٌ من الطائع الذى لايستطيع أن يعصى.

١٢٣- القرآن فيه كمالات الحق، وكمالات الحق لا تنتهى.

١٢٤- البرهان هو الحجة على الصدق.

١٢٥- النصيب الملقى إليك دون سعى منك هو الحظ ولو فسرناه لكان عين القضاء والقدر.

١٢٦- الإنسان بمعانيه لا بمبانيه.

١٢٧- شيئان يفزعان نعمة الدنيا: أن تفارقك، أو أن تفارقها.

١٢٨- السلطان إما سلطان القهر أو سلطان الحجة.

١٢٩- ظلم الغير هين بالنسبة لظلم النفس.

١٣٠- الرحمة تمنع العذاب، والمغفرة تستر العذاب.

١٣١- توجد المعانى أولاً، ثم توجد لها الألفاظ.

١٣٢- الهوى الذى فى النفس يصادم الفهم الذى فى العقل.

١٣٣- من والى ذكر الله، والى الله نصره على عدوه.

١٣٤- عبودية البشر لله عز، وعبوية البشر للبشر ذل.

١٣٥- التداوى من الأمراض يدخل فى قدر الله، لأنه من أسبابه، والتداوى من قدر الله والشفاء من قدر الله ولا ينفصل قدر عن قدر.

١٣٦- الطبيب معالج والله شاف.

١٣٧- دليل حب الله، دوام فيوضاته ومدده لمحبوبه.

١٣٨- على قدر النوايا تكون العطايا.

١٣٩- الأمل شىء غال يجب ألا نقيمه نحن، لأن تقييمنا قاصر عن إدراك ما قيمّه الله لنا.

١٤٠- المفتون فى دينه يجب أن يسأل الله العافية.

١٤١- الرجولة عزة مشروعة.

١٤٢- أعطانا الله سبحانه وتعالى شيئًا من الشر فى الجود الا ليذيع الشر ويشيع، وإنما ليبتلى إيمان الناس فى الابتعاد عنه.

١٤٣- التجربة مع الله شك.

١٤٤- يريد الله أن يقبل عليه عبده طائعًا مختاراً، وهو فى مقدوره ألا يأتيه، وأن يطيعه وهو قادر أن يعصيه لذلك كان الإيمان اختياراً وليس جبراً.

١٤٥- الشقاء أن يضع الإنسان نفسه فى مستوى دون حركة حياته.

١٤٦- المنافقون هم الذين لا تتساند ملكاتهم على شيء.

١٤٧- الأمى ليس لديه قضية البته، ولكن الجاهل لديه قضية فاسدة أو مغلوطة يؤمن بها ويعتقد بسلامتها ولذلك فإن تعليم الأمى أيسر وأهون من تعليم الجاهل لأن تعليم الأمى مجرد إفراغ المادة إلى وجدانه الخالى أما الجاهل فمشكلته مركبة حيث إن المطلوب أولاً إخراج هذا المعتقد الفاسد من طويته، ثم بعد ذلك إدخال المعلومات الصحيحة محلها.

١٤٨- معية الله لمن اتقاه.

١٤٩- حين تضيق عليك الحياة والدنيا والأهل وتضيق عليك نفسك، فليسعك ربك.

١٥٠- الجمال أن تكون النتيجة وفق المقدمة[١].

---

(١) هذه المأثورات واللطائف والحكم اختصرناها اختصاراً من كتاب الشيخ الشعراوى حياته وفقهه للسيد الجميلى، وكتاب المأثورات للأستاذة فاطمة السحراوى، وكتاب الشعراوى القيثارة الإيمانية للأستاذ كمال محمد علي.

١٠٨- جمال الدين الأفغانى
محمد بن صفدر (١)
(ت ١٣١٥ هـ /١٨٩٧م)

اسمه ولقبه:

محمد بن صفدر(٢) الحسينى، جمال الدين، من كبار فلاسفة الإسلام ومفكريه ومن النوادر الأفذاذ، رائد نهضة الشرق العظيم.

نشأته وحياته ورحلاته:

ولد فى أسعد أباد بأفغانستان سنة أربع وخمسين ومائتين وألف للهجرة، ثم نشأ بكابل، وأقام بها وحج سنة ١٢٧٣هـ، ثم عمل فى دوست الحكومة «دوست محمد خان» ثم رحل مارًا بالهند ومصر إلى الأستانة وكان ذلك سنة خمس وثمانين ومائتين وألف للهجرة، فكان عضواً بمجلس المعارف بها، ثم نفى مِنها سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف فعمد إلى مصر المحروسة وتتلمذ له الشيخ محمد عبده تلميذه وصفيه وخليله ومعه كثيرون، ثم نفته حكومة مصر وقتذاك سنة ست وتسعين ومائتين وألف للهجرة، فرحل إلى حيدر أباد، ثم منها إلى باريس، وفيها أنشا «العروة الوثقى»(٣)، ثم رحل إلى

---

(١) زعماء الإصلاح ٥٩-١٢٠ والأعلام للزركلى ٦/١٦٨، ١٦٩، ودائرة المعارف الإسلامية ٧/٩٥ وما بعدها.

(٢) صفدر: كلمة فارسية، معناها «صف» و«در» أى مخترق الصفوف، وقد تكتب صفتر بإحلال التاء محل الدال.

(٣) أصدر الأفغانى ومحمد عبده «العروة الوثقى» فى باريس سنة أربع وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد، وفى العدد الأول من هذه الجريدة الصادر فى الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ / الثالث عشر من مارس ١٨٨٤م، لخص الإمامان أهداف العروة الوثقى فى=

بطرسيرج، ثم إلى ميونيخ بألمانيا، ثم إيران، ثم دعاه السلطان عبدالحميد إلى الأستانة فقابله هناك.

مرضه ووفاته:

مرض بالسرطان فــى مكة وقيل دُسَّ له السم فمات سنة خــمس عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة (١٨٩٧م) وله تسع وستون سنة.

أقوال علماء عصره فيه:

قال عنه رينان: تعرفت بالشيخ جمـال الدين الأفغانى، فوقع فى نفسى منه مـا لا يقع لى إلا من القليلين، وأثر فى تأثيـرًا قويًا، وقد خُـيِّلَ إلىَّ من حرية فكره ونبالة شيمته وصـراحته وأنا أتحدث عنه أنى أرى أحد معارفى من القدمـاء وجهًـا لوجه، وأنى أشهـد ابن سينا أو ابن رشـد، أو بعض أولئك العباقرة الخالدين الذى عملوا لتحرير الإنسانية من أسارها[(١)] اهـ.

لقد كان مصلحًا دينيًـا، وفيلسوفًا وحكيمًا جمع بين الزعامـة السياسية والفكرية، وقد قال تلميذه وصفيه وصـديقه الإمام محمد عبده: إنى لو قلت أن ما آتاه الله من قوة الذهن، وسعة العقل، ونفـوذ البصيرة، وهو أقصى ما قُدِّرَ لغير الأنبياء، لكنت غير مبالغ[(٢)].

وقال هنرى روشـفور: لقد شـعر نحو جمـال الدين الأفغانى بعـاطفة الحب التى تربطنى بكل داع إلى ثورة، أو مقاوم لاستبداد.

=بيان واجب أهل المشـرق وأسباب فـساد حالهم وحـفز الناس على العمل والتـأميل فى المستـقبل وحضهم على الرجـوع إلى أصول الدين من نبعـه الأول مع تقوية الروابط مع الدول الإسلامية فيما بينها.

(١) من أعلام الإسلام، للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي والسيد الجميلى ص ١٣٩ بتصرف.

(٢) السابق بتصرف؟ يقول عبدالرحم الرافعي: كان الأفغانى بمثابة الأب الروحى للثورة العرابية.

لكن لم يهدأ لأعداء الخير بال، ولم يطمئن لهم خاطر لنشاط الشيخ جمال الدين، ولما كان أعداء الدين وأعداء الخير يشايع بعضهم بعضًا قد تآزروا وتمالأوا على الشيخ وكادوا له، وحاربوه حربًا لا هوادة فيها هو وتليمذه محمد عبده.

مأثورات من أقواله ولطائفه:

١- لابد من العمل متى كان هناك منفذ لذلك.

٢- إن الشعب المصرى كسائر الشعوب، لا يخلو من وجود الخامل والكسول والجاهل، لكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل.

٣- قال ناصحًا الخديوى توفيق: إن قبلتم نصح المخلص أشركتم الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى، فإن ذلك يكون أثبت لعرشكم، وأدوم لسلطانكم.

وحسبه من الفضل والكرامة ما قاله فيه شكيب أرسلان: فيلسوف الإسلام، وعلم الأعلام، وكوكب الإصلاح الذى أطلعه الله فى أفق المشرق بعد أن اشتد به الظلام، حجة الشرق الناهضة، وآية الحق الباهرة.

رحم الله جمال الدين الأفغانى.

١٠٩- الشيخ محمد عبده [١]
(ت ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركمانى، مفتى الديار المصرية، ومن كبار زعماء النهضة المعاصرة، ومن رجال الإصلاح والتجديد فى الإسلام.

نشأته وطلبه العلم:

وُلِدَ محمد عبده فى شنرا (إحدى قرى الغربية بمصر) وقد نشأ وتربى صغيراً فى «محلة نصر» بالبحيرة، ثم تعلم بالجامع الأحمدى بطنطا، ثم بالأزهر الشريف بالقاهرة حيث تخرج فيه ونال درجة العالمية سنة ١٨٧٧م

اشتغاله بالكتابة فى الصحف:

كتب محمد عبده بالصحف مثل «الوقائع المصرية» ثم عهد إليه تحريرها، ثم تعلم الفرنسية وله أربعون عامًا، ثم أتقنها.

رحلة حياته بعد ذلك:

ثم ناصر الثورة العرابية، وأودع السجن بسبب ذلك ثلاثة أشهر، ثم نفى إلى الديار الشامية سنة (١٨٨١م) ثم أشخص إلى باريس حيث أصدر مع جمال الدين الأفغانى «العروة الوثقى» ثم رجع إلى بيروت فاشتغل بالتدريس وشرع فى التأليف.

---

(١) معجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس ١٦٧٧، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٥٢، وكتاب «محمد عبده» للأستاذ عباس محمود العقاد، وكتاب: «من أعلام الإسلام» للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى، والسيد الجميلى.

دخوله مصر:

ثم وُوفق على دخـوله مصـر سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) فتـولى منصب القضاء مستشارًا فى محكمة الاستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية.

وفاته:

توفى الشيخ مـحمد عبده إلى رحـمة الله سنة خمس وتسعـمائة وألف للميـلاد بالقاهرة وله ست وخـمسـون سنة فرضى الله عنه وسـلام عليه فى الصالحين.

من مواقفه ولطائفه ومسموعاته:

١- وضع الإمام محمد عبده صيغة اليمين الوطنى الذى أقسم به جميع رجالات مـصر وقادتهـا وضبـاطها، أن يكونوا جمـيعًـا يدًا واحدة من أجل مصر.

٢- وضع صيغة القرار الوطنى الذى عزلت به الأمة الخديوى توفيق بن إسماعيل.

٣- أصدر مع جمال الدين الأفـغانى فى باريس مجلة «العروة الوثقى» يدعوان فيها إلى الجهاد فى سبيل الإسلام والمسلمين والكفاح الدءوب المستمر من أجل حرية الشعوب ورفاهيتها.

٤- من أقواله المأثورة عنه:

«حمل الإسلام على الـتقليد حملاً لم يرده عنه الـقدر» وهذا هو هدفه ورسـالته من التـجديـد فى الفكر والمنهج الإسـلامى، والحمل الشـديد على جمود التقليد ومحاكاة الماضى البعيد وإهمال العقل والفكر.

٥- ليس العقل كما تقول الجامعة، فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة، وهو قول صادر عن الواجب، وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الأطلسى، ونفس ذلك الفلك تدبر حركاته الجزئية. وعقل آخر هو العقل الثانى، وعن هذا العقل الثانى صدر الفلك الثامن المسمى عندهم بالعقل الفعال أو العقل الفياض، وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية وإليه يرجع ما يحدث فى عالمها(١).

(١) محمد عبده - تأليف عباس محمود العقاد ص ٢٨١.

١١٠- الجاحظ

عمرو بن بحر بن محبوب (١)

(ت٢٥٥ هـ /٨٦٩م)

اسمه ولقبه وكنيته:

عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى، بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، وسمى بذلك لجحوظ عينيه.

مولده ونشأته وحياته:

وُلِدَ ونشأ بالبصرة كان شيخ الأدباء فى عصره، وكان أديبًا مطبوعًا حصل كثيرًا من العلوم الشائقة، وكانت عنايته بالأدب بالغة حتى بلغ فيه مبلغًا لا يطاوله أو يتشوف إليه طامح. قال الذهبى: من أذكياء بنى آدم(٢) وأفرادهم.

معتزلى:

كان الجاحظ جدليًا متكلمًا، من ثم كان رئيسًا لفرقة الجاحظية من فرق المعتزلة المعروفة.

---

(١) لسان الميزان ٤/ ٣٥٥، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢/ ٦٦٦٩، وإرشاد الأريب ٦/ ٥٦، وآداب اللغة ٢/ ١٧٠، ١٧١، ووفيات الأعيان لابن خلكان وشذرات الذهب لابن العماد ٢/ ١٢١، والفرق بين الفرق للبغدادى ١٦٠، ١٦١، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١٦/ ٧٤، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ١/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٦/ ١٤٩.

(٢) قال الذهبى: كان واسع النقل كثير الاطلاع، من أذكياء بنى آدم وأفرادهم وشياطينهم اهـ. تاريخ الإسلام ١٨/ ٣٧٢.

إجازة ابن قتيبة بكتبه:

وثبت أن الجاحظ أجاز ابن قتيبة برواية كتبه، لكن لم نجد إشارة من ابن قتيبة إلى شيء من ذلك، بل كان أوضح دليل على ذلك تصنيف ابن قتيبة كتاب «عيون الأخبار» معتمدًا كل الاعتماد على كتاب «البيان والتبيين» الذى ألفه الجاحظ.

منزلته فى الأدب العربى وقول العلماء فيه:

كان الجاحظ ملحوظ المنزلة رفيع المكانة مشخوصًا إليه، مضروبًا إليه أكباد الإبل، متوجهًا إليه من أطراف البلدان، وأورد ابن الجوزى قول أبى العباس ثعلب: ليس بمأمون ولا ثقة «أو ليس بثقة ولا مأمون»(١).

قال المبرد: إنه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، وكان إذا وقع بيده كتاب قرأه كله، وإسماعيل القاضى، مادخلت إليه إلا وبيده كتاب ينظر فيه، والفتح بن خاقان، كان يحمل الكتاب فى خفه، فإذا قام من بين يدى المتوكل لأمر نظر فيه وهو يمشى، وكذلك فى رجوعه(٢).

قال إسماعيل بن الصفار: نا أبو العيناء، قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَك، فأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوى، فإنه قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله، فلم يقبله(٣).

ونقل الذهبى قول المبرد: دخلت على الجاحظ فى آخر أيامه، فقلت: كيف أنت؟ قال: كيف من نصفه مفلوج، ونصفه الآخر منقرس، لو طار عليه الذباب لآلمه، والآفة فى هذا أنى جاوزت التسعين(٤).

---

(١) الضعفاء والمتركين لابن الجوزى ٢ / ٢٢٣.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ١٨/ ٣٧٣.
(٣) تاريخ الإسلام ١٨/ ٣٧٣، ٣٧٤.
(٤) الخطيب فى تاريخه ١٢/ ٢١٦.

وذكر أبو هفَّان: ثلاثة لم أر قط، ولم أسمع أحب إليهم من الكتب والعلوم: الجاحظ، لم يقع بيده كتاب إلا استوفى مطالعته، حتى إنه كان يكترى دكاكين الورَّاقين ويبيت فيها للنظر، والفتح بن خاقان، كان يمشى والكتاب فى كمه ينظر فيه، وإسماعيل القاضى، ما دخلت إليه إلا رأيته يطالع. أو نحو ذلك(١).

وفاته:

توفى الجاحظ رحمه الله سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة(٢)، قيل: كانت وفاته بسبب سقوط كتبه الضخمة من مكتبته فأتت عليه، ولقى ربه شهيداً.

من مأثوراته ومواقفه ومسموعاته:

١- كيف يدعو إلى السعادة من خصَّ نفسه بالشقوة، بل كيف ينتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة؟

٢- ليس عجبي ممن خلع عذاره فى البخل، وأبدى صفحته للذم، ولم يرض من القول إلا بمقارعة الخصم، ولا من الاحتجاج إلا بما رُسِمَ فى الكتب.

٣- البكاء صالح للطبائع، ومحمود المغبة، إذا وافق الموضع، ولم يجاوز المقدار، ولم يعدل عن الجهة، ودليل على الرقة والبعد من القسوة.

٤- للمزح موضع، وله مقدار، متى جازهما أحد، وقصر عنهما أحد،

---

(١) تاريخ الإسلام ١٢/ ٣٧٥.

(٢) قال ذلك الصولى وغيره، لكن ابن زَبْر فى الوفيات ذكر أنه توفى سنة خمسين وهذا ليس بشىء، وقد وافق الذهبى الصولى.

صار الفاضل خطلاً، والتقصير نقصًا، فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر، ولم يعيبوا المزح إلا بقدر.

٥- أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياءً من الفرار.

٦- إذا أردت أن ترى العيوب جمةً فانظر عيابًا، فإنه إنما يعيب بفضل ما فيه من العيب.

٧- أول العيب أن تعيب ماليس بعيب، وقبيح أن تنهى عن مرشد أو تُغْرِى بمشفق.

٨- لئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم.

٩- من أعظم الشقوة وأبعد من السعادة، أن لا يزال يتذكر زلل المعلمين، ويتناسى سوء استماع المتعلمين، ويُسْتعظَمُ غلط العاذلين، ولا يُحْفَلُ بتعمد المعذولين. . . إنكم بذلك لا العذر المبسوط المهود بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم.

١٠- من لم يعرف مواقع السرف فى الوجود الرخيص، لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى.

١١- إذا زدت فى المرق فزد فى الإنضاج، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق، ولتجمع من الارتفاق بالمرق الطيب.

١٢- الخَلَق فى موضعه، مثل الجديد فى موضعه، وقد جعل الله عز وجل لكل شيء قدْرًا، وبوأ له موضعًا، كما جعل لكل دهر رجالاً ولكل مقام مقالاً، وقد أحيا بالسم وأمات بالغذاء، وأغص بالماء، وقتل بالدواء.

١٣- لا يغترَّن أحدٌ بطول عمره، وتقوس ظهره، ورقة عظمه ووهن

قــوته، فلعله أن يرزق الولد عــلى اليــأس أو يحدث علــيه بعــض مُخَــبَّــآت الدهور، مما لا يخطر على البــال، ولا تدركه العقــول فيســترده من لا يرده، ويُظهر الشكوى من لا يرحمه.

١٤- كسب الحلال مُضَمَّنٌ بالإنفــاق فى الحلال، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث، وأن الطيب يدعو إلى الطيب.

١٥- أنتم فى دار الآفات، والجــوائح غير مــأمونات، فأحرزوا النعــمة باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجرى فى الجميع إلا مع موت الجميع.

١٦- ليس أحدٌ أفــقر من غنى أمِنَ الفقــر، وسُكرُ الغنى أشد من سُكْر الخمر.

١٧- المال مــقــدمٌ على العلم، لأن المال به يُغــاثُ العــالم، وبه تقــوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم، وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع.

١٨- العلماء أفــضل من الأغنياء، قيل: فمــا بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكــثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلمــاء؟ قال: لمعرفة العلمــاء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم.

١٩- لا أعلم شيــئًا أدعى إلى التحاب، وأوجب فى التــهادى، وأعلى منزلة، وأشــرف مرتبــة من العلم الذى جعل الله العــمل له تبعًــا، والجنة له ثوابًا.

٢٠- من شأن النفوس الملالة لما طال عليها، وكثر عندها، فليس لنا أن نكون من الأعوان على ذلك ومن الجاهلين بما عليه طبائع البشر، فإن أقواهم ضعــيف، وأنشطهم سؤوم، وإن كانت حالاتــهم متفاوتة، فــإن الضعف لهم شامل، وعليهم غالب.

٢١- العلم وإن كان حياة العقل، كـما أن العقل حياة الروح، والروح حياة البدن، فإن حكمه حكم الماء وجـميع الغذاء، الذى إذا فضل عن مقدار الحاجة عاد ذلك ضرراً.

٢٢- إن الكتب عقـول قوم وراءها عندهم حـجج لها، فمـا ينبغى أن يُقضَى على كتـاب إلا إذا كان له دافع عنه، وخصم يبين عما فـيه، فإن أبناء النعم وأولاد الأسد محسودون.

٢٣- الحاسد لا يزول عن طريقته إلا بزوال المحسود عليه عنده والعداوة تحدث لعلة، فإذا زالت العلة زالت معها.

٢٤- أعداء النعمة إذا شوركوا فيـها ونالوا منها تزحزحوا عن عداوتها، وكانوا من أهلها المحامين عنها، والدافعين عن حماها.

٢٥- النعمة التى يُعَاشُ فيها نعمة مـحروسة، ليس عليها ثائر يغتالها، ولا ذو حسد يحتال فى غيرها.

٢٦- حُسَّادُ النعمـة إن أُعطَوْا منها وتبحبحوا فيهـا، ازدادوا عليها غيظًا وبها إغراءًا.

٢٧- لا يكون الحـسد إلا عـن فسـاد الطبع، واعـوجاج الـتركـيب، واضطراب السوس.

٢٨- الحسد أخو الكذب، يجـريان فى مضمار واحد، فهـما أليفان لا يفترقان، وضجيعان لا يتباينان.

٢٩- من لطيف ما يُستدعَى به الصـدق إظهار الشك فى الخبر الذى لا يُشَكُّ فيه، ومن غامض الرياء أن تُرىَ بأنك لا ترائى.

٣٠- ذو الغيبة المشهور بها، المنسوب إليها يقل ضرره، ويضعف كيده،

لما شاع له فى الناس وانتشر منه، فكان عندهم ظنينًا متهمًا، ومطبوعًا عليها، يستمعون منه على قضاء ذمام المجالسة والتلذذ به، من غير قبول ولا اصطفاء له.

٣١- ليس أدعى إلى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة، وليس على ظهرها إلا فخور، إلا قليل.

٣٢- إنك إن نقصت الكريم ما يستحقه من مال لم يغضب بعد أن تستوهبه منه، وإن نقصته من قدره أسخطته أشد الإسخاط إذا كان يريد دنياه ليصون بها قدره، ولا يريد قدره ليبقى به دنياه، فكن لتحيفُ عرضه أشد توقيًا منك لتحيف ماله.

٣٣- إن حاجب الرجل عامله على عرضه، وإنه لا عوض لحر من نفسه، ولا قيمة عنده لحريته وقدره.

٣٤- أرخص ما يكون الشىء عند غلائه.

٣٥- ليس لحر من نفسه عوض ولا من قدره خطر، ولا لبذل حريته ثمن، وكل ممنوع فمستغنى عنه بغيره، وكل مانع ما عنده ففى الأرض عوضٌ منه، ومندوحة عنه.

١١٢- أبو حامد الغزالى (١)
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
(ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الغزالى، الطوسى، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف عبقرى، ومفكر جليل، وصوفى عالم مجتهد ذو باع طويل فى المناظرة والتأليف ودفع حجج الخصوم، بالبرهان القوى والمنطق السديد.

نشأته وحياته:

وُلِدَ الغزالى فى الطابران(٢) سنة خمسين وأربعمائة للهجرة، ثم ارتحل إلى نيسابور، ثم الحجاز، ثم أشخص إلى الديار الشامية وبعدها إلى مصر المحروسة، ثم قفل راجعًا مرة أخرى إلى مسقط رأسه الطابران.

ثقافته وعلمه وفلسفته وتصوفه:

تكلم الغزالى فى الفلسفة والتصوف وعلم الكلام، وكان حصَّل كثيراً من العلوم الشرعية والدينية والفلسفية، وأبدع فى الإحاطة بالعقائد والفرق

---

(١) طبقات الشافعية ٤/ ١٠١، ومعجم المطبوعات العربية والمصرية ١٤٠٨ ومابعدها، وآداب اللغة العربية ٣/ ٩٧، وشذرات الذهب ٤/ ١٠، ومقدمة إحياء علوم الدين، ولسان الميزان ١/ ٢٩٣، ومفتاح السعادة ٢/ ١٩١، وكارل بروكلمان ١/ ٤١٩، ومعجم البلدان ٣/ ٥٤١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢/ ٢٠٤، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/ ٢٠٣.

(٢) قصبة طوس بخراسان، وقيل: نسب إلى غزالة من قصبة طوس «عند من يقول بذلك» بتخفيف الزاى (الغَزَالى) لكن هناك من يرجع نسبته إلى غزل الصوف، وعندهم يكون النسب بتشديد الزاى (الغزّالى).

والمذاهب، وكان مولعًا موزعًا بالفلسفة على وجه الخصوص، وقد ساح فى الأقطار والأمصار يناظر الفلاسفة ويجادلهم، وقيل ظل عشر سنوات متنقلاً بين الحجاز والشام وبيت المقدس لأجلِ المناظرة.

قال الذهبى: وكان الإمام أبو المعالى مع علو درجته وفرط ذكائه، لا يطيب له تصديه للتصنيف، وإن كان فى الظاهر مبتهجًا به[(١)].

مجاهدة النفس وتهذيب الباطن:

أخذ الغزالى فى مجاهدة النفس وترويضها وتغيير الأخلاق، وتهذيب الباطن، والتحلى بمكارم الأخلاق، ومحمود الصفات، والتلفع برداء الصالحين، وعكف وكمن فى بيته فترة شرع بعدها فى التأليف والتصنيف؛ فكان له من ذلك النصيب الأوفر، والقدح المعلى.

مراجعته للعلوم:

حكى الغزالى أنه راجع العلوم، وخاض فى الفنون[(٢)]، وعاود الجد فى العلوم الدقيقة، حتى تفتحت له أبوابها، وقد فتح عليه من باب الخوف.

أقوال العلماء فيه:

قال ابن الصلاح: أما كتاب الغزالى «المضنون به على غير أهله» فمعاذ الله أن يكون له، شاهدت على نسخة منه بخط القاضى كمال الدين محمد ابن عبدالله بن الشهرزورى أنه موضوع على الغزالى، وأنه مخترع من كتاب «مقاصد الفلاسفة»، وقد نقضه بكتاب «التهافت»[(٣)].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى ٣٥/١١٦.

(٢) قد اضطربت الآراء فى علم الغزالى وفقهه، وقد كان غرضًا وهدفًا ودريئة للمادحين والقادحين على حد سواء، والعبرة هنا بالدليل قوة وضعفًا.

(٣) هو كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى. راجع تاريخ الإسلام للذهبى ٣٥/ ١٢٤. بتصرف.

قال أبو بكر الطُّرْطوشي: شحن الغزالي كتابه «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على بسطة الأرض أكثر كذبًا على رسول الله ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة.

وله مصنفات عديدة غير «إحياء علوم الدين» مثل: «المستصفى في علم الأصول»، و«البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» و«الخلاصة» في الفقه.

وفاته:

توفي أبو حامد الغزالي يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة للهجرة، ودفن بمقبرة الطابران، وهي قصبة بلاد طوس.

كذا ذكر الذهبي في تاريخه(١).

من أهم لطائفه ومسموعاته وعظاته:

١- علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهًا وحكمة وعلمًا وضياء ونورًا وهداية ورشدًا فقد أصبح من بين الخلق مطويًا وصار نسيًا منسيًا.

٢- عظم قدر الآخرة إنما يُعْلَمُ بالعلم.

٣- الحكمة تزيد الشريف شرفًا، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك.

٤- أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن اسْتُغْنِيَ عنه أغنى نفسه.

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٥/ ١٢٦.

٥- لموت قبيلة أيسر من موت عالم.

٦- ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا.

٧- لا سبيل لأحد إلى طلب السيادة والسعادة إلا بالهداية لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى مافيه صلاح آخرته، ولكن إذا لم يعلم ما فيه صالح آخرته حتى يظن الفساد صلاحًا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة.

٨- للهداية ثلاث منازل: الأولى معرفة طريق الخير والشر، والثانية: وراء هذه الهداية العامة وهى التى يمد الله بها العبد حالاً بعد حال وهى ثمرة المجاهدة، الثالثة: النور الذى يشرق في القلب ويشرح الصدر.

٩- أعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب، والهرب، وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب.

١٠- أسعد الخلق حالاً فى الآخرة أقواهم حبًا لله تعالى.

١١٣- ابن عطاء الله الإسكندرانى [١]
(ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

أحمد بن محمد بن عبدالكريم، أبو الفضل، تاج الدين بن عطاء الإسكندرى، من علماء الصوفية المشهورين.

مولده ونشأته وتعليمه:

لم يعرف تاريخ مولد ابن عطاء الله الإسكندرى على التحديد، وقد عاش طفولته بالقاهرة واستظهر القرآن الكريم فى شرخ صباه، ثم حصَّل العلوم الشرعية، واتجه إلى التصوف ولعب دورًا كبيرًا فى الفكر الصوفى حيث كان نموذجًا للصوفى العالم.

كان طريقته العطائية الشاذلية متحفظة إلى حد كبير متمسكة بالكتاب والسنة وحريصة على عدم المساس بالأصول العقائدية.

أهم موروثاته:

من المؤلفات التى تنطوى على خير عظيم ونفع عميم تلك المجموعة المتنوعة من تصنيفه التى مدارها على الرقائق والوعظ الدينى، منها «الحكم العطائية» مع كثير من التحفظ تجاهها من قبل بعض خصومه، وهم خصوم التصوف بعامة، كذلك له كتاب: «تاج العروس» فى الوصايا والعظات و«لطائف المنن» وغيره.

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ٢٧٣، وخطط مبارك ٧/ ٦٩، لكن ورد فيه أن تاريخ وفاته سنة سبع وسبعمائة، ومعجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس ص ١٨٤، وحاجى خليفة ٦٧٥، والأعلام ١/ ٢٢٢.

وفاته:

توفى ابن عطاء الله الإسكندرى فى القاهرة سنة تسع وسبعمائة.

جملة من الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندرى[1]:

١- الأعمال صورٌ قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

٢- ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة.

٣- ما من نَفَس تبديه، إلا وله قدرٌ فيك يمضيه.

٤- من علامات النُجْح فى النهايات الرجوع إلى الله فى البدايات.

٥- من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته.

٦- الحق ليس محجوبًا إنما المحجوب أنت عن النظر.

٧- كان الله ولا شىء معه، وهو الآن [وفى كل آن] على ما عليه كان.

٨- لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال.

٩- لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك.

١٠- العجب كل العجب ممن يتطلب مالا بقاء له معه وممن يهرب مما لا انفكاك له عنه.

١١- لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون. ﴿وأنَّ إلى ربك المنتهى﴾.

---

(١) راعينا فى اختيار هذه الحكم أن تكون موافقة للإجماع مع الإساغة والقبول وعدم التعارض مع الأصول، أما ما كان محلاً للاختلاف عليه والاختلاف فيه، والذى عورض فيه وهوجم بسببه فقد أعفيناه تمامًا وأهدرنا، واكتفينا بهذه الجملة الطيبة الصالحة، تمشيًا مع القاعدة أن ما لا يؤخذ كله لا يترك كله.

١٢- لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله.

١٣- ربما كنت مُسيئًا، فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالاً منك.

١٤- ما قلَّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

١٥- من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات.

١٦- لا يُعْظِمَ الذنب عندك عظمةً تصدك عن حسن الظن بالله تعالى، فإن من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه.

١٧- لا صغيرة إلا قوبلت بعدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

١٨- لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده.

١٩- الأنوار مطايا القلوب والأسرار.

٢٠- ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع.

٢١- ماقادك شيء مثل الوهم.

٢٢- أنت حرٌ مما أنت عنه آيس، وعبدٌ لما أنت له طامع.

٢٣- من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها.

٢٤- خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك.

٢٥- الرجاء مقرون بالعمل، وإلا فهو أمنية.

٢٦- متى فتح لك باب الفهم فى المنع، عاد المنع عين العطاء.

٢٧- العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان.

٢٨- جلَّ ربنا أن يعامله العبد نقدًا فيجازيه نسيئة.

٢٩- إيلامك من المنع لعدم فهمك مراد الله منه.

٣٠- لولا جميل ستره لم يكن عملٌ أهلاً للقبول.

٣١- أجهل الناس من ترك يقين ما عنده إلى مظنون ما عند الناس.

٣٢- ربما وردت الظُّلَم عليك؛ ليعرفك قدر ما مَنَّ به عليك.

٣٣- من لم يعرف قدر النعم بوجدانها، عرفها بفقدانها.

٣٤- تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال.

٣٥- من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك.

٣٦- ليقل ما تفرح به، يقل ما تحزن عليه.

٣٧- إن أردت أن لا تُعْزَل، فلا تتولَّ ولاية لا تدوم لك.

٣٨- إن رغَّبتك البدايات، زهَّدتك النهايات.

٣٩- إن دعاك إليها ظاهرٌ، فقد نهاك عنها باطن.

٤٠- العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه.

٤١- خير العلم ما كانت الخشية معه.

٤٢- العلم إن كان مقرونًا بالخشية فهو لك، وإلا فعليك.

٤٣- إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك، فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده.

٤٤- المؤمن يشغله الثناء على الله وحمده عن أن يكـون لنفسه شاكرًا، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرًا.

٤٥- ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضًا.

٤٦- وجدان ثمـران الطاعات عـاجلاً -بشـائر العاملين بوجـود الجزاء [الأوفى] عليها آجلاً.

٤٧- كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟

٤٨- رب عمـر اتسعت آمـاده، وقلت أمداده، ورب عمـرٍ قليلة قليلةٌ آماده، كثيرةٌ أمداده.

٤٩- الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له.

٥٠- جعله لك عـدوًا ليحوشك به إليه، وحَـرَّك عليك النفس؛ ليدوم إقبالك عليه.

١١٤- الشيخ الرئيس[1] ابن سينا (ت٤٢٨ هـ/١٠٣٧م)

اسمه ولقبه وكنيته:

الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو على، شرف الملك، الشيخ الرئيس، الفيلسوف المتكلم، الأديب الشاعر، الطبيب البارع، العلامة الموسوعى، صاحب التصانيف البارعة، والمحررات النفيسة غير المسبوقة فى الطب والإلهيات والمنطق والطبيعيات.

مولده ونشأته:

ولد ابن سينا سنة سبعين وثلاثمائة للهجرة فى إحدى قرى بخارى وأصله من بلخ، ونشأ وتربى وترعرعت سرحته، ونما عوده واستوت قناته، واستعجمت شوكته فى بخارى.

تحصيله للعلم:

انكب ابن سينا على تحصيل العلم إكبابًا وحصل كثيرًا من العلوم الكونية والطبيعية علاوة على تحصيله للعلوم الدينية والشرعية، وكان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين.

تطواف البلدان:

طوَّف ابن سينا كثيرًا من البلدان، وناظر العلماء، وزادت شهرته وعرف

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٩١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٥٢، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٢٣٤، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/ ٢٥، ٢٦، والجواهر المضيئة ٢/ ٦٣، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١/ ٣٥٦، وطبقات الأطباء ٢/ ٧، وميزان الاعتدال ١/ ٥٣٩، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٩.

الصادر والوارد بعلمه وفضله، وذاع بين الأقطار علمه ورُحِلَ إليه من أطراف المعمورة، وكان مشخوصًا إليه من كل البقاع.

ثم إنه نشأ على مذهب الباطنية، لكنه لم يتقيد به فى كل أحواله وفتاواه.

فضائله ومناقبه:

نظرًا لمكانته ورفعة شأنه اختير ابن سينا وزيرًا، فتقلد الوزارة فى همذان، لكن ثار عليه العسكر من أهلها ونزوا على بيته فخربوه، فهرب متخفيًا إلى أصفهان ثم ولى الوزارة مرة أخرى، وفى أصفهان تجلت عبقريته وألف أكثر كتبه لكنه قفل مرة أخرى إلى همذان آخر أيامه، فأصابه مرض فى طريق عودته ثم مات بعد وصوله إليها.

من فضائله المذكورة، وخلاله المنشورة، وعبقريته المسطورة فى صحائف الخلد والتاريخ ما سطره المؤرخون بقولهم: «كان الطب معدومًا فأوجده بقراط، وكان ميتًا فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازى، وكان ناقصًا فجمعه ابن سينا» اهـ[1].

قال فيه ابن تيمية: «تكلم ابن سينا فى أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، ومن

---

(١) قال ابن سينا: وأخذت فى الطبيعى والإلهى، فصارت الأبواب تتفتح علىّ، ورغبت فى الطب وبرَّزت فيه فى مُدَيْدَة حتى بدأ الأطباء يقرءُون علىَّ، وتعهدت المرضى، فانفتح على من باب المعالجات النفسية من التجربة ما لا يوصف. اهـ. بتصرف من تاريخ مختصر الدول ١٨٧.

أتباع الحاكم العبيدى الذى كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد».

هذا القول فيه الوصف الجامع لهذه الشخصية العبقرية الفذة.

وحسب ابن سينا أنه ألف «القانون فى الطب» الذى ظل مرجعًا لجامعات، ومعاهد أوروبا على مدار ستة قرون لم يقترب أحد من مستواه، ولم يكن فى مقدور أحد أن يحاكيه أو يقاربه، فضلاً عن شعره الرصين وفلسفته فى الدين والعلم والحياة.

وفاته:

توفى ابن سينا سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة، وله ثمان وخمسون سنة.

من مأثوراته ومسموعاته:

١- كنت من أجود السالكين، وقد ألفت المناظرة والبحث.

٢- كنت أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وعمرى ست عشرة سنة، ثم أعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة.

٣- كلما كنت أتحير فى مسألة، أولم أظفر بالحد الأوسط فى قياس، ترددت إلى الجامع، وصليت، وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى فتح لى المنغلق منه، وتيسر المتعسر(١).

٤- ألف ابن سينا كتابه النفيس القيم «القانون» فى الطب وله ثمانى عشرة سنة، ثم أردفه بكتابه «الشفاء» الضخم فى الفلسفة وعلومها الأربعين، وكان أتى عليه فى عشرين يومًا، وضمَّنه علوم الطبيعات والإلهيات(٢).

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٥٨ بتصرف.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ٢٩/ ٢٢٤، وتاريخ الزمان لابن العبرى ص ٨٩ بتصرف.

٥- جرت مناظرة بين ابن سينا ونديد له، فقال له بعض اللغويين: إنك لا تعرف اللغة. فأنف الشيخ وتوفر على درس اللغة ثلاث سنين، فبلغ «طبقة» عظيمة من اللغة، وصنَّف بعد ذلك كتاب «لسان العرب» ولم يبيضه(١).

٦- ليكن الله تعالى أول فكر وآخره، وباطن كل اعتبار وظاهره ولتكن عين نفسك مكحولة بالنظر إليه، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه.

٧- ليُعْلَم أن أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة، وأزكى السر الاحتمال، وأبطل السعى المراءاة.

٨- يجب أن تخلص النفس عن الدرن، ما التفتت إلى قيل وقال، ومنافسة وجدال.

٩- خير العمل ما صدر عن خالص نية، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم.

١٠- الحكمة أم الفضائل، ومعرفة الله أول الأوائل.

بعد أن سرد الذهبى ترجمة ابن سينا مبسوطة مستوفاة ذكر فى آخرها قوله: «وقد كان ابن سينا آية فى الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مَشَوْا خلف العقول، وخالفوا الرسول»(٢).

---

(١) انظر تاريخ مختصر الدول ١٨٩.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبى ٢٩/ ٢٣٢.

١١٥- الإمـام الطبـرى (١)
محمد بن جرير
(ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٣م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، أبو جعفر، وهو خال الشاعر أبو بكر الخوارزمى.

مولده ونشأته وحياته:

ولد محمـد بن جرير الطبرى فى آمـل (طبرستان) سنة أربع وعشرين ومائتين، ثم استوطن بغداد وألقى بها عصاه، وضرب فيها بجرانه، واستقر فى ربوعها، كأن أسمر أعين نحيفًا، وحصل أصول العلوم الشرعية وتبحر فيها جميعًا، وقد عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى ذلك، وقد اشتهر باللسن والفصاحة وقوة الحجة، وكان ينفق على نفسه وأهل بيته من قرية تركها له أبوه بطبرستان.

درجته وفضله ورأى العلماء فيه:

كان الطبرى من ثقاة المؤرخين، فكان مفسرًا مع المفسرين، ومؤرخًا مع المؤرخين وحافظًا من الحفاظ.

---

(١) المنتظم لابن الجوزى ٦/ ١٧٠/ ٢٨٥، ومعجم الأدباء ١٨/ ٤٠، وابن الوردى ١/ ٢٥٨، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢/ ٥٨٩، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٢/ ٧١٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٠، وطبقات الشافعية ٣/ ١٢٠، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٠٦، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص٣١٠/ ٧٠٣، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٥، وطبقات الشيرازى ص٩٣، ولسان الميزان لابن حجر ٥/ ١٠٠.

قال ابن الأثيـر: أبو جعفر أوثق من نقـل التاريخ وفى تفسيـره ما يدل على علم غزير وتحقـيق، وكان مجتهـداً فى أحكام الدين لا يقلد أحدًا، بل قلَّده بعض الناس، وعملوا بأقواله وآرائه[1].

وقال الخطيب: كان أحد الأئمة، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضلـه، جمع من العلوم مـا لم يشاركـه فيه أحـد من أهل عصـره، فكان حافظًا لكتـاب الله، بصيراً بالمعـانى، فقيـهًا فى أحكام القـرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، صحـيحها وسقيمهـا، ناسخها ومنسوخها، عارفًـا بأقوال الصحابة والتابعين[2].

قال الذهبى: ابن جرير وابن صاعد وابن خزيمة، وابن أبى حاتم رجال هذه الطبقة، وهم الطبقة السادسة فى الأربعين لابن المفضل.

قال ابن خلكان: «تاريخ الطبـرى أصح التواريخ وأثبتـها»[3] اهـ، قال الخطيب: سمعت على بـن عبيدالله اللغوى يقـول: «مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعـين ورقـة»اهـ. وقال ابن العـربى المالكى: «. . . إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق -المنافـقين والملحدة والجهلة- وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب، بأنهم أهل جـهالة بحرمات الدين أو على بدعة مـصرين، فلا تبـالوا بما رووْا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمـة الحديث، ولا تسمعـوا لمؤرخ كلامًا إلا للطبرى، وغيـر ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر»[4].

---

(١) الأعلام للزركلى ٦/ ٦٩ بتصرف.

(٢) طبقـات الحفـاظ ص ٣٠، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، ١٦٣، وفـيه قال الخطـيب: كان ابن جرير أحد الأئمة، يُحكَمُ بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله» اهـ.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٢.

(٤) العواصم من القواصم لابن العربى المالكى ص ٢٤٨، وكتاب: «استشهاد الحسين» للإمام الطبرى، بتحقيق السيد الجميلى ص ٢٧.

وفاته:

توفى ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة للهجرة، وكان جاوز الثمانين من عمره بخمس سنين أو ست.

من جليل تراثه:

تفسير الطبرى المسمى بـ «جامع البيان» و«تاريخ الطبرى» من أدق التواريخ وأثبتها.

اتهامه بالرفض وهو برىء منه:

بعد موته ولقاء ربه اتهموه بالرفض بسبب تأليفه كتابًا فى «اختلاف العلماء» ولم يذكر فيه مذهب أحمد بن حنبل، ولا أشار إليه على سبيل الاعتبار، وزاد الأمر تعقيدًا وصعوبة وشدة على خصومه قوله: لم يكن ابن حنبل فقيهًا، وإنما كان محدثًا.

وقيل: دُفِنَ الطبرى فى بيته نزولاً على إكراه الجهلة والرعاع من الحنابلة الذى افتروا على الشيخ ونسبوه إلى الرفض زورًا وبهتانًا، واحتدوا عليه حيًا ولم يصفحوا عنه ميتًا، إذ منعوا دفنه نهارًا فى مقابرهم(١).

من صفوة أقواله ومأثوراته:

١- إن الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه خلق خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم، وأنشأهم من غير حاجة إلى إنشائهم.

٢- الزمان هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها.

---

(٣) راجع استشهاد الحسين للطبرى السابق.

٣- ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم، وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة سحابًا رقيقًا وهو الغمام الذى ذكره جل وعز ذكره فى محكم كتابه فقال: ﴿هل ينظرون إلى أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾ وذلك قبل أن يخلق عرشه.

٤- كان الماء على متن الريح فى قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

٥- خلق الله تعالى الليل والنهار قبل كثير من الأشياء أما الذى خلق أولاً فهو الليل ثم خلق النهار بعده، ذلك لأن الشمس إذا غابت وذهب ضوؤها الذى هو نهار هجم الليل بظلامه، فكان معلومًا بذلك أن الضياء هو المتورد على الليل، وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورد عليه -هو الثابت-.

١١٦- ابن دقيق العيد [١]
(ت ٧٠٢ هـ /١٣٠٢م)

اسمه ولقبه وكنيته:

محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف بابن دقيق العيد، قيل إن جده لأبيه كان عليه طيلسان شديد البياض فى يوم عيد، فقيل كأنه دقيق العيد، فلقب به.

مولده ونشأته وأصله:

ولد ابن دقيق العيد فى «ينبع»[٢] وكان أبوه أصله من منفلوط بمصر، ثم انتقل إلى قوص[٣] وفى قوص تربى وترعرع أبو الفتح، ثم توجه بكليته للعلم.

تلقى العلم والتبحر فيه:

تلقى ابن دقيق العيد العلم فى دمشق والقاهرة والإسكندرية، ثم عيِّن قاضيًا على الديار المصرية سنة خمس وتسعين وستمائة للهجرة، وكان متبحراً فى الفقه وعلم الأصول، بل كان من أكابر العلماء فى عصره، وكان إذا عرضت المشكلات أصاب شاكلتها بسهم فهمه، فأصاب الغرض[٤].

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٩١، وخطط مبارك ١٤/ ١٣٥، وفوات الوفيات للصفدى ٢/ ٢٤٤، وشذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٥، ومقدمة كتابه «عمدة الأحكام».

(٢) ينبع: مدينة حجازية تقع على ساحل البحر الأحمر.

(٣) قوصى: مدينة بمصر على ضفة النيل الشرقية بمحافظة قنا، ازدهرت فى عهد المماليك، وفيها ضربت النقود.

(٤) واشتغل الشيخ تقى الدين بالفقه على مذهب الإمامين مالك والشافعى.

وفاتـه:

توفى رحمه الله تعالى بالقاهرة يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة للهجرة، ودفن يوم السبت بسفح المقطم.

من أهم تراثه:

إحكام الأحكام ويقع فى مـجلدين، وهو كتـاب نفيس قيـم طبع مراراً وتكرارًا، وله «شرح مقدمة المطرزى» فى أصول الفقه، وغير ذلك من الكتب النفيسة والأضاميم النافعة.

أقوال العلماء والأئمة فيه:

قال عنه الشـيخ فتح الدين محمـد اليعمرى: لم أر مثلـه فيمن رأيت، ولا حملـت عن أجل منه فيـما رأيت ورويت، وكان لـلعلوم جامـعًا، وفى فنونها بارعًـا، مقدمًا فى معـرفة علل الحديث على أقرانه، منفـردًا بهذا الفن النفيس فى زمانه، بصيرًا بذلك، سـديد النظر فى تلك المسالك بأذكى ألمعية، وأزكى لوذعية، لا يُشقُّ له غبار، ولا يجرى معه سواه فى مضمار.

ثم يقول فـى وصفه: . . . وله مع ذلك فـى الأدب باع واسع، وكرم طباع، لم يخل فى بعضها من حسن انطباع. اهـ.

ثم ورد أنه كان جـوادًا سخـيًا لا يضن بماله على سـائل، وكان يســهر الليل، وكانت له قدرة على المطالعة.

وقال عنه الشيـخ علاء الدين على بن محمد بن خـطاب الباجى: كان ابن دقيق العيد عالمًا، أو قال: كان فاضلاً صحيح الذهن.

وقيل فيه: إنه كان عديم البطش، قليل المقابلة على الإساءة.

من أهم مأثوراته ومسموعاته:

١- العفة فى الدين منزلة لا يخفى شرفـها وعلاؤها، ولا يحتجب عن العقول طوالعها وأضواؤها، وأرفعهـا بعد فهم كتاب الله تعالى المنزل، معانى حديث نبيه المرسل.

٢- كيف يقع أمرٌ مع رجحان منافيه؟ وأنى يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه؟

٣- كان الشيخ زكى الدين عبدالعظيم أدين منى، غير أنى أعلم منه.

٤- قوله ﷺ: «**الأعمال بالنيات**» لابد فيه من حذف مضاف، فالذين اشتـرطوا النية قـدروا: «صحـة الأعمال بالـنيات» أو ما يقـاربه، والذين لم يشترطوها قدروه: «كمال الأعمال بالنيات».

١١٧- ابن عساكر [١]
(ت ٥٧١ هـ/١١٧٥م)

اسمه ولقبه وكنيته:

على بن الحسن به هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين، ابن عساكر الدمشقى، المؤرخ الحافظ الرحالة، أحد أكابر حفاظ الحديث ومن عُنِىَ به.

مولده ونشأته وحياته:

ولد ابن عساكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة للهجرة بدمشق، وقد تبحر فى التاريخ والحديث، فكان محدث الديار الشامية المرموز إليه والمنتهى إلى جنابه فى وقته.

الحافظ الرّحالة:

كان ابن عساكر حافظًا رحَّالةً، وكان رفيقًا للسمعانى صاحب كتاب «الأنساب» المشهور ذائع الصيت فى رحلاته وصولاته وجولاته.

تاريخ دمشق موسوعة ابن عساكر:

من أجل ما ترك ابن عساكر للعلم تاريخه الشهير الدقيق المسمى باسمه «تاريخ ابن عساكر» أو«تاريخ دمشق» أو«تاريخ دمشق الكبير»[٢]، وقد عمد الشيخ عبدالقادر بدران إلى اختصاره فى «تهذيب تاريخ دمشق» قال ابن كثير: «ندر على من تقدمه من المؤرخين، وأتعب من يأتى بعده من المتأخرين» اهـ.

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٨٧، وآداب اللغة ٣/ ٧٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٣٥، ومفتاح السعادة ١/ ٢١٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٤، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ١٨١، ١٨٢.

(٢) يقع تاريخ دمشق الكبير فى ثمانين مجلدًا أتى فيه بالعجائب.

وفاتــه:

توفى رحمه الله فى الحادى عشر من رجب سـنة خمس وسبعين ومائة وألف وقيل ست وسـبعين، وله ثنتان وسـبعون سنة، وحضـر صلاح الدين الأيوبى جنازته، ودُفِنَ بمقابر باب الصـغير رحمـه الله تعالى رحمـة واسعة، وصلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى.

من مسموعاته وأقواله الجامعة:

١- ذكر ابن خلكان أن له أشعارًا كثيرة منها قوله:

أيا نـفسُ ويحـك جـاء المشــيب
فـمـاذا التـصـابى ومـاذا الـغـزل؟

تولـى شـبـابى كـأن لم يـكن
وجـاء المشـيب كـأن لـم يزل

كـأنى بنفـسى على غـرة
وخطـبُ المنـون بهـا قـد نزل

فـياليت شـعـرى ممـن أكـون
ومـا قـدَّر الله لى فـى الأزل

١١٨- البيضــاوى (١)
(ت ٦٨٥ هـ /١٢٨٦م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عبدالله بن عمر بن محمد بن على الشيرازى، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوى، ابن قاضى قضاة فارس.

مولده ونشأته وحياته:

ولد الشيخ البيضاوى بالمدينة البيضاء بفارس(٢).

وقد ولى قضاء شيراز مدة من الزمن، ثم تحول عنه منصرفًا عن مزاولته ثم رحل إلى تبريز(٣) وقد جمع فى تفسيره بين أصول الدين وأصول الفقه.

وفاتــه:

توفى الشيخ بـتبريز سنة خـمس وثمانين وستـمائة وقـيل: سنة إحدى وتسعين وستمائة.

من أجل تراثه القـيم تفـسيـره للقرآن المسـمى: «أنوار التنزيل وأسـرار التأويل» وهو المسـمى بـ تفسير البـيضاوى، وله أيضًا: «منهـاج الوصول إلى علم الأصول» وغير ذلك من الأضابير النافعة.

---

(١) بغيـة الوعاة فى طبقـات اللغوين والنحاة للسـيوطى ٢٨٦، وطبقـات السبكى ١٥٧/٨، وطبقات المفسرين للسيوطى ٢٣٠، ومفتاح السعادة ٤٣٦/١، وهدية العارفين ٤٦٢/١، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٠، والبداية والنهاية ٣٠٩/١٣.

(٢) قرب شيراز.

(٣) تبريز: مدينة فى شمال إيران، غربى قاعدة إقليم أذربيجان.

آراء العلماء فيه وفى منهجه فى التفسير:

أثنى العلماء على البيضاوى وعلى منهجه فى التأليف والتصنيف ثناءً سابغًا، على ما أسداه من علم نافع، وحسبه أن صنف كتاب: «منهاج الوصول إلى علم الأصول» فى علم أصول الفقه، وقد أظهر فيه براعته الفائقة وتمكنه من هذا العلم وغزارة ثروته، ووفرة محصوله، كذا شرحه للكتاب: «مصابيح السنة» للبغوى، وهو شرح دقيق أثنى عليه العلماء الأعلام.

والمستفاد المفروغ منه من دراسة تفسير القاضى البيضاوى أنه فى حقيقته يعتبر مختصراً لتفسيرى الإمامين الكبيرين: الزمخشرى فى كشافه، والإمام فخر الدين الرازى فى التفسير الكبير.

وقد اعتبره البعض مبلغ المنهج العلمى فى تفسير القرآن إلى ذروته، لذلك عظم قدره، وذاع صيته، وطار ذكره، وانتشر فضله.

من مأثوراته ومسموعاته:

١- أوصى إلى القطب الشيرازى أن يُدْفَنَ بتبريز.

٢- إن أعظم العلوم مقداراً، وأرفعها شرفًا ومناراً علم التفسير الذى هو رأس العلوم الدينية، ورئيسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها.

٣- العمه فى البصيرة كالعمى فى البصر، وهو التحير فى الأمر.

٤- كان رأس مالهم الفطرة السليمة، والعقل الصرف، فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم، واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق، ونيل الكمال.

١١٩- ابن رشد (١)
(ت ٥٩٥ هـ /١١٩٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، القرطبى، أبو الوليد.

مولده ونشأته وحياته:

ولد ابن رشد فى قرطبة سنة عشرين وخمسمائة، فتفيأ فى ظلال الأندلس كثيراً من نفحات العلم المتألقة فى عصره، وقد صرف جل عنايته إلى فلسفة أرسطو، وعُنِىَ بأقواله وحكمه، وترجمه إلى العربية، وأضاف إليه إضافات جليلة، وزيادات طيبة كثيرة.

كان رحمه الله ورضى عنه طبيبًا فقيهًا أديبًا فيلسوفًا موسوعيًا.

اتهامه بالكفر والإلحاد:

اتُّهِمَ ابن رشد من قبل خصومه بالكفر والإلحاد والزندقة، وسَعَوْا عند المنصور المؤمنى لتأليبه عليه، وكان محبًا له، عارفًا بفضله، لكن سرعان ما انقلب عليه، ونفاه إلي مراكش، وأمر بإحراق بعض كتبه، لكنه رضى عنه بعد ذلك، فأذن له بالعودة إلى وطنه، لكن القدر لم يمهله فتوفى بمراكش.

وفاة ابن رشد:

توفى قبل الشروع فى العودة إلى قرطبة سنة خمس وتسعين وخمسمائة وله ثمانون سنة.

---

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٢/ ٧٥، وآداب اللغة ٣/ ١٠٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٠، وقضاة الأندلس١١١، والتكملة لابن الأبار ١/ ٢٦٩، وانظر كتاب: «ابن رشد» لعباس محمود العقاد.

من نوادر تراثه:

من أروع مؤلفاته: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» فى الفقه وكتاب: «اختلاف مذاهب العلماء» وغير ذلك.

من لطائفه ومأثوراته ومسموعاته:

١- الأحكام عن النبى ﷺ نقلت لنا عن ثلاث طرق: إما لفظ، وإما فعل، وإما إقرار. والمسكوت عنه فى الشرع لا حكم له.

٢- إن طرق الألفاظ التى تتلقى منها الأحكام من السمع أربعة: ثلاثة متفق عليها، ورابع مختلفٌ فيه. أما الثلاثة المتفق عليها، فلفظ عام يحتمل العموم، أو خاص محمول على خصوصه، أو لفظ عام يراد به الخصوص، أو لفظ خاص يراد به العموم، أما الطريق الرابع فهو أن يفهم من إيجاب الحكم لشىء ما عدا ذلك الشىء الذى نفى عنه، وهو المعروف بدليل الخطاب.

٣- المسكوت عنه يلحق بالمنطوق به من جهة الشبه الذى بينهما لا من جهة دلالة اللفظ، لأن إلحاق المسكوت عنه بالمنطوق به من جهة تنبيه اللفظ ليس بقياس.

٤- ليس كل مسكوت عنه مسكوتًا عنه.

٥- إن الطرق التى سلكها القوم فى حدوث العالم قد جمعت بين هذين الوصفين معًا، أعنى الجمهور ليس فى طباعهم قبولها ولا هى مع هذا برهانية، فليست تصح لا للعلماء ولا للجمهور.

٦- إن المصنوع لحكمة إنما يكون على الوجه الذى يحقق تلك الحكمة ولا يكون عبثًا -تنزه الخالق عن العبث-.

٧- تمثيل المعاد للناس بالأمور الجسمانية أفضل من تمثيله بالأمور الروحانية.

٨- من الخيرات خيرات ليس يمكن أن توجد إلا يشوبها شر كالحال فى وجود الإنسان المركب من نفس ناطقة ونفس بهيمية.

١٢٠- الآلوسى (١)
(ت ١٣٩٤ هـ /١٩٢٤م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

محمود شكرى بن عبدالله بن شهاب الدين، محمود الآلوسى الحسينى أبو المعالى.

مولده ونشأته:

ولد بالرصافة ببغداد، وقد نشأ فى بيت علم وفضل، فنهل من معين لا ينضب من أبيه وعمه، فبرز وتألق نجمه، وذاع صيته مفسراً مؤرخًا أديبًا عالمًا، وكان له صدر المجالس والتدريس فى بيته وفى بعض مساجد بغداد لكن نظراً لإخلاصه فى الدعوة وحمله على أرباب البدع حيكت ضده الفتن والمؤامرات والدسائس.

نفيه بأمر السلطان عبدالحميد:

لما أن وَشَوْا به عندالسلطان عبدالحميد نفاه إلى بلاد الأناضول ثم أزمع العودة إلى بغداد بعد ذلك لما منعه الأناضوليون من دخول بلادهم فسمح السلطان له بالعودة إلى بغداد.

عكوفه فى بيته:

ثم عكف على البحث والتأليف والتدريس ببيته ببغداد، إلا عضوية مجلس المعارف فى بداية تأليف الحكومة العربية ببغداد.

---

(١) عشائر العراق ١/ ١٦، والأعلام للزركلى ٧/ ١٧٢، ١٧٣.

وفاتــه:

توفى رحمه الله سنة اثــنتين وأربعين وثلاثمائة وألف للهــجرة وله سبع وستون سنة.

تفسيره للقرآن:

يعتبر تفسيره للقرآن المسمى بـ «روح المعانى» من أجمع التفاسير الحديثة وأدقها، وله عشرات المؤلفات المفيدة أيضًا.

من مأثوراته ولطائف أقواله:

١- القرآن الكريم هو الحبل المتيــن، والعروة الوثقى، والصراط المبين، والوزر الأقوى والأوقى.

٢- منذ أن مــيطت عنى التمــائم، ونيطت على رأسى العمــائم وأنا لم أزل متطلبًا لاستكشاف سره المكتوم، مترقبًا لارتشاف رحيقه المختوم. (يقصد القرآن الكريم).

٣- شرف العلم بشرف موضوعه، وشرف معلومه.

٤- القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه.

٥- القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطــون، لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى.

٦- لا ينبغى لمن له أدنى مسكة مــن عقل، بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده.

٧- إن العبد إذا تجلى عــليه الرحمن وجد لذة رحمــانية تكسبه مــعرفة قرآنية، فلا يعلم الحق إلا من طريق أسمائه وصفاته.

٨- من لا تفرقة له لا عبودية لــه، ومن لا جمع له لا معرفة له (روح المعانى ١/ ٩).

٩- لم يزل الله متكلمًا، وموصوفًا بالكلام من حيث تجلى ومن حيث لا.

١٠- الأصل فى الإطلاق الحقيقة، فالأجزاء كلمات حقيقية لغوية، مع أنها ليست ألفاظًا.

١٢١- البيـرونـى [١]
(ت ٤٤٠ هـ /١٠٤٨م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

محمد بن أحمد، أبو الريحان، البيرونى[٢] الخوارزمى، وهو من أعيان الفلاسفة، وعمالقة الموسوعيين فى عصره، وكان معاصرًا لابن سينا.

مولده ونشأته وحياته:

ولد محمد بن أحمد فى خوارزم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقد أقام طرفًا من حياتــه فى الهند لبضع سنين، وقد حصَّل كثيـرًا من العلوم الشائعة الشائقة فى عصره وبرع فى الفلسفة والطب والتنجيم.

علمه وموسوعيته:

اطلع وتوفر على فلسفــة اليونانيين والهنود، وقد استــوعب أكثر العلوم الشائعة فى عــصره من فلسفة ومنطق وفلك وتنجـيم ورياضة وتاريخ وقائع، ولذلك كان مشهورًا موقرًا عند الملوك والأمراء فى عصره.

تأليفه وتصانيفه:

ألَّف البيرونى مصــنفات كثيرة جدًا فى مخـتلف صنوف المعرفة... ثم إن ياقوت الحـموى (صاحب مـعجم البلدان) مكثر من الـنقول عنه، وله من

---

(١) آداب اللغة ٢/ ٣٤٥، وبغيـة الوعاة للسيوطى ٢٠، والأعـلام ٥/ ٣١٤، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموى ١٧/ ١٨٠، وعيون الأنباء لابن أبى أصـيبعة ٢/ ٢٠، وما بعدها، وبغية الوعـاة للســيوطى ١/ ٢٠، وتاريخ الإسـلام للـذهبى ٢٩/ ٣١٣، ٣١٤، والأنسـاب للسمعانى ٢/ ٣٦٣، وللدكتور أحمد سعيد الدمرداش كتاب «البيرونى».

(٢) بيرون: من بلاد السند.

المصنفات القيمة: «الاستيعاب فى صنعة الاسطرلاب» و«تاريخ الأمم الشرقية» وغيرها مؤلفات قيمة بالعربية والفارسية.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة أربعين وأربعمائة للهجرة، وله نحو خمس وسبعين سنة.

أقوال العلماء فى علمه وفضله وتبريزه:

قال عنه محمد بن محمود النيسابورى: له فى الرياضيات السبق الذى لم يشق المحضرون غباره، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره[(١)].

وعنه يقول المستشرق الألمانى الدكتور إدوار سخاو الأستاذ الأسبق بجامعة برلين: «إن البيرونى أكبر عقلية ظهرت فى التاريخ»[(٢)].

ويرى الدكتور جورج سارتون من كبار بل أكبر مؤرخى العلوم فى العصر الحديث: إن البيرونى أعظم عظماء الإسلام، ومن أكابر العلماء فى الحضارة الإسلامية.

وقد كان البيرونى صبورًا دءوبًا فى طلب العلم.

يقول عنه السهروردى فى كتابه: «نزهة الأرواح فى تاريخ الحكماء» كذا ياقوت الحموى فى معجمه المعروف «معجم البلدان» (كان البيرونى لا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا فى يومى النيروز والمهرجان من السنة) اهـ.

---

(١) البيرونى للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص ٨.
(٢) السابق نفس الصفحة.

من مأثوراته ولطائفه ومسموعاته:

١- سعدت معظم أيامى بالهدايا والمزايا التى كنت أحظى بها، وغذتنى أسرة عراق بلبنها، وتكفل منصورها بتربيتى(١).

٢- إذا كانت النفس مرتبطة فى العالم، فإن خلاصها من الوثاق يكون بضد ذلك السبب، وسبب الوثاق هو الجهل فالخلاص منه يكون بضده وهو العلم.

٣- لطريق الخلاص ثلاثة أقسام: الأول: العلمى بالتعويد، ومداره على قبض الحواس من خارج إلى داخل حتى لا تشتغل إلا بك، وقد قيل: من أمات شهواته لم يتجاوز الحاجات الاضطرارية.

الثاني: العقلى بمعرفة سوءة الموجودات المتغيرة والصور الفانية حتى ينفر القلب منها، وينقطع الطمع دونها.

الثالث: العبادة، ليوفقه الله لنيل الإخلاص والخلاص، ويؤهل القلب لينال فيه التدرج إلى السعادة.

٤- الصيدنة أعرف من الصيدلة، والصيدلانى أعرف من الصيدنانى، وهو المحترف بجميع الأدوية على أحمد صورها.

٥- حدث القاضى كثير بن يعقوب البغدادى النحوى فى الستور عن الفقيه أبى الحسن على بن عيسى الولوالجى فقال: دخلت على أبى الريحان، وهو يجود بنفسه، قد حشرج نفسه، وضاق به صدره، فقال لى فى تلك الحال: كيف قلت لى يومًا حساب الجدات الفاسدة؟ «أى التى من قبل الأم» فقلت له إشفاقًا عليه: أفى هذه الحالة؟ قال لى: يا هذا! أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرًا من أن أخليها وأنا جاهل بها؟ فأعدت ذلك عليه، وحفظ، وعلمنى ما وعد، وخرجت من عنده وأنا فى الطريق سمعت الصراخ! رحم الله البيرونى.

---

(١) يقصد به منصور بن على بن عراق.

١٢٢- ابن جماعة [1]
(ت ٨١٩ هـ/١٤١٦م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

محمد بن أبى بكر بن عبدالعزيز بن محمد أبو عبدالله، عز الدين الكنانى الحموى، ثم المصرى، الشافعى، ذائع الصيت، المسمى بابن جماعة وأصل أصوله فى حماة.

مولده ونشأته وحياته:

ولد ابن جماعة فى «ينبع» على شاطئ البحر المتوسط، ثم تحول بعد ذلك إلى القاهرة حين نشأ وترعرع فيها، وتلقى العلم على شيوخ عصره، وكان تتلمذ لابن خلدون وغيره من جلة الشيوخ الأعلام.

علمه وفضله وأقوال العلماء فيه:

كان ابن جماعة عالمًا بالأصول واللغة العربية والأدب والبيان، كما كان عالمًا وبصيرًا بالجدل والمناظرة.

وقد زكَّاه الإمام الحافظ السخاوى بقوله عنه: «لقد نظر ابن جماعة فى كل فن حتى فى الأشياء الصناعية» اهـ.

وله عديد من المؤلفات الشائقة الممتعة منها: «الجامع فى الطب» و«غاية الأمانى فى علم المعانى» و«شرح جمع الجوامع فى علم الأصول»[2].

وفاته:

توفى بالطاعون فى القاهرة سنة تسع عشرة وثمانمائة.

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى /٢٣٦، والضوء اللامع للسخاوى ٧/ ١٧١، ويوسف إليان سركيس فى معجم المطبوعات ١/ ٦٥، والأعلام ٦/ ٥٦، ٥٧، وشذرات الذهب لابن العماد ٧/ ١٣٩، وبغية الوعاة للسيوطى ١/ ٢٥.

(٢) قيل: كان بدر الدين بن جماعة - أعجوبة زمانه فى التقرير، وليس له حظ فى التأليف مع كثرة مؤلفاته.

١٢٣- ابن حجر العسقلانى (١)
(ت ٨٥٢ هـ /١٤٤٩م)

اسمه ولقبه ونسبه وكنيته:

أحمد بن على بن محمد الكنانى، العسقلانى، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، توفى والده وهو صغير، وحج وهو غلام.

مولده ونشأته وحياته:

أصل ابن حجر أحمد بن على من عسقلان (بفلسطين) وإن كان مولودًا بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وكان مولعًا بالشعر والأدب والعلوم العربية، ثم انهمك واهتلك على طلب الحديث فكان له ما رغب إليه من تبحر وتبريز فيه حتى صار إمامًا فيه شهد له به أضرابه وشيوخ عصره، وكان تعرف فى زبيد على الفيروزأبادى صاحب القاموس.

رحلاته فى طلب العلم:

رحل ابن حجر إلى أقطار شطون شتى فى طلب العلم فقصد الحجاز واليمن وغيرها من الأقطار للسماع من الشيوخ والتلقى عنهم، وحببهم فيه فصاحته وقوة حافظته ونباهة شأنه وصباحة وجهه وإلمامه بالتاريخ وأخبار الأوائل والأواخر، ولى قضاء مصر مدة من الزمن ثم اعتزل القضاء.

---

(١) البدر الطالع ١/ ٨٧، وآداب اللغة ٣/ ١٦٥، والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٠، ورفع الإصر عن قضاة مصر ١/ ٨٥، والتبر المسبوك ٢٣٠، ولسان الميزان له، انظر أيضًا حسن المحاضرة ١/ ٣٦٣، وتذكرة الحفاظ ٣٨٠، وشذرات الذهب ٧/ ٢٧٠، والضوء اللامع ٢/ ٣٦، وطبقات الحفاظ ص ٥٥٢/ ١١٩٠، وكارل بروكلمان ١/ ٣٢٨، ٢/ ٤٨ وآداب اللغة ٣/ ١٧٩.

من نفائسه وذخائره:

«لسان الميزان» و«فتح البارى شرح صحيح البخارى» و«الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة» وغيره وغيره.

وفاته:

توفى رحمه الله سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، بالقاهرة.

من لطائف ومأثوراته وماورد عنه:

١- حُكِيَ أنه شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الإمام الذهبى فى الحفظ، فبلغها وزاد عليها(١).

٢- لما حضرت الحافظ العراقى الوفاة، قيل له: من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابنى أبا زرعة، ثم الهيثمى.

٣- قال السيوطى عنه: صنف التصانيف التى عمَّ النفع بها كـ «شرح البخارى» الذى لم يصنف أحدٌ فى الأولين ولا فى الآخرين مثله(٢).

٤- شهد جنازته الشهاب المنصورى، فلما وصل إلى المصلى أمطرت السماء على نعشه، فأنشد فى ذلك الوقت:

قد بكت السحب على
قاضى القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذى
كان مشيداً من حجر

---

(١) كذا فى طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٥٢.
(٢) السابق نفس الصفحة.

١٢٤- ابن حجر الهيتمى [١]
(ت ٩٧٤ هـ/١٥٦٧م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى، شهاب الدين السعدى، أبو العباس.

مولده ونشأته وحياته:

ولد ابن حجر الهيتمى فى محلة أبى الهيتم[٢]، وإليها اعتزى وانتسب ولقبه السعدى معزو إلى بنى سعد[٣]، وكان مولده سنة تسع وتسعمائة للهجرة.

طلب العلم فى الأزهر:

نشأ محبًا للعلم ومكبًا عليه فبرع فى الفقه حتى كان حجة فيه، وكان له دورٌ بارز فى الإسهام فى التأليف والتصنيف فى عصره وبين أعلامه.

وفاتــه:

توفى رحمه الله بالقاهرة سنة أربع وسبعين وتسعمائة، وله ثلاث وستون سنة.

من جلائل مؤلفاته:

«الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان»، و«الإيعاب فى شرح العباب»، و«شرح مشكاة المصابيح للتبريزى».

---

(١) آداب اللغة ٣/ ٣٣٤، والأعلام ١/ ٢٣٤، والفهرس التمهيدى ٥٥٥.

(٢) محلة أبى الهيتم: إحدى القرى من أقليم الغربية بمصر.

(٣) بنو سعد: من عرب الشرقية بمصر.

١٢٥- ابن خلدون (١)
(ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م)

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد وائل بن حجر.

مولده ونشأته وأصله:

أصله من أشبيلية، وقد ولد بتونس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة للهجرة، ونشأ بها واندفع إلى العلم منهُومًا لا يشبع منه كان جميل الصورة فصيحًا عاقلاً حكيمًا، واقع الطائر رزين الحصاة طموحًا صدوق المخبر والمظهر.

هجرته ورحلاته:

رحل ابن خلدون إلى فاس وغرناطة وتلمسان، وبلاد الأندلس، ثم عاد بعد ذلك إلى تونس، ثم عمد إلى القاهرة المعزية، فأشخص إلى رحابها وضوى إلى جنابها، فأكرمه السلطان الظاهر برقوق وأحسن إليه كل الإحسان، وتولى بها قضاء المالكية، وعزل فترة من الزمن ثم أعيد مرة أخرى.

من أشهر مؤلفاته:

يعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، وقد أُشْتُهِرَ بكتابه: «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر» وقد نال به حظوة ومكانة رائعة فى قلوب ونفوس الناس حتى اليوم، ثم إن مقدمته تعتبر أصلاً وأساسًا لعلم الاجتماع. وله غير ذلك نفائس وفرائد عديدة.

---

(١) نفح الطيب للصبرى المقرى ٤/ ٤١٤، والضوء اللامع للسخاوى ٤/ ١٤٥، وآداب اللغة ٣/ ٢٢٤، والأعلام ٣/ ٣٣٠، والبدر الطالع ١/ ٣٣٧، وكارل بروكلمان ٢/ ٢٤٢.

وفاتـــه:

توفى فجأة بـالقاهرة سنة ثمان وثمانمائة فـجأة بغير مـقدمات وله أربع وسبعون سنة تقريبًا.

أقوال العلماء فيه وتقدير هم لدوره:

أجمع العلماء وأصفقوا على علمه وفضله، حيث إنهم قرروا أن مقدمته المعروفـة بـ «مقـدمة ابن خلدون» التى صـدَّر بها تاريخه الشـهيـر المعروف: «العبر، وديوان المبتدأ والخبر، فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاشرهم من ذوى السلطان الأكبر» هذه المقدمة قـد وضعت أصول علم الاجتماع على أسس ركينة راسـخة ثابتة أشاد بهـا، وشهد لها علمـاء الاجتماع المعـاصرون (علماء السوسيولوجيا).

من لطائفه ومأثوراته الجليلة:

١- إن فنَّ التاريخ من الفنون التى تتـداولها الأمم والأجيال وتُشَّـدُّ إليه الركائب والرحال.

٢- إذا كانت النفس على حال الاعتدال فى قبـول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه.

٣- إن النفس إذا خـامرها تشيـعٌ لرأى أو نحلة قبلت مـا يوافقـها من الأخبار لأول وهلة، وكـان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصـيرتها عن الانتقاد والتمحيص.

٤- الإنسان مدنى بالطبع، أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاح الحكماء.

٥- إن الربع الشمالى من الأرض أكثر عمرانًا من الربع الجنوبى.

٦- المعمور من منكشف الأرض وسطه، لإفراط الحر فى الجنوب منه، والبرد فى الشمال.

٧- إن الله سبحانه وتعالى اصطفى من البشر أشخاصًا فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، جعلهم وسائل بينه وبين عباده.

الفهرس

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة
١٠٨- جمـال الدين الأفغـانى	٣٥٢
١٠٩- محمـد عبده	٣٥٥
١١٠- الجـــاحظ	٣٥٨
١١٢- أبو حامد الغزالى	٣٦٥
١١٣- ابن عطاء الله الإسكندرى	٣٦٩
١١٤- ابن ســينا	٣٧٤
١١٥- الإمـام الطـبـرى	٣٧٨
١١٦- ابن دقـيق العيـد	٣٨٢
١١٧- ابن عساكر	٣٨٥
١١٨- البـيضـاوى	٣٨٧
١١٩- ابن رشد	٣٨٩
١٢٠- الآلـوسـى	٣٩١
١٢١- البـيــرونى	٣٩٣
١٢٢- ابن جماعة	٣٩٦
١٢٣- ابن حجر العسقلانى	٣٩٧
١٢٤- ابن حجر الهيثمى	٣٩٩
١٢٥- ابن خلدون	٤٠٠
فهرس الكتاب	٤٠٣



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

